الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـــم العـــالي و البحـــث العـــلمـــي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية – قسنطينة –

كلية أصول الدين و الشريعة و الحضارة الإسلامية
قسم العقيدة و مقارنة الأديان

الرقم التسلسلي :.....

رقم التسجيـــل :.....

منهـــج الباقـــلاني في الـــرد على النصـــارى

– مـــن خـــلال كتـــابه التمهيـــد *–*

مـــذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجســـتير

شعبـــة مقـــارنـــة الأديـــــان

–إعداد الطالبة:
ثريا عزوزي

–إشراف الدكتور :
عبد القادر بخوش

– لجنة المناقشة :

	الإسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
الرئيـــس :	.....	.....	.....
المقـــرر :	.....	.....	.....
المناقـــش :	.....	.....	.....
المناقـــش :	.....	.....	.....
المناقـــش :	.....	.....	.....

نوقشت يوم: .....

السنة الجامعية 1424/1425هـ – 2004/2005م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكـــــــــر و تقديـــــــــر

لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص شكري و تقديري إلى كل من هم بمساعدتي في في انجاز هذا البحث وإلى الذي تكرم بالإشراف على هذا الموضوع الدكتـــــور / عبد القادر بخوش .

كما أوجه شكري الخالص للدكتور/ عبد الوهاب فرحات الذي أكن له كل اللإمتنان والعرفان ،كما أني لن أنسى مساعدته لي ماحييت ، والدكتور/كمال معزي الذي لم يدخر جهدا لمساعدتي وتوجيهي عند إنجاز هذا المشروع وكذا الدكتور/ رابح دوب الذي تكرم بقراءة صفحات الرسالة و إعطائي التوجيهات اللازمة خاصة في مجال اللغة والبلاغة.وكل من ساعدني في قسم اللغة أساتذتي الأفاضل :

عبد الناصر بن طناش،عزيزة سلولة، عبلة عميرش،أسيا شكيرب، غنية جمام ، و صديقتي العزيزة : راضية دون أن أنسى الذي تحملني طيلة إنجاز البحث أستاذ الإعلام الآلي :فؤاد بن موسى و آمنة .

وشكري الأول والأخير لكافة أفراد الأسرة الكبيرة، الوالدين الكريمين أطال الله عمرهما، الاخوة :رضا، مصطفى، حسونة، خالد و الأخوات سناء، كريمـــــــــــة ولامية والبراعم اليانعة :أمجد،آمنة ،آية،وزين الدين.

و إلى "مّامّا زهيرة" التي إختارت بأناميلها المباركة موضوع بحثي هذا، وأسرتي الصغيرة محسن ومريم اللذان غمراني بإحساسهما وتحملا معي متاعب البحث لآخره فجزاهم الله عني خير جزاء.

فجزاهم الله عني كل خير.

إهـــــــــــــداء

إلى كل شهداء العراق موطن القاضي الباقلاني ،

وكل شهداء الأقصى،

وكل غيور على دينه في أقطار العالم .

أهدي هذا العمل كذلك لكل مخلص في :

عـــقيـــدتـــه ،

عـــلمـــــه

وعملـــــه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله وعلى أهله و صحبه وبعد :

يعد القرن الثاني من أخصب العصور الإسلامية ازدهارا و ذلك لما تميز به من انتشار لمختلف العلوم من أبرزها علم الملل و النحل، مما أسهم في صد الثقافات المعارضة لقيمه والوافدة على العالم الإسلامي.

وبرز كذلك أفذاذ اللغة والبلاغة و علماء الكلام و الحديث، هؤلاء الذين تصدوا للمد الأجنبي خاصة المدّ المسيحي الذي هو موضوع بحثنا هذا. و من بين هذه المذاهب الفكرية المعتزلة على يد النظام وتلميذه الجاحظ و الأشاعرة على يد مؤسسها أبي الحسن الأشعري والقاضي الباقلاني الذين تحملوا أمانة الصد لمطاعن الإسلام و المسلمين، فخرج منهم تلاميذ تفرقوا في بقاع الدولة الإسلامية ناشرين الإسلام معرفين به مَن يجهل أحكامه وعقيدته، حتى اعتنق الإسلام جموع غفيرة مرددين صفة التوحيد.

ومع مرور الزمن تفرد علم الملل و النّحل و أصبح علما قائما بذاته، يعنى بتقديم الملل السماوية و النّحل البشرية، و تتبع تطورها و الأصح منها حتى وصلنا علم الملل والنّحل أو علم مقارنة الأديان الذي ارتأينا أن يكون موضوع دراستنا ضمن هذا الاختصاص الموسوم [بـــ: "منهج أبي بكر الباقلاني في الرد على النصارى "من خلال كتابه التمهيد.]

و لعل سبب اختيارنا موضوع هذا البحث حول منهج الباقلاني في كتابه التمهيد هو:

– قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت موضوع الأديان عند الباقلاني خاصة المسيحية منها.

–قلة الدراسات حول كتاب التمهيد و حول مناهج الباقلاني

–الرغبة في التعرف على أسلوب الباقلاني الذي يعد من أصعب الأساليب القديمة

أما عن الإشكالية:

إن كثرة كتابات الباقلاني في علم الكلام، و البلاغة، و الأصول، وغيرها تجعل من الباحث يتردد في الحكم على منهجه وهنا نتساءل عن المنهج الذي استخدمه الباقلاني أهو منهج أصولي؟ أم منهج لغوي؟ أم منهج المتكلمين؟ ومنه نعمد إلى تحديد ملامح منهجه في الرد على النصارى

الأهداف:

الرغبة في التوصل إلى مناهج جديدة لصد الهجمات التنصيرية النشطة في مجتمعاتنا الإسلامية، وكذلك معرفة مناهج أخرى لمواجهة التحديات الفكرية، التي تسعى لتشويه تراثنا كبعض الدراسات الإستشراقية أو التغريبية.

الحاجة إلى مناهج جديدة تناسب عصرنا، وترتبط بأصول تراثنا الإسلامي لأجل النهوض بفكرنا الحديث و تستجيب لمتطلباتنا الحضارية و الفكرية.

الحاجة الملحة لإحياء مناهج السلف المؤسسة لأسلوب الحوار و المناظرة والجدال الديني والعلمي.

مواجهة المشاريع الإستشراقية في دراسة تراث المسلمين و الخروج بمنهج جديد مؤسس لعلم الأديان.

المنهج المتبع:

إن المنهج الذي اقتضاه البحث في فصوله عموما هو المنهج الوصفي و التحليلي المقارن نظرا لطبيعة الموضوع ففي الفصل الأول وظفنا المنهج الوصفي الذي أفدنا منه في حصر حياة الباقلاني السياسية و الاجتماعية و الفكرية و كذا نسبه و أفكاره أما الفصل الثاني ففيه مقتبسات لمصدر القاضي في الرد على النصارى من خلال كتابه التمهيد اقتضت منا الدراسة توظيف المنهج التحليلي، أما الفصل الثالث و الأخير ففيه تطبيقات لمنهج القاضي في الرد على النصارى كما اقتضت الدراسة استعمال المنهجين التحليلي والمقارن خاصة في المقارنة بين منهج الجاحظ السابق للقاضي الآخذ عنه أغلب مناهج الردود.

ضف إلى ذلك المقارنات بين نصوص التوراة ونصوص القرآن بعضها ببعض لإقرار الحقائق التاريخية. من خلال المقارنة بين معجزات الأنبياء موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بعيسى عليه السلام إظهارا لمفارقات النصارى ى و إثباتا لتساوي الأنبياء في القدرات و الخوارق التي وهبها الله لهم جميعا على حد السواء، لا تفريق بين أحد منهم كما نص عليه القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

لقد قدم حول الباقلاني وكتاباته وفكره كم هائل من البحوث الأكاديمية استفدت من كثيرها، على رأسها رسالة الدكتوراه لعبد الرؤوف مخلوف: " الباقلاني و كتابه إعجاز القرآن" التي تتناول جوانب من فكره و منهجه و رسالة ماجستير لمحمد رمضان عبد الله "الباقلاني وأراءه الكلامية " و الكتب الفلسفية على اختلافها.

أما عن المصادر التي كتبت عنه كتب الأشاعرة عموما و كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يحصر فيه منهج الأشاعرة عموما بما فيها القاضي الباقلاني ومنهجه.

أما المراجع التي اعتمدتها في هذا البحث فهي كثيرة و متنوعة وتندرج ضمن تخصصات مختلفة من بينها: كتب اللغة و البلاغة و كتب علم الكلام التي تهتم بالرد على الأديان وكتب الملل والنحل و العقائد و الفلسفة وكذا المعاجم و الموسوعات على اختلافها اللغوية و الفلسفية اللاهوتية المسيحية.

هذا بالإضافة إلى كتب الباقلاني على رأسها كتابه "التمهيد" الذي يعتبر موضوع الدراسة بطبعات مختلفة لصعوبة أسلوبه في الكتابة. وكتب أخرى في شتى التخصصات للتعرف على منهجه و أسلوبه في الرد و الكتابة ككتاب "الانتصار لنقل القرآن"و"الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به" وكتاب "التقريب والإرشاد الصغير" في علم الأصول وغيرها من المؤلفات.

تقييم المصادر والمراجع :

إن أغلب الدراسات التي بحوزتنا لم توف القاضي حقه فما أطلعتنا إلا بالنزر اليسير ، أما الدراسات حول منهجه بدقة في الردود تكاد تنعدم إلا في جزئيات بسيطة في الرد على أهل الأديان أو النصارى قاطبة.إضافة إلى اتهام القاضي بجهل معاني الأقانيم خاصة الجوهر والعرض في ردوده على النصارى على حد قول عبد المجيد الشرفي، وهذا ما لم نلتمسه على الإطلاق خلال البحث، وإنما كان على علم و دراية في جل ردوده على كل الفرق المسيحية نسطورية، ملكانية، ويعقوبية، كل على حدا.

تقسيم البحث:

موضوع بحثنا المعنون بمنهج الباقلاني في الرد على النصارى يقتضي إفراد الباقلاني بفصل تمهيدي للحياة السياسية والاجتماعية في فترة تواجده بالعراق .

أما الفصل الثاني فيه حصر لمصادر الباقلاني في الرد على النصارى من خلال المصدر القرآني ثم المصدر التاريخي ثم المصدر اللغوي الذي يتفرع عنه المصدر الأصولي و المصدر الأخير و هو مصدر المتكلمين من مسيحيين أصحاب الفرق الثلاث النسطورية، واليعقوبية، والملكانية

وغيرها من الفرق الموحدة التي لها كامل الأثر على تحريف الديانة المسيحية.

و من المتكلمين المسلمين المعتزلة الذين سبقوا الأشاعِزة في الردود على النصارى كالجاحظ، الذي أخذ عنه الأشاعرة نهجه في الردود من خلال كتابه "رسائل الجاحظ". كذلك القاضي الباقلاني أ بدع في الردود بعد إقتباسه من كتب المتقدمين.

أما الفصل الأخير فيه تطبيقات منهج الباقلاني في الرد على النصارى من خلال كتابه "التمهيد". و اقتضت الدراسة منا استخلاص منهجه من خلال كتاب "التمهيد" لا كتبه الأخرى، لعدة أسباب منها:

- انعدام النسخ التي فيها ردوده على النصارى سوى "التمهيد" الذي بين أيدينا.
- ضيق الوقت و محدودية صفحات الرسالة.
- اتساع المشروع وتعدد مناهج القاضي في صفحات محدودة لكتاباته المركزة ذات الأبعاد البعيدة.

صعوبات البحث:

أما عن الصعوبات التي اعترضتني في البحث فهي قلة الدراسات حول الباقلاني في مضمون رسالتي هذه. إضافة إلى صعوبة أسلوب الباقلاني في الكتابة كونه يكتب بلغة تعتمد على الألفاظ الصعبة المركزةوالعبارات التي يقل إستعمالها في زماننا ، فلا تفهم إلا بعد تكرارات للقراءة و إمعان كبير للفكر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:
حياة الباقلاني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول : حياة الباقلاني و عصره.

المبحث الأول : عصره و بيئته.

المطلب الأول : الحياة السياسية

عاش الإمام الباقلاني في العصر العباسي الثالث [334 – 447هـ]، الذي تزامن مع العصر البويهي عهد حكم أبي شجاع[1] و بما أن للمحيط تأثيرا في تفكير الباقلاني يكون من الأجدر بنا الإحاطة بالحالة السياسية للعصر البويهي آخر عقود الحكم العباسي الأوسط وذلك لرسم الملامح السياسية لفترة الإمام الباقلاني لمعرفة ملابسات الظروف التي مر بها العصر العباسي والوسط الذي نهل منه القاضي أبو بكر.

و كما هو معلوم تاريخيا أن العصر العباسي الثالث [334 – 447هـ] انتهى بالحكم البويهي والذي ينقسم إلى ثلاث مراحل:

أولا: مرحلة نشأة البويهيين:

تقع بلاد الديلم أو كما تسمى" بلاد جيلان" في الجنوب الغربي لبحر قزوين، بحر الخرز والتي يسكنها عنصر الديالمة و أضحت هذه البلاد إسلامية في ظل حكم الفاروق عمر بن الخطاب، والذي فضل أن يدفع الجزية على الدخول في الإسلام[2] كما أن دخول الإسلام لبلاد الديلم كان على يد شيعي الحسين بن زيد ثم الحسن بن على الأطروش مما خلف فيما بعد خلافات شيعية حول الحكم الذي ينسبونه لعلي رضي الله عنه. و أبنائه من فاطمة من بعده، الذين فكروا في غير مرة للإطاحة بالخلفاء العباسيين.

أما نسب بنى بويه فاختلف فيه المؤرخون من نسبهم الأول إذ قالوا بأنهم من دهماء الناس ويرجح بعض المؤرخين إلى أنه يرتفع نسبهم من بويه واحد من ملوك الفرس حتى يتصل بيهوذا بن يعقوب بن إبراهيم الخليل عليه السلام و ليسوا من الديلم لأنهم سكنوا بلاد الديلم.[3]

نشأ أبو شجاع في بلاد الديلم كعامة الناس يقتات من صيد السمك، و قد كان معز الدولة بعد تملكه يعترف بنعمة الله تعالى و يقول كنت أحتطب على رأسي[1] و قد خلف أبو شجاع ثلاثة

---

[1] أبي شجاع: ملقب بعضد الدولة إبن ركن الدولة بني بويه قاتل للوصول إلى بغداد حتى قامت بينه وبين الخليفة حرب، وخضع أخيرا لسلطة الخليفة لكن رفض بهاء الدولة الأمر فدبر مكيدة لخلعه، وبدأت الفتن على الخلافة بين المسيحيين والفرس والأتراك. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت،دار الكتاب العربي)ج7،ص1347. ج8،ص403.

[2] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، (القاهرة مصر، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1985) ج3، ص 406.

[3] حسن إبراهيم حسن، التاريخ الإسلام، (بيروت، دار الجيل، ط1411،3هـ 1991م) ج3، ص 43.

أبناء علي و الحسن و أحمد، جعلتهم الفاقة يتخذون الجندية مرتزقا لهم عند جيش"ما كان بن كالي" أحد قادة الديالمه المشهورين.

خرج عن "ما كان بن كالي" قائد إسمه أسفار بن شيرويه و الذي ساعده فيما بعد "مرادويج بن زيار" الذي انظم إليه بنى بويه و حققا نصرا ضد "ما كان" و انهزم هذا الأخير سنة 316هـ وآلت السلطة إلى مراد ويج و أخيه شمكير.

فكان نصيب على بن بويه ولاية الكرج، و الحسن و أحمد في أعمال أخرى مع مرادويج[2]

هذا عن بني بويه قبل حصولهم على بغداد أما في فترة مجيئهم فكانت بغداد تتداول عليها الخلفاء على النحو الآتي:

ثانيا:مرحلة البويهيين في بغداد:

لم يدخل البويهيون بغداد مباشرة فالخلافة العباسية ضعفت و انحطت بسبب نفوذ الأتراك على الحكم و كذا حكم الفرس و تداول التداخلات الأجنبية والضغط على الحكام خاصة من قبل الخرسانيين الذين أصبحوا قادة و حكاما آنذاك، فمالت دفة الحكم إليهم[3].

ففي عهد محمد بن الرائق ضعف نفوذ حكمه حتى حاربه البريدَي 336 هـ و هو أبو عبد الله صاحب الأهواز، كما خرج عليه أحد قادته و دخل بغداد سنة 327 هـ و الذي آلت إليه إمرة الأمراء و استولى على جميع شؤون الدولة [327 –329 هـ].[4]

بعدما تولى محمد الرائق خلفه الخليفة الراضي بالله [322–329 هـ] بقيت الخلافة على حالها حتى بلغ به الأمر إلى عدم مقدرته على دفع أرزاق الجند وتوفي سنة 329 هـ بعد ما حكم ست سنين و عشرة أشهر وبضعة أيام عن عمر يناهز 36 سنة و6 أشهر، كانت الغلبة فيه للحكم التركي[5]. وفي هذه الفترة كانت خوزستان* في يد البريدي و فارس في يد عماد الدولة بنى بويه بعد وفاة الراضي بويع ابن المقتدر في دار الخلافة 20 ربيع الأول 329 هـ و عرضت عليه الألقاب اختار منها المتقي لله.

---

[1] المرجع نفسه، ج3، ص 44. أنظر أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط8، ج3، ص 406.

[2] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج3، ص 408 – 409.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، (حوادث سنة 232 هـ 334 هـ) ص 356.

[4] حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام، ج3، ص 34.

[5] المرجع نفسه، ص 35.

* خوزستان : بضم أوله، وبعد الواو الساكن زي، س مهملة، وتاء مثناة، من فوق وأخيره نون، وهو إسم لجميع بلاد الخوز المذكورة قبل هذا، واستان كنسبة في كلام الفرس وبأرض خوزستان مياه جارية وأودية غزيرة ، انهار سائلة، يسمى دجيل الأهواز بناحية أيدج أصبهان،ياقوت عبد الله الحماوي، معجم البلدان ، ج2 ت فريد عبد العزيز الجندي (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ 1990م) ص462 بتصرف.

حكم المتقي من [329-333 هـ] والذي ورث وضعا سياسيا مزريا مما أدى به إلى تفتيت البلاد سياسيا و انقسامها إلى دويلات صغيرة هروبا من سلطة الحكم الواحد، كما تعرضت البلاد إلى إغارات من قبل الروم و الأتراك فعاثوا في الأرض فسادا آنذاك [1] . فلم يلبث الحكم أن أصبح لغيره إذ (قامت الحرب بينه و بين البريدي اقتضت خلع المتقي. ولي الخلافة بعد المقتدر أخوه أبو منصور محمد بن المعتضد و لقب بالقاهر بالله و في زمنه انتشرت الفتن الداخلية، فلم تمض عليه سنة واحدة في الخلافة حتى شغب عليه الجند)[2]. لكن سرعان ما جاء القاهر الذي تفطن لحيلة خلع القاهر بالله، فهتك بمن دبر الحيلة من رجالات الدولة و وزيره ابن مقله في ذاك الوقت [3]. و لم يلبث طويلا القاهر بالله وخلفه المستكفي [333-334 هـ] هذا العصر الذي يعتبر آخر نفوذ عهد المماليك و مطلع نفوذ البويهيين.[4]

و تروي الكتب التاريخية أن القاهر خرج يوما و وقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس، وقصد بذلك التشييع على المستكفي فرآه بعض الهاشميين فمنعه من ذلك و أعطاه خمسمائة درهم، ولما علم المستكفي بذلك منعه من الخروج و ظل محبوسا إلى إن مات في شهر جمادى الأولى سنة 339 هـ في عهد الخليفة الطائع لله [334-363 هـ][5]. وبالخليفة المستكفي تنتهي فترة الحكم العباسي إلى الملك البويهي الذي كان في بلاد فارس تحت حكم "ما كان بن كالي" ومراد سويج بن زيار، و أخيه "شمكير بن زيار"[6] وكان أبناء بويه قادة في صفوف جيشهما و استولوا على بغداد سنة 334 هـ.

ثالثا مرحلة ازدهار دولة بني بويه:

ففي الفترة التي ساءت أحوال بغداد فيها تم استقلال عدد كبير من الدول هروبا من سلطة الحكم الواحد، كتب قادة بغداد إلى أحمد بن بويه الدخول إلى بغداد ففعل، و لقب معز الدولة ، و لقب أخاه عليا عماد الدولة و الحسن ركن الدولة، وقسمت البلاد إلى الجزء الجنوبي "سجستان" و"مكران" و"كرمان". كان للأخ الأوسط الحسن ركن الدولة الجزء الشمالي من بلاد فارس ، أما الأخ الأصغر فكان له العراق والأهواز و واسط و بغداد.[7]

---

[1] إبراهيم طرفان، النجوم الزاهرة في أخبار مصر و القاهرة، ج3، ص 283.
[2] حسن إبراهيم حسن، التاريخ الإسلام، ج3، ص 30.
[3] المرجع نفسه، ص 30.
[4] أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي، ج3، ص 395.
[5] حسن إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلام، ج3، ص 31.
[6] المرجع نفسه، ص 32.
[7] احمد شلبي، التاريخ الإسلامي، ج3، ص 412.

وفي فترة معز الدولة عمل هذا الأخير على إخضاع البريديين حتى يفعل كل ما بدا له في العراق.

فشكلوا خطرا على البلاد زمن الخليفة المتقي. إذ نصب نفسه البريدي قاضيا للبلاد رغم عدم أهليته لذلك المنصب ورفض الإذعان لأوامر الخليفة و استنجد بحلفائه من البرامكة والأتراك والديلم والقرامطة. و دخلوا بغداد و نهبوها كاملة حتى بلاط الخليفة سرق ولم يسلم حتى الحرم. فخلع المتقي بالله على يد توزون و أدخل بغداد مسمول* العينين والتي أصبحت عادة جارية على كافة الخلفاء العباسيين من بعده[1].

ما زال معز الدولة يشرع في التعديلات السياسية حتى وافته المنية على إثر مرضه و هو في طريق حرب البطائح قرب البصرة، فسار إلى واسط ثم إلى البصرة حتى وافته المنية ربيع آخر سنة 356 هـ وعمره ثلاث و خمسون سنة. فخلفه ابنه بختيار الذي لقب بعز الدولة [356 – 367 هـ][2] هذا الأخير لم يسمع نصائح أبيه بالحذر من الديلم، وبطاعة عمه ركن الدولة وطاعة ابن عمه عضد الدولة مما أدى به إلى السقوط بالحكم بعد رضوخه للترف و النساء. فسرعان ما عزل بختيار الخليفة المطيع و ولي الطائع الخلافة واضطربت أمور الدولة و زادت الخلافات بين الشيعة و أهل السنة والجند من الأتراك والديلم و غيرهم وأصحاب الاقطاعات التي سلبها باختيار غصبا. لم يجد حلا سوى الاستنجاد بركن الدولة في "الري" و "همذان" و"أصبهان" وابن عمه عضد الدولة في فارس حتى قامت حرب بينه وبين الخليفة الطائع في محرم 364 هـ [3]

هكذا فسحت الفرصة لعضد الدولة بالدخول لبغداد بعدما أشعل فتيل الحرب بين باختيار والخليفة، إذ حرض كل واحد على الآخر، سنة 364هـ لكن والده أنكر على عضد الدولة ذلك وهدده فأرجع الخليفة مكانه حتى توفي والده ركن الدولة في سنة 366 هـ أخرجهم عهد الدولة إلى العراق و احتلها و حارب بختيار في واسط لكنه لم يستسلم بل استعان بالحمدانيين في

---

* مسمول : سمل العين فقؤها، يقال سملت عينه، عينه تسمل، إذا فقئت بحديدة محماة و في حديث العرنين الذين إرتدوا عن الإسلام : أن النبي صلى الله عليه و سلم أمر بسمل أعينهم وإنما فعل ذلك بهم لأنهم فعلوا بالرعاة مثله و قتلوهم فجازاهم على صنيعهم بمثله، وقيل إن هذا كان قبل أن تنزل الحدود فلما نزلت نهي عن مثله. قال ابو دؤيب يرثي بنين له ماتوا: فالعين بعدهم كأن حداقها سملت بالشوك فهي عور تدمع ــ ابن منظور لسان العرب [من ذ إلى س] دار المعارف، ج3، ص 2101.

[1] ابي المحاسن جمال الدين ت،إبراهيم طرفان النجوم ،(القاهرة، دار الكتاب ،المؤسسة المصرية) ج3، ص 283 بتصرف.

[2] حسن إبراهيم حسن، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 51.

[3] المرجع نفسه، ص 52 بتصرف.

الموصل و استعان بأبي تغلب بن حمدان، لكن جيشه هزم مرة أخرى وسيق إلى عضد الدولة الذي قتله [1]

عندما احتل العراق و ما جاورها من "الموصل" و "ديار ربيعة" و "مبافارقين" و "آمد" و"ديار بكر" و"ديار مضر" ، كان سلطانه في أوجه مما سمح له فيما بعد البناء و التشييد بطاقات لم تعط لخليفة مثله.

[illegible] للعلم و الإصلاح، و قصره محط لكبار رجال العلم و الأدب فقصده العلماء من كل بلد و صنفوا له كتبا عديدة من بينها كتاب الإيضاح و التكملة في النحو الذي صنعه الشيخ أبو علي الفارسي فخدم البلاد أيما خدمة.

فانتعشت بغداد، بعدما كانت خرابا و فريسة في يد الأتراك و الفرس، ولقمة سائغة لأطماعهم. كما اشتدت المنافسة بين الترك و البويهيين لامتلاكها.

حكم عضد الدولة البلاد سنة 368 هـ بعدما نصبه عمه الحاكم قبل ذلك بحوالي ثلاثين سنة قربه على الحكم لثقته. و تزامنا لفترة توليته كانت البلاد تعمها الفوضى إذ كثرت المناوشات بين البويهيين و الحمدانيين ، كما انتشرت فتنة القرامطة و المتكلمين، وظهرت فرقة الشيعة التي زادت الحال سوءا عندما أمرت الناس بالتهجم على الخليفة. وقبل مجيء عضد الدولة ترك الطائع أمور الخلافة مرغما بذلك إذ لم يذعن لأمر أبي شجاع بادئ الأمر لكن عند هزيمته رضخ للأمر. حتى أمر الطائع الخليفة في سنة 368 هـ أن تضرب الدبادب (الطبلاخانات)على باب عضد الدولة وقت الصبح و المغرب والعشاء، وأن يخطب له على منابر الحضرة و زاد في ألقابه حتى قبل الأرض بين يديه.[2]

و بدءا من هذه الحادثة أبدى الطائع إسناد الأمور كلها إلى عضد الدولة قائلا له: قد رأيت أن أفوض إليه ما وكل الله إلي من أمور الرعية في شرق الأرض و غربها و تدبيرها في جميع جهاتها سوى خاصتي و أسبابي فقال عضد الدولة يعينني الله على طاعة مولانا أمير المؤمنين وخدمته1. على هذا النحو سارت التحولات السياسية لدولة بني بويه في ظل السلطة العباسية آخر عهده.

رغم ما أبداه الطائع من الولاء للدولة البويهية إلا أن إنهاء الدولة احتاج إلى مال فدبر أمر خلع الطائع على نفس الطريقة التي خلع بها الولاة من قبل. إذ استضاف الطائع بهاء الدولة بطلب منه فأذن له في المجلس الذي حضره العامة و طلب منه بعض الديلم تقبيل يد الخليفة فمد يده

---

[1] مرجع نفسه ص 53 بتصرف

[2] أحمد أمين، ظهر الإسلام، ص 52.

ظنا منه أن الأمر كذلك لكن المكيدة جرت عليه كما جرت على الخلفاء من قبله إذ جذبوه من سريره إلى الأرض و هو يستغيث و لا يلتفت إليه أحد. و أخذوا ما في داره ونهب الناس بعضهم بعضا ثم أمروه أن يخلع نفسه ففعل بعد أن تنازل للبويهيين عن كل شيء.[1]

هكذا انتهي العصر العباسي الثالث بالاضطرابات في شتي البلاد منذ عهده الأول خاصة عند تدخل العنصر الفارسي و الأتراك، و أخيرا انتعش قليلا على يد عضد الدولة بن بويه لكن سرعان ما عادت دفة الحكم إلى بهاء الدولة الذي عاث في الأرض فسادا بأخذ أموال الناس بعد عزل الطائع.

كل تلك التطورات أفرزت نتائج على الصعيد الاجتماعي و الفكري سنعرض إليها لاحقا.

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية

تأسست دولة بني بويه سنة 322 هـ على يد أبي شجاع و الذي كان من سكان "الديلم" جنوب غرب بحر قزوين، ثم انظم إلى خدمة دولة بني زيار سنة [318 –320 هـ] وعين مرادويج ولد بويه الأكبر واليا على" الكرج" جنوب "همذان" و بلغ أطماعه في الأخير احتلال "أصبهان"، "كرمان"، "الأهواز" ، "الري" ، "همذان" و"شيراز". [2]

ذلك المزيج الاجتماعي أدى إلى اضطرابات سياسية مهدت لأخرى اجتماعية في ظل ظروف قاسية عاشها عامة الناس. وكذا تضييق الخناق عليهم تغطية لأعباء الحرب وإمداداتها.

بينما المماليك تغوص في ترف و نعيم من جراء تداولها على الحكم فإن العامة في كل من شيراز و بغداد يعانون الفقر نتيجة لنهب المماليك لخيرات البلد، لعلمها مسبقا بأن البقاء للأقوى و فترة حكمهم محدودة بقوة الحاكم.

و بعد الفتوحات الإسلامية الشرقية منها و الغربية و استعادة الجزيرة العربية لهدوئها، وجد المجتمع الإسلامي نفسه كتلة اجتماعية ممزوجة و متداخلة فهو من الداخل نسيج من المتكلمة والزنادقة والمعتزلة و الشيعة و الخوارج و غيرهم من الفرق وهو من الخارج قبلة لشعوب مختلفة من يهود و مسيحيين و مجوس أغراهم التسامح الديني للإسلام بأن يدلوا بدلوهم ويجاهروا بمعتقدهم أمام الملأ بكل فخر و اعتزاز. فانقسمت الطبقة الاجتماعية إلى يهود، ومسيحيين، ومجوس وأقطاب من كل الشيع.

---

[1] المرجع نفسه، ص52.

[2] أبي بكر الباقلاني، التقريب و الإرشاد الصغير،ت عبد الحميد بن علي أبو زيدة (بيروت ،مؤسسة الرسالة،ط2 ، 1998)، ج1 ، ص 11.

كما أننا لا نجد فكرا مستقلا لكل من هذه الأديان و المعتقدات بل نجد تعدد الآراء والمذاهب وحتى العقيدة في الدين الواحد كما هو حال المسيحيين و التي تعتبر محل اهتمامنا في بيئة الإمام الباقلاني.

كان المسيحيون خاصة منهم اليعقوبية أكثر الملل انتشارا في القبائل المسيحية و التي حالفت المسلمين في حروبهم خاصة في السنين الهجرية الأولى تم اعتنقت الإسلام بعد ذلك دينا [1] لماله من روح التسامح و السمو الروحي.

كذلك الحال بالنسبة لليعاقبة إذ كان مستقرهم ببغداد و التي سنرى ردودا كثيرة للإمام الباقلاني على معتقد هذه الفرقة المسيحية التي نشأت في بغداد. و فتحت المجال للمحاورة مع الطرف الإسلامي بكل اعتزاز و فخر في ظل الحكم البويهي.

فقد كانت دمشق و حوران و شرقي الأردن في القرن السادس من الميلاد تستحوذ على 137 ديرا، و كان النساطرة عرب نجران قد تلقوا كتاب أمان من النبي صلى الله عليه وسلم أصبح بعد ذلك المثال للمعاهدات بينهم و بين المسلمين.

و قد أثبت ابن العبري في كتابه تاريخ الكنائس بأنه كان يطيب للنساطرة أن يهنؤا أنفسهم بما كان بينهم و بين المسلمين من تفاهم.[2]

إذ خاض النصارى في أصول الإسلام و الاستفهام عنه حتى أدى بالكثير إلى اعتناق الإسلام وترك المسيحية و فتح المجال للمحاورة و الجدال في العقيدة المسيحية و كشف تناقضاتها بالطرق العقلية التي تلائم فهم الخصم في الكثير من الأحايين.

وكثرت المذاهب الدينية القديمة عندهم من "مانوية"، "زرادشتية" و "مزدكية" والسلطان الديني لبغداد مال إلى الغروب بسبب الاختلاف المذهبي بين الخلفاء و البويهين، ازدهرت في هذا العهد جماعة إخوان الصفا و باشرت في ظل بني بوية ألوان الفلسفة والحكمة التي نسبت لها[3].

فالتمازج الفكري هو من إنتاج التمازج الاجتماعي هذا من ناحية و من ناحية أخرى تظهر الفوارق الاجتماعية للحالة المعيشية في فترة الحكم العباسي إذ ينقسم المجتمع إلى ثلاثة مراتب:

-**المرتبة الأولى:** هي مرتبة الملوك و الحكام و الجيش الذي تميز بالرفاه و الرخاء في كل مناحي الحياة كيف لا و لهم زمام الأمور.

---

[1] لويس غارديه، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية،ت،جورج قنواتي،صبحي صالح ،فريد جبر (بيروت، دار العلم للملايين، ط2 ،1983) ج2، ص 28.

[2] **المرجع نفسه، ص 28.**

[3] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج3، ص 414.

فالأمراء لم يستغلوا طاقات البلاد لخدمة الشعب بل لصالحهم و بخاصة في العصر الثاني ظل الأتراك و الديلم ينهبون الإمارة بعدما استخدموا في الجيوش فكل من يعترض طريقهم في النهب قاتلوه و إن كان الخليفة نفسه فعندما تولى الخلافة المنتصر 247 وأحس باستبداد الترك سبهم ولقبهم بقتلة الخلفاء، فدسوا له السم فمات[1]

زاد أغلب الحكام و المماليك في ظلمهم على العامة تحت ابتزاز الأتراك وهذا ما حدث لمعز الدولة إذ ثار الجند عليه وأسمعوه المكروه فضمن لهم إيصال هذا الأخير بالتضييق على الناس وأخذ أموالهم من غير وجوهها[2] وهكذا جرت الأمور حتى عادت بالوباء والفقر على الطبقة الكادحة من الناس.

-**المرتبة الثانية:** وهم العامة من الناس التي تكدح للعيش رغم صعوبات الوضع مع المماليك التي تتناوب الواحدة تلوى الأخرى و النهب و السلب جار على الخلافة ففي فترة الراضي و ابن الرائق كان الوباء والمرض بأنواعه في المجتمع على أشده.

كما نشأ في الدولة العباسية نظام تكتل العمال و الموظفين مع الوزير الذي يتولى الوزارة و من ثم فقد كان فصل الوزير و مصادرته يقتضيان أن يفصل ويصادر أتباعه من الولاة والكتاب [3].

في عهد عماد الدولة حسن أمر الرعية الذي كان كريما حليما عاقلا حسن السياسة للملك والرعية[4] بعد فترة حكمه عاد ظهور الهم والفقر إلى بغداد و كثرت أورام الحلق والماشيرا* وكثرت الموت بها ، وكل من انتقلت إليه العدوى من هذه الأورام لاقى حتفه. كما جفت الأرض و غلت الأسعار* في كثير من البلاد فخرج الناس يستسقون في أنحاء البلاد وظهر ببغداد جراد عظيم فأكل ما أكل من الخضر وات فضيق على الناس أمر عيشهم خلال سنتي [346-332 ه] كما ذكر ابن الأثير[5]

فبعد هذه الفترة جاء عضد الدولة الذي خدم البلاد أيم خدمة فيقول أحد المؤرخين أن بلاد العراق كانت مليئة بالأنهار، والبساتين على ضفاف نهر الدجلة. فسدت مجاريها بالتراب، فحدث

---

[1] عبد العزيز سالم، العصر العباسي الأول، (مصر، الإسكندرية ،مؤسسة شباب الجامعة) ج3، ص10.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص 317.

[3] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج6، ص 203.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص 333.

* الماشيرا : هي مرض عضوي كلما إقتصد به إنسانا و انتقلت إليه العدوى إلا و لقي حتفه.

* كان الغلاء العظيم ببغداد أبيع كر القمح بمائتي دينار وعشرة دينار وأكلوا ميتة و كثرت الأموات على الطرق، و عم البلاء **وخرج في شهر** الربيع الأخر سنة 380 (أي الحرائر) من قصر الرصافه يستغثن **في** الطرقات الجوع، الجوع.. ابراهيم طرفان، النجوم الزاهرة، ج3، ص 283.

[5] المرجع نفسه، ص 356.

أن غابت ونسيت بعد فترة الجفاف التي شهدتها البلاد وعدم العناية بالمياه الصالحة لانشغال الحكام عنها بالخلافات.

فأمر عضد الدولة بحفر عمدانها و رواضعها وأقام الجسور بالإحكام التي على ضفافها وأصلح حال الزراعة و البناء وأقام جسر بغداد الذي يشكل خطرا عظيما على المارة لضيقه و ضعفه، فعرض حتى أصبح فسيحا و وكل الحراس بحفظه.

وفي سنة 371هـ، أنشأ مشفى للمرض عرف بالبيمارستان العضدي، وأحضر له ما يلزمه من الأدوية و الآلات كان يدرس في الطب [1].

المطلب الثالث: الحياة الفكرية

بعد التطورات السياسية التي حدثت في البلاد العربية خلال القرنين الثاني و الثالث – شهدت بغداد و البصرة انفتاحا كبيرا على العلم خاصة بعدما انتشرت الثقافة اليونانية فلسفة وفكرا ومنطقا و كثرت الحركات المناوئة للإسلام، أسهم كل هذا في اتساع نطاق المواضيع العلمية.

هكذا تميز عصر الباقلاني ببروز حركة علمية ذات توجهات عديدة وتيارات متنوعة شملت مجالات العلم والدين والأدب.والفلسفة وعلم الكلام والتصوف والحديث[2].

إن ظهور الفكر الكلامي الواقعي كان سبب نشأته الأولى كما يرى النجار تلك التطورات الاجتماعية و السياسية من اتساع الرقعة الإسلامية ودخول الأجناس كل يدين بدينه ويدافع عن معتقده وحركته كالحركة الشيعية في بغداد والتي زاد نفوذها مع الحكم البويهي. فسارع علماء ذلك العصر للرجوع إلى أصل الوحي وعليه نشأت القضايا الكلامية [3] .

فالحركات الفكرية على اختلافها فلسفية، دينية جعلت من التفاعل العلمي عاملا مهما للنهوض بمنهج عقلي فعال بمنطلق الوحي .

تميز القرن الثاني للهجرة بظهور المنهج العقلي للردود على المتكلمين، فاستخدموا آليات الفلسفة في الحجاج مع النصارى والمجوس المتمرسين بالفلسفة اليونانية و منطلقها الصوري، وجاءت المبادرة من المعتزلة أولا باستعمال الحجج العقلية الذي أصبح فيما بعد الأسلوب الغالب على

---

[1] أحمد أمين، ظهر الإسلام،(لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط5) ص 56.

[2] حسني أبو سعده، المنهج النقدي عند الباقلاني، (مصر القاهرة،رسالة ماجيستر، ط1 ،1991) ص39.

[3] عبد المجيد النجار، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي (بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992) ص139.

الفكر الكلامي عند الأشاعرة وغيرهم من الفرق [1]. فمثلا الأفكار المشكلة للفرق المسيحية الثلاث الملكانية واليعقوبية والنسطورية* لا تجابهها إلا أفكار تستمد أصولها من الفلسفة الوسيطية اليونانية، والأفلاطونية المحدثة. فهكذا حدث تطور في الفكر الكلامي خاصة في منهجه فاتسعت دائرة اهتمامه كالمسائل الفلسفية والطبيعية مثل قضايا العلة والمعلول والعرض والجوهر وأمثالها، واستخدمها مقدمات في الاستدلال على العقيدة الإسلامية ورد الشبهة الواردة عليها وأصبح ذلك سنة ماضيه في هذا الفكر[2] أعلام هذا العصر كأمثال الجاحظ والباقلاني والقاضي عبد الجبار وابن رشد و الجويني و غيرهم ممن وهب حياته للدفاع عن القرآن و السنة والعقيدة الإسلامية بشتى الملكات الفكرية التي حباهم الله بها.

---

[1] عبد الرؤوف مخلوفي، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، (لبنان بيروت،دار مكتبة الحياة،1978)ص 94 (رسالة دكتوراه).

* **تعريف الملكانية** : جاء في كتاب التمهيد بأن الملكانية هم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم و استولى عليها معظم الروم ملكانية قالوا إنّ الكلمة اتحدت بجسد و تدرعت بناسوته و يعنون بالكلمة : أقنوم العلم . و أهم ما يميّز الملكانية عن باقي الفرق النصرانية المعتقدات التالية :

⇐ المسيح طبيعة واحدة .

⇐ الاتحاد هو الاتفاق اللاهوت و الناسوت في الإرادة .

⇐ الصلب وقع على اللاهوت و الناسوت معا .

و يبدو من المقارنة أنّ الملكانية هي أقرب إلى النساطرة فلا يعدوا أن يكون الخلاف بينهما في أن يكون المسيح أقنومين لها إرادة واحدة كما ترى النساطرة و المسيح بكامله كما ترى الملكانية (1) أنظر التمهيد .

و قالوا أنّ مريم ولدت " المسيح " و هو اسم يجمع اللاهوت و الناسوت ، و قالوا : إنّ الذي مات هو الذي ولدته مريم وهو الذي وقع عليه الصلب التسمير و الصفع و الربط بالحبال و اللاهوت لم يمت و لم يألم و لم يدفن ، قالوا و هو الله التام. بنفسه و إنسان تام بجوهر ناسوته، و له المشيئتان مشيئة اللاهوت و مشيئة الناسوت ، فأتوا بمثل ما أوتي به اليعقوبية من أنّ مريم ولدت الإله ، إلا أنهم بزعمهم نزّهوا الإله عن الموت (2) أنظر، عبد الحكيم فرحات، منهج عبد الجبار في الرد على النصارى،رسالة ماجستير (الجزائر ، قسنطينة، 1995-1996) ص195.

* **تعريف اليعاقبة :** اليعاقبة هم نسبة إلى يعقوب البرادعي و لقب بذلك لأنّ لباسه كان من خرق برادع الدواب ، يرقع بعضها بعضا و يلبسها (1) إبن حزم الأندلسي، الأصول و الفروع، ت محمد عاطف العراقي سمير فضل الله (دار النهضة العربية،ط1 ،1987،1407) ص 206، هامش ص 380.

أو هم أتباع يعقوب هذا المولود عام 500 في مدينة ناجمة من أعمال تصيبين شرق الرها و كان أكثر الغساسنة من أتباع هذا المذهب واليعاقبة مذهب من مذاهب الكنيسة الشرقية و يدعون كذلك بالمتوفستين أي القائلين بالطبيعة الواحدة و معنى ذلك أيّ المسيح هو الله و أنّ الله و الإنسان اتحاد في طبيعة واحدة هو المسيح (2) إبن قيم الجوزية، هداية الحيارى في الرد على اليهود و النصارى،(لبنان، بيروت،دار الكتب العلمية،ط2-،،1994،1415) ص 195 .

فاليعاقبة قالوا بالأقانيم الثلاثة إلاّ أنهم قالوا إنقلبت الكلمة لحما و دما فصار الإله هو المسيح و هو الظاهر بجسده (3) التمهيد،تعماد الدين أحمد حيدر،(لبنان بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية ط1 ،1967-1401)ص101.

فالكنيسة اليعقوبية ترقى في سوريا إلى أوّل عهد المسيحية و في أنطاكيا مدن سوريا أطلق اسم المسيحيين على إتباع اليسوع سمي السريان في الماضي (يعاقبة) نسبة إلى يعقوب البرادعي أحد كبار رجالتهم و لكنهم يرفضون هذه التسمية و إسم كنيستهم الرسمي الكنيسة السريانية الأرثودكسية و رئيسهما الروحي هو بطريك أنطاكيا وهي لم تقبل بمجمع خلقدونيا فهي متحدة بالكنائس الأرثودكسية و الكاثوليكية. الأب توماس مشال اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية (بيروت لبنان، دار المشرق، ط2، 1995) ص158.

[2] عبد المجيد النجار، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي،ط1 ص 147.

هكذا كان صرح الحياة الفكرية والحركة العقلية والأدبية في دولة بني بويه، إذ بلغت الغاية في التحصيل والإنتاج [1].

على ضوء هذه التطورات اتسم الفكر السني عند البعض بذم الفلسفة وأهلها خاصة علماء التفسير الذين نهوا عن الخوض في ذات الله وصفاته والاكتفاء بما جاء في نصوص القرآن والسنة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] أحمد أمين، ظهر الإسلام، ص 57.

المبحث الثاني : نشأته (نسبه –ولادته –وفاته)

المطلب الأول :أ) نسبه :

إن جل المصادر القديمة التي بين أيدينا و ما كتب عن حياة الباقلاني لم تذكر تفاصيل حياته وأسرته وحالتها المعيشية فضلا عن الدراسات التي جاءت من بعدها بقرون وتترجم لسيرته، تكاد تخلو من ذكر أسرته وأحوالها الاجتماعية.

كذلك لم يعن الباقلاني في مؤلفاته بالحديث عن هذا الجانب من حياته بل اقتصر فيها على الجانب العلمي، فضلا عن ذلك ضياع الكثير من مؤلفاته إذ لم يبق منها سوى ما يناهز الثلث.

ومن بين سير الأعلام التي ذكرت نسبه وفيات الأعيان لابن خلكان حيث يقول : (الباقلاني بفتح الباء الموحدة وبعد الألف قاف مكسورة ثم لام ألف وبعدها نون، هذه نسبة إلى الباقلاني وبيعه)[1]، هذه عن نسبه الباقلاني أما نسبه إلى أبيه فهو، محمد بن محمد جعفر، أبو بكر، قاضي من كبار علماء الكلام انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة وسكن بغداد[2].

كما كانت عائلته تقطن بالبصرة. وهي عائلة متواضعة، فأبوه كان يبيع الباقلاء، ومنه جاءت كلمة الباقلاني. وقيل نسبه إلى قصر الباقلي، لكن لم يذكر عبد الرحمن بدوي علاقة اسمه بالقصر ولم تذكر مصادر غيره هذه النسبة. وعرف الإمام الباقلاني باسم القاضي لأنه ولي بالثغر* عهد الدولة البويهية إذ كان قاضي القضاة آنذاك[3]

المطلب الثاني :ب) ولادته

اختلفت المصادر التاريخية في تحديد البلد الذي ولد فيه الباقلاني فمنها ما يذكر بأنه ولد بشيراز وبعضها يذكر بغداد والراجح أنه ولد بالبصرة لعدة اعتبارات هي :

–أن أسرته كانت بالبصرة وهذا ما يثبت تاريخيا وقد أشرنا إلى ذلك في معرض حديثنا عن نسبه على حد قول ابن خلكان ولد بالبصرة وسكن بغداد[4].

– أما عن تاريخ ميلاده بالتحديد فلا يمكن الجزم به إلا ما ذكره خير الدين الزركلي إذ يرجع سنة مولده إلى [338 هـ 950م][5] للاعتبارات التالية :

---

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان، (بيروت، دار صادر، م4، حققه احسان عباس) ص 27.

[2] خير الدين الزركلي، الإعلام (بيروت لبنان، دار الملايين، م6، ط5، ماي 1980) ص 909. وللزيادة أنظر، ابن عساكر، تبين كذب المفتري (بيروت لبنان، دار الكتاب العربي، ط3، 1404، 1984) ص 217 – 226.

* الثغر : مدينة في العراق هي بفتح السكون وراء كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغرا كأنه مأخوذ من الثغرة و هي الفرجة في الحائط قال يحي بن جابر، كانت الثغور الشامية لأيام عمر و عثمان و بعد ذلك أنطاكيا وغيرها المدعوة بالعواصم ياقوت. بن عبد الله معجم، البلدان، ط1، ج1، ص 93.

[3] عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين (بيروت ، دار العلم للملايين ط3، 1983) ج1، ص 572.

[4] ابن خلكان، وفيات الأعيان حققه إحسان عباس م4 ص27 .

[5] خير الدين الزركلي، الأعلام، ص 909 –الباقلاني –.

1- أن الباقلاني نشأ في الربع الأخير من القرن الرابع و توفى سنة 403هـ قطعا ذكرت في أغلب المصادر التاريخية وتراجم الأعلام.

2- فترة حكم عضد الدولة [365-372هـ] استدعاه عضد الدولة فترة شبابه ليتعلم على يد شيوخه بن ماسي المتوفى 369 هـ النيسابوري 375هـ أخذ عن الواعظ [1]خلف شيخه أبي الحسن الأشعري* بعد أن نهل منه علما غزيرا، كل ذلك يوحي بأن تاريخ ميلاده يقارب أو يساوي تاريخ الزركلي أي في الربع الثاني من القرن الهجري الرابع حسب محققي كتاب التمهيد زاهد الكوثري و الخضيري.

المطلب الثالث :ج) وفاته:

توفي أبو بكر أخر يوم السبت، ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد رحمه الله تعالى وصلى عليه ابنه الحسن ودفنه بدار بدرب المجوس [2] *

لقد حضر جنازة الإمام الباقلاني جمع غفير عدّ بالآلاف، من محبيه من التلاميذ، ومحبي آرائه وكلامه ومناظراته حتى ممن سمع به دون أن يراه.

وفيما يروي عن حرب بن عبد الله أحد أصحاب بني جعفر المنصور، حضر جنازة الإمام وهو حاف القدمين، وأمر أن ينادي بين يدي جنازته : هذا ناصر السنة والدين، هذا إمام المسلمين، هذا الذي كان يدب عن الشريعة ألسنة الملحدين، وزاد على ذلك بقعوده للعراء ثلاثة أيام مع أصحابه [3].

لقد كان لوفاة القاضي وقع كبير على أهل السنة والدين حتى رثاه أحدهم قائلا :

- أنظر إلى جبل تمشي الرجال به *** وأنظر إلى القبر ما يحوي من الصدف
- أنظر إلى صارم الإسلام منغمدا *** وأنظر إلى درة الإسلام في الصدف

---

[1] الواعظ أبي الحسن ابن سمعون البغدادي، شذرات الذهب، (387 هـ) ج 3 ص 8 – 12 .

* ابو حسن الأشعري : هو علي بن إسماعيل بن أبي بشير إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى بن عبد الله بن قيس الأشعري البصريّ المتكلم أبو الحسن صاحب التصانيف في الكلام و الأصول والملل والنحو مولده 260، كان معتزليا ثم تاب إ هـ. الرجوع إلى جمال الدين أبي المحاسن، النجوم الزهرة في ملوك مصر و القاهرة، ج3، ص 259.

[2] أبو بكر الباقلاني، التمهيد، ، ت- عماد الدين أحمد حيدر،ط1 ص 20.

* درب مجوس: الدرب هو الطريق الذي يسلك و هو موضع بالعراق و هناك دروب عديدة. معجم البلدان ص510.

[3] ابن عساكر، تبين كذب المفتري، ط3 ص 218. أنظر، الخطيب البغدادي، الفرق بين الفرق(بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط3، 1417 – 1997) ص 455.

المطلب الرابع : أخلاقه.

إن من أكبر الشخصيات التي تصدت للثقافات الوافدة والمدافعة عن السنة على أيام الدولة البويهية الإمام الباقلاني الذي لم يدخر جهدا في الدفاع عن العقيدة الإسلامية زمن الفتن.

فالباقلاني كان متمتعا بأخلاق إسلامية عالية وبغيره شديدة على الدين والدفاع ضد الملحدين.

إذ تذكر المصادر بأنه، كان واسع الإطلاع، قوي الذاكرة، سريع الخاطر، حاضر البديهية نير البيان، كما كان له ذكاء متقد، وحافظة قوية، ولسان لا يغالب في المناظرات، ومؤلفاته أصدق شاهد على ذلك، و له مقدرة خارقة للعادة في تصيد الحجج من ثنايا الكتاب والسنة، و الآثار ضد مخاصميه فيعجب اللبيب مما جمع الله له من المنح العظمى[1]

كل تلك المزايا في شخصه جعلته مؤهلا للصد للمد المسيحي، والثقافات الوافدة آنذاك في ظل الفتوحات الإسلامية في العصر العباسي الثالث .. إذ دافع عن السنة والحديث، وكذا كل من خاض في صفات الله من المجوس، و اليهود فأفرد لهم كتابا خاصا آلا وهو كتاب "التمهيد" الذي أجملنا لردوده على النصارى هذا البحث.

فمؤهلات الباقلاني المتمثلة في الصفات الخلقية التي جبله الله عليها والمكتسبة في دخول الثقافات الوافدة جعلته يغرف العلم على رأس شيوخ في شتى مناحي العلم، الحديث، اللغة والبلاغة وغيرها من العلوم ومن أبرز الشيوخ الذين أخذ عنهم علم الدنيا و الدين، كالسمناني، والدار قطني وأبو الحسن فصاحبهم وحذا حذوهم في الأدب والعلم.

وفيما يروي عن أبي ذر الهروي أنه قال في سبب أخذه عن الباقلاني ومعرفتي بقدر أني كنت مرة ماشيا مع أبي الحسن علي الدار قطني إذ لقينا شابا فأقبل أبو الحسن عليه وعظمه ودعا له، فقلت للشيخ : من هذا الذي تصنع له هذا؟ فقال لي : (هذا أبو بكر بن الطيب نصر السنة وقمع المعتزلة، وأثنى عليه، قال أبو ذر، فاختلفت إليه وأخذت عنه يومئذ وأخذ عنه جماعة لا تعد من أهل اللغة والفقه والدين)[2] هذا رأي علماء عصره كالإمام الهروي، أما من جاء بعده ودرس مؤلفاته في القرآن كالإعجاز والبلاغة، وأصول الفقه كـ"التقريب والإرشاد الصغير"، وعلم الكلام يثني عليه أيم ثناء كالسمناني الذي يقول إنه مؤمن آل فرعون، يعني أنه الأشعري الوحيد بين الحنفية – غير محاذر أن ينقلب ذلك عليه باعتبار أنه وحيد بين أصحابه [3] أي بمعنى السني على عقيدة الأشعري وحده دون خوف ولا محاباة في عمله.

---

[1] أبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب إعتقاده ولا يجوز الجهل به، ت- زاهد بن الحسن الكوثري (القاهرة، مكتبه الخانجي، ط3، 1413 هـ - 1993) ص 6 (مقدمة الكوثري).

[2] عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، (لبنان بيروت دار العلم للملايين،ج2 الأشاعرة)ط 3 ص 574.

[3] أبو بكر الباقلاني، الإنصاف، ت زاهد الكوثري ص 7 المقدمة.

المبحث الثالث : سيرته العلمية.

المطلب الأول : شيوخه وتلاميذه.

1)شيوخه:

لقد خدم العلم الديني بعد وفاته صلى الله عليه وسلم جمع غفير من حفظة القرآن والحديث، و من بين هؤلاء شيوخ القاضي أبو بكر و هم:

أبو بكر بن مالك القطيعي، وأبو محمد بن ماسي وأبو أحمد الحسين بن علي النيسابوري وهذا ما ذكره صاحب التمهيد "سمع الحديث من أبي بكر بن مالك القطيعي وأبي محمد بن ماسي، وأبي أحمد الحسين بن علي النيسابوري، وأخذ علم النظر عن أبي عبد الله بن مجاهد الطائي صاحب الأشعري، خرج له محمد بن أبي الفوارس يعني الحنبلي وحدثنا عنه القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني وكان ثقة[1] هؤلاء عن أغلب شيوخه الذين أخذ عنهم وسنتعرض لهم بالتفصيل لاحقا.

1-ابن مجاهد : وهو أبو عبد الله محمد ابن احمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي. قال السبكي هو شيخ القاضي أبى بكر الباقلاني، وكانت بينهما مناظرات. وتحدث عنه ابن تيمية فجعله من طبقة الأشعري وأخذ عنه الباقلاني علوم العقيدة.

2-أبو حسن الباهلي وهو العبد الصالح شيخ أبي إسحاق وأستاذ ابن فورك وشيخ صاحبنا. وكان الباقلاني كثير الأخذ عنه ، إلا أن الباقلاني كان أخص بابن مجاهد كما كان صاحبه أخص بالباهلي .

3- القطيعي: وهو أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك أبو القطيعي ، وأبو حفص بن شاهين، ومن دونهم .لقبه البغدادي بالناقد ،وسمع منه الباقلاني علم الحديث وتوفي سنة 368 هـ. وواضح من ذلك التاريخ أن الباقلاني تلقى عنه في حداثته.

4- الدار قطني: وهو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار ابن عبد الله الحافظ الكبير ، أستاذ هذه الصناعة ، سمع الكثير ، وجمع وصنف ألف من الكتب ،أجاد وأفاد، واحسن النظر والتعليل والانتقاد والاعتقاد ، وكان فريد عصره ، ونسيج وحده ، وإمام دهره في أسماء الرجال وصناعة التعليل ، والجرح والتعديل، واتساع الرواية والإطلاع التام والدراية .. وكان من صغره مشهورا بالحفظ الباهر ... قال النيسابوري لم ير الدار قطني مثل نفسه، واجتمع له

---

[1] الباقلاني، مقدمة التمهيد. ت لمحمود الخضيري، ط1، ص 9 – 10.

مع معرفة الحديث العلم بالقراءات والنحو والفقه. ومن شعره قوله في القاضي أبي بكر احمد بن موسى الانطاكي .

- يا ظريف الصنيع والآلات ⚜ ⚜ وعظيم الأشجـــان واللـــــوعـــات.
- إن تكن عاشقا فلم تأت ذنبا ⚜ ⚜ بل ترقيـــت رفعة الدرجـــــــات.
- متى أقضي بالقصاص على ⚜ ⚜ لحظ حبيب أخطئ طريق القضاة.

واخذ عنه صاحبنا علم الحديث ومصطلحة. توفي سنـــــة385 هـــ .

5- العسكري : وهو أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد العسكري، أحد الأئمة في الآداب والحفظ وصاحب أخبار ونوادر، وله رواية واسعة، وله التصانيف المفيدة .وكان الصاحب بن عباد يود الاجتماع به ولا يجد إلى ذلك سبيلا فقال لمخدومه مؤيد الدولة يوما إن عسكر مكرم قد اختلت أحوالها واحتاج إلى كشفها بنفسي، فأذن له مؤيد الدولة فسافر إليها، فلما أتاها توقع أن يزوره العسكري، ولكنه لم يصنع، فكتب إليه الصاحب:

- ولما أبيتم أن تزوروا وقلـــتـــم ⚜ ⚜ ضعفنا فلم نقدر على الوخـــــــدان.
- أتيناكم من بعد ارض تزوركم ⚜ ⚜ وكم منزل بكـــــــر لنا وعـــــوان.
- نسائلكم هل من قرى لنزيلكـــم ⚜ ⚜ بمـــلئ لا بـــمـــلء جـفـــــــان.

قالوا وكتب مع هذه الآبيات شيئا من النثر فجاوبه العسكري عن النثر مثله وعن الشعر بالبيت المشهور :

أهم بأمر الحزم لو استطيعـــه ⚜ ⚜ وقد حيل بين العير والنـــزوان

وتوفي العسكري سنة 388هـــ واخذ عنه الباقلاني مسائل في النقد والبلاغة[1]

2) تلاميذه

إن الإمام الباقلاني تعلم العلم عن فحول اللغة و البلاغة و الحديث و الأصول وعلم الكلام مما جعله منارة لكثير من طلاب العلم، اللذين وفدوا عليه من كل حدب وصوب من المشرق والمغرب خاصة من المذهب المالكي السني لأنه كان مدافعا عن أهل السنة والحديث زمن الفتن. كما انتشرت آراؤه في بقاع الدول الإسلامية وذاع صيته على يد مريديه وتلاميذه الذين انتشروا بدورهم في بقاع الدولة الإسلامية إذ خرج منهم ألمع المتكلمين كأمثال أبي محمد عبد الوهاب بن نصر المالكي وعلي بن محمد الحربي وأبي جعفر السمناني وأبي عبد الله الأزدي وأبي الطاهر الواعظ -رحمهم الله- هذا عن أهل المشرق ومن أهل المغرب أبو عمر

---

[1] عبد الرؤوف مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن (ص 84 و ما بعدها نقلا عن طبقات السبكي) ج2، ص 257. و للزيادة أنظر تاريخ بغداد، ج5، ص379 و بداية والنهاية، ج11، ص 316.

بن سعد وأبو عمران الفاسي الذي رحل إليه وأخذ عنه إذ يقول (رحلت إلى بغداد وكنت قد تفقهت بالمغرب والأندلس عند أبي الحسن القابسي وأبي محمد الأصلي وكانا عالمين بالأصول فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر ورأيت كلامه في الأصول و الفقه مع الموالف والمخالف – حقرت نفسي – وقلت لا أعلم من العام شيئا ورجعت عنه كالمبتدئ)[1]

كما تفقه عنه أبو محمد بن نصر وعلق عنه و حكي في كتبه ما شاهد من مناظراته في الفقه بين يدي ولي العهد ببغداد للمخالفين[2].

و من أبرز ما أنتجت المدرسة الباقلانية ما يلي :

– أبو عمران الفاسي :

تتلمذ أيضا عن القابسي بالقيروان و الأصل بقرطبة حتى جلس يدرس بالقيروان مدة طويلة وعنه أخذ العام جموع من الطلبة من كافة أنحاء المغرب والأندلس وتفقه عليه جماعة كعتيق السوسي وأبي القاسم السيوري توفي [462هـ 1069م] وجماعة من الفاسيين و الأندلسيين وطارت فتواه بالمشرق والمغرب[3].

– أبو الحسن علي بن محمد القابسي [403هـ–1012م]:

كان أبو الحسن شديد الصلة بتلاميذ الباقلاني و ذكر ابن عساكر أنه كان كثير الثناء على الأشعري حتى ألف رسالة في فضل التصديق بالقلب دون أن يكون العمل بالجوارح عنصرا منه[4]

و هو من أتباع تلاميذه لم يأخذ عنه العلم مباشرة أي عن الباقلاني بل جاء من بعده بزمن.

ففي أواخر القرن الرابع بدأ دفق من تلاميذ الباقلاني الذين أخذوا عليه فقهه المالكي وعقيدته الأشعرية يعودون بهذا العلم إلى المغرب و ينشرونه بربوعه[5].

– عبد الله الأزدي :

تتلمذ عبد الله مباشرة عن الباقلاني و بعثه هذا الأخير إلى الشام لينشر الأشعرية و من ثم توجه إلى القيروان ويبدو أنه كان أشعريا خالصا أخذ عن معلمه بكل نباهة وكان بارعا في التوحيد

---

[1] عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، ط3، ص 574 – 575.
[2] المرجع نفسه، ص 375.
[3] عبد المجيد النجار المهدي، ابن تومرت، (بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1403، 1 هـ 1973م) ص: 435.
[4] المرجع نفسه، ص 435.
[5] عبد المجيد النجار المهدي، ابن تومرت، ط1، ص 436.

وتنزيه الله ونفي التشبيه و التجديد فخرج أهل دمشق من مجلسه وهم يقولون أحد-أحد [1] فقد كان نعم التلميذ لنعم المعلم

أبو الطاهر البغدادي :

و هو من ممثلي المدرسة الباقلانية الأشعرية في علم الكلام على الخصوص و كذا علم الأصول الذي كان مبرزا قال فيه أبو عمران الفاسي (لو كان علم الكلام[2] طيلسانا ما تطيلس به إلا أبو الطاهر البغدادي)[3]

هكذا فقد ذاع صيت الباقلاني على يد تلاميذه و ممن عاصره وسمعوا كلامه وفصاحته وعرفوا زهده وتقواه إذ لم يكن يسمح للزنادقة في الخوض في صفات الله والأحاديث عن القرآن الكريم ولا الطعن في سند و متن الأدلة التفصيلية للعقيدة الإسلامية فعلى هذا النمط انتشر أتباعه وتلاميذه و محبوه في أقطار المغرب العربي والأندلس دفاعا عن الإسلام.

المطلب الثاني :الحياة العلمية

1)كتبه :

إن المكتبة الإسلامية تزخر بتراث فكري كبير خلفه القاضي أبو بكر الباقلاني الذي ناهزت مؤلفاته الاثنين والخمسين مؤلفا في شتى العلوم، التاريخية و السياسية وعلم الكلام، والبلاغة، وأصول الفقه لكن مع الأسف لم يبق منها إلا القليل وفي بعض الأحيان لم يبق منها إلا الأسماء.

وفيما يرويه عنه ابن عساكر أنه كان يكتب أكثر من خمس وثلاثين ورقة من تصنيفه [4]

وجل كتاباته كانت في علم الكلام الذي كان أعرف الناس به في عصره وأحسنهم خاطرا وأجودهم لسانا، و أوضحهم بيانا وأصحهم عبارة، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة، المعتزلة الجهمية و الخوارج و غيرهم [5]

أما عن أسماء مجموع الكتابات التي وصلتنا في رسالة الدكتوراه لمخلوفي فهي كالآتي :

---

[1] المرجع نفسه، ص 435-436.

[2] علم الكلام:هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية بالرد على المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة وسير هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد .وهذا ماسوف نراه في عرض القاضي لاحقا .عبد الرحمان بن محمد إبن خلدون،ديوان العبر والمبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر،ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر(بيروت لبنان، دار الجيل،د-ط) ج1 ،ص507

[3] المرجع نفسه، ص 436.

[4] ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ص 456 أنظر الإنتصار لنقد القران، ت – محمد زغلول (القاهرة، الإسكندرية، منشأة المعارف) ص 4 وإعجاز القرآن والبداية والنهاية، ج2، ص 144.

[5] أبو بكر الباقلاني، التمهيد، ت أحمد حيدر ط1 ،ص 13.

كتب علم الكلام والديانات

1. كتاب الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة .
2. كتاب كيفية الاستشهاد في الرد على أهل الكفر والعناد .
3. كتاب اكفار المتأولين وحكم الدار .
4. كتاب شرح اللمع.
5. كتاب أدب الجدل
6. كتاب المسائل و المجالسات المنثورة
7. كتاب الرد على المتجانسين
8. كتاب الرد على المعتزلة فيما اشتبه عليه من تأويل القرآن.
9. كتاب في أن المعدوم ليس بشيء
10. كتاب دقائق الكلام
11. كتاب تصرف العباد و الفرق بين الخلق والاكتساب.
12. كتاب رسالة الحرة.
13. كتاب نقض النقض.
14. كتاب الرد على الرافضة و المعتزلة والخوارج و الجهمية
15. كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل الذي هو موضوع الدراسة والذي كتبه الإمام الباقلاني لابن عضد الدولة أبي شجاع.

كتب الديانات :

16. كتاب المقدمات في أصول الديانات.

كتب السياسية :

17. كتاب الإمامة الكبيرة
18. كتاب الإمامة الصغيرة
19. كتاب نصرة العباس وإمامة بنيه
20. كتاب المسائل القسطنطينية.
21. كتاب الدماء التي جرت بين الصحابة.
22. كتاب الأوسط
23. كتاب مناقب الأئمة موجود بمكتبه دمشق.
24. كتاب رسالة الأمير

25.كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار.

كتب الفقه وأصوله

26.كتاب الأصول الكبير في الفقه

27.كتاب الأصول الصغير.

28.كتاب الحدود في الرد على أبي الطاهر.

29.التقريب والإرشاد في أصول الفقه موجود بجامعة الأمير عبد القادر قسنطينة.

30.القنع في أصول الفقه

31.كتاب الأحكام و العلل.

32.كتاب البيان عن فرائض الدين وشرائع الإسلام و وصف ما يلزم من جرت عليه الأقلام من معرفة الأحكام.

33.كتاب مختصر التقريب والإرشاد الأصغر.

34.كتاب فضل الجهاد

كتب العقيدة :

35.الإنصاف في أسباب الخلاف.

36.كتاب في المعجزات كتاب بيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات و الحيل الكهنة.

37.كتاب التبصرة

38.كتاب الإيمان

وكتب أخرى في علوم القرآن و البلاغة.

39.الإعجاز في القرآن و هو كتاب معجزة عن القرآن لم يضاهيه أحد

40.كتاب أجوبة أهل فلسطين.

41.كتاب البغداديات

42.كتاب النيسابوريات

43.كتاب الجرجانيات

44.كتاب الكرامات

45.نقض الفنون للجاحظ.

46.كتاب التعديل و التجوير.

47.كتاب الأصبهانيات.

48.كتاب مسائل سأل عنها ابن عبد المؤمن.

49.كتاب الانتصار لصحة نقل القرآن الكريم.

50.كتاب هداية المسترشدين

51.كتاب الإنصاف في أسباب الخلاف

52.كتاب مسائل الأصول

53.كتاب أمالي إجماع أهل المدينة

54.كتاب الكسب

هذا ما وصلنا من عناوين مؤلفات القاضي، وهناك أجزاء من المخطوطات لمؤلفاته نجهل أسماءها وهي موجودة في ألمانيا و القاهرة لم تحقق إلى حد الساعة.

2) من مناظراته

الباقلاني المفكر الفيلسوف حباه الله من الحكمة والفصاحة ما لم يهبه لغيره فكرسهما لخدمة الإسلام. وفيما يرويه عنه أبو بكر الخوارزمي: (إن كل مصنف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس إلا تصانيفه أي القاضي أبي بكر فان صدره يحوي علمه وعلم الناس)[1]

ومن أشهر المناظرات* التي نقلتها كتب التاريخ ما ذكره ابن عساكر الذي يقول: بلغني أن طاغية الروم قال له، وقصد توبيخه: أخبرني عن قصد عائشة زوج نبيكم وما قيل فيها؟ فقال له القاضي أبو بكر هما اثنتان قيل فيهما ما قيل زوج نبينا ومريم ابنة عمران: فأما زوج نبينا، فلم تلد، وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفها وكل قد برأها الله مما رميت به فانقطع الطاغية ولم يجر جوابا.[2]

وعن النحوي يقول من سمع مناظرة القاضي أبي بكر لم يستلذ بعدها بسماع كلام أحد من المتكلمين و الفقهاء و الخطباء والمترسلين ولا الأغاني أيضا من طيب كلامه وفصاحته وحسن نظامه وإشارته.[3]

له التصانيف الكثيرة والردود على المخالفين من المعتزلة والرافضة والمرجئة والمشبهة والحشرية.

---

[1] أبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاد هو لا يجوز الجهل به، زاهد الكوثري، ص9، مقدمة الكتاب –أنظر كتاب الانتصار لنقد القران، ص3 (المقدمة).

* تعريف المناظرة : هي سلسلة من الحجج الشفاهية التي تأييد أو تعارض قضايا معاينة مطروحة للنقاش، و تختلف المناظرة عن المناقشة، رغم أن النشاطين يعيدان من أهم مرتكزات الممارسة الديمقراطية ويعني مفهوم المناقشة في هذا السياق العملية التي تسعى إلى تحديد و تمحيص مشكلة في محاولة إيجاد أفضل السبل لحل هذه المعضلة و تقويمها – الموسوعة العربية العالمية، ج24، مادة م، ص 1999.

[2] ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ص456.

[3] أبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب إعتقاده ولا يجوز الجهل به، ت محمد زاهد الكوثري، ص9 مقدمة الكتاب .

يروي القاضي عياض نقلا عن الخطيب البغدادي أيضا عندما وصل الباقلاني مع وفد السلطان عضد الدولة إلى ملك الروم بالقسطنطينية طلب منهم رسول الملك أن ينزعوا عمائمهم وخفافهم عند مثولهم بين يدي الملك . فرفض القاضي الباقلاني ذلك وقال : (لا أفعل و لا أدخل إلا بما أنا عليه من الزي واللباس وإلا فخذوا الرسائل فأقرءوها و أرسلوا بجوابها لأعود بها) .

فأخبر الملك بقول الباقلاني . فتساءل عن السبب، فحمل إليه رسوله رد الباقلاني الذي يقول : (نحن من علماء المسلمين والله تعالى رفع أقدارنا بالإسلام وأعز نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–كما أن الملوك إذا بعثوا رسلهم إلى ملك آخر رفع أقدارهم لا إذلالهم، لا سيما إذا كان الرسول من أهل العلم ووضع قدره انهزام جانبه عند الله تعالى وعند المسلمين). فلما بلغ ملك الروم ذلك، أمر بالإحسان إليهم كما يشاءون، وأراد أن يكيد الباقلاني في مواقف أخرى لكنه لم ينجح في ذلك[1].

أما المناظرة الثانية فكانت في بلاط الروم أثناء رحلتهما، يقول الباقلاني : (بعث الملك في طلبي على بلاطه للأكل وهذا من عادة الرسل فأجاب الباقلاني : إني من علماء المسلمين ولست كالرسل من الجند وغيرهم الذين يعرفون ما يجري في هذا الموطن عليه والملك يعلم أن العلماء ليسوا كعامة الرسل و لا يفعلون فعلهم.

كماأخشى أن يكون على المائدة لحوم الخنازير وما حرمه الله تعالى علينا قال : فذهب الترجمان وعاد علي وقال : يقول لك الملك ليس على مائدتي ما تكرهه وقد استحسن ما أنت به وما أنت عندنا كسائر الرسل بل أعظم وما كرهت من لحوم الخنازير إنما هو خارج من مائدتي بعدها نهضت على كل حال وجلست وقدم الطعام ومددت يدي وأوهمت الأكل ولم أكل منه شيئا مع أني لم أر على مائدته ما أكره فلما فرغ من الطعام بخر المجلس ثم قال هذا الذي تدعونه في معجزة نبيكم في انشقاق القمر كيف هو عندكم ؟ قلت هو عندنا صحيح انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دلى الناس ذلك وإنما رآه الحضور ومن اتفق نضره إليه في تلك الحال.

فقال الملك وكيف لم يره جميع الناس ؟ قلت لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعد لشقوقه وحضوره. فقال : وهذا القمر بينكم و بينه نسبة وقرابة لأي شيء لم تعرفه الروم وغيرهم وسائر الناس . وإنما رأيتموه أنتم خاصة ؟ قلت : فهذه المائدة بينها وبينكم نسبة وأنتم رأيتموها

---

[1] أبو سعدة، المنهج النقدي عند الباقلاني، ص 41 نقلا عن ترجمة قاضي عياض ص 52 – 53.

دون اليهود المجوس والبراهمة وأهل الإلحاد وخاصة اليونان جيرانكم منكرون، ولهذا الشأن وأنتم رأيتموها دون غيركم ؟

فتحير الملك وقال بكلامه سبحان الله ؟ ثم أمر بإحضار القسيس .

فحضر القسيس ليكلمني وقال : نحن لا نطيقه لأن صاحبه يريد –عضد الدولة– قال ما في مملكتي مثله ولا للمسلمين في عصره مثله، رجل أشقر الشعر فقعدت و حكيت على مسألة إنشقاق القمر فقال: الذي قال المسلم لازم وهو الحق لا اعرف له جوابا . أتقول إن الخسوف إذا كان يراه جميع أهل الأرض لم يره أهل الإقليم الذي بمحاذاته ؟ قال : لا يراه إلا من كان في محاذاته قلت : فما أنكرت من انشقاق القمر إذا كان في ناحية ألا يراه إلا أهل تلك الناحية ومن تأهب للنظر له، أما من أعرض عنه أو كان في الأمكنة التي لا يرى القمر فيها فلا يراه ؟ فقال: هو كما قلت لا يدفعك عنه دافع، إنما الكلام في الرواة الذين نقلوا، فأما الطعن في غير هذا الوجه فليس بصحيح.

قال الملك : و كيف يطعن في النقلة ؟ فقال النصراني : شبه هذا من الآيات إذا صح، وجب أن ينقله الجمع الغفير، حتى يتصل بنا العلم الضروري له، لما لم نعلم بذلك بالضرورة دل على أن هذا الخبر مفتعل باطل، فالتفت إلى الملك وقال : الجواب

فقلت يلزمه في نزول المائدة ما يلزمني في انشقاق القمر فكما كان نزول للمائدة. صحيحا، وأنفصل الحضور على هذا)[1] . فبذلك قطع الباقلاني قول كل خصم في الحديث وكل مفتر من الخوض في حادثة انشقاق القمر التي تثبت بالنص للقطعي للدلالة من القران الكـــريـم [اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝][2] ومن السنة بالحديث المتواتر صلى الله عليه وسلم عن انشقاقه، إذ لم يكن يأتي بأدلة نقدية هكذا دون دليل، بل على علم ودراية و تفقه بالعلم النقلي والعقلي.

إن الباقلاني و هو من أنصار الأشعرية اتخذ من مذهب المتقدمين مرجعا له فالفرق المفكرة المختلفة حول أصول عقيدته الأشعرية فكأنما جاءت تلك المؤلفات في الفرق مجرد ومستندات أولية هيئت لكي يعاد إليها، فتؤخذ ويتوسع فيها لدى إيراد الحجج و الأدلة الجدلية[3].

إذ لم تكن مجرد مستندات أولية بل مادة أولية دقيقة في الردود تحتاج إلى تحليل.

---

[1] عبد الرؤوف مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القران ، ص 99 – 100.

[2] سورة القمر، الآية 1.

[3] لويس غارديه، فلسفة الفكر الديني، ج1، ص 42.

المطلب الثالث :ا) مذهبه وأفكاره

مذهبه :

عاش الإمام الباقلاني في فترة كثرت بها الفتن والمذاهب في عهد الحكم البويهي . لكن رغم هذا كان فريد زمانه في الدفاع عن السنة في بلاط الحكم عند عضد الدولة لهذا السبب طلب في إحضاره لماله من كفاءة (إذ لم يكن بينهم من أهل السنة من يمثل هذا المذهب أو ينطق بلسانهم فقال لجلسائه يوما، وكان الخطاب موجها إلى قاضي قضاته بشير بن حسن وكان على مذهب المعتزلة مجلس عامر بالعلماء غير أني لا أرى فيه أحدا من أهل الإثبات يريد أهل السنة – فاستدعى الباقلاني لذلك – وكتب عضد الدولة في حضرته يومئذ بشيراز إلى عامله بالبصرة أن يخص الرجلين وبعث إليه مالا من طيب ماله لنفقتهما ، أي الباقلاني وشيخه أبي الحسن الباهلي)[1].

قرب عضد الدولة إلى مجالس العلم والنظر الباقلاني للدفاع عن السنة، إذ جاء في فترة المعتزلة خلال القرن الثالث الهجري الذي ظهرت معه فتنة خلق القرآن و الخوض في الصفات، فانتشرت الخلافات الكلامية مع المسلمين حتى الفرس والروم والفرنجة الذين تكلموا في المسيحية عن الثالوث المسيحي (كما ظهر فيها مذهب المعتزلة الذي غلب على الفكر الإسلامي، في القرن الثالث الهجري وكان له أثره في اتجاه أصحاب الكلام طوال القرنين الثالث و الرابع)[2] فالباقلاني هو شخصية لامعة في علم الكلام و على مذهب الأشعري في العقيدة وعلى مذهب أهل السنة والجماعة في الفقه وهذا ما رجحه جملة من العلماء، فالإمام الهروي أخذ عنه وهو مالكي المذهب ثقة كما رأينا سابقا في اعتراف الإمام الهروي عند أخذه الحديث عنه ، ولا تعنى الروايات في كون الإمام على مذهب إمامه الأشعري الذي كان شافعيا، وهناك فرق كبير بين مذهبه العقدي ومذهبه الفقهي كان أشعريا في العقيدة على أستاذه أبي الحسن (وهكذا يسلم لنا أن مذهبه في الفروع كان مذهب المالكية وأن مذهبه في العقيدة كان مذهب أهل السنة وأن مذهبه في خلق القرآن كان مذهب أحمد بن حنبل) [3] .

ب) فكره:

ما خلف للمكتبة الإسلامية مؤلف ما يزيد عن الخمسين كتابا إلا وكان رجلا ذو فكر (وأما من ناحية النضج العقلي، والقدرة الفائقة في الاحتجاج العقلي السليم فحدث عن البحر ولا حرج، وان

---

[1] عبد الرؤوف مخلوفي، الباقلاني وكتابه إعجاز القران، (رسالة دكتوراه) ص 93 – 94.

[2] أبو بكر الباقلاني، نكت انتصار لنقد القران الكريم، (مصر الإسكندرية، نشأة المعارف د ط ت محمد زغلول،1971) ص6.

[3] عبد الرؤوف مخلوفي، الباقلاني و كتابة إعجاز القرآن، ص 79 (رسالة دكتوراه).

كان لا يخلوا من بعض تهويل وتشعيب في مغالبة الخصوم فيما يكاد أن يكون الخلاف فيه لفظيا)[1].

وما زاد ثراؤه في الفكر ذكاؤه المتقد، وسرعة بديهته في الجواب، كما كانت له ملكة نقدية وقدرة على إفحام الخصوم سواء منهم من خاض في الصفات من المسلمين ومن غيرهم من أهل الأديان الأخرى ، وقد أفردت له عدة دراسات متخصصة في منهجه النقدي منها رسالة حسني أبو سعده المنهج النقدي عند الباقلاني ، والتي أخذنا منها في ثنايا هذا البحث لقيمتها العلمية.

كما قال مقدم كتاب الإنصاف عن الباقلاني كان جدليا عظيما لا يصطلى بناره و لا مناجاة لمناظرة بدون استرشاد بمناره. هذا عن المناظرة أما علم الكلام و فيما رواه ابن عساكر والخطيب البغدادي (أنه بفكره المتقد كان أعلم الناس بعلم الكلام، وأحسنهم خاطرا وأجودهم لسانا و أوضحهم بيانا و أصحهم عبارة)[2]

وأمثال العظام لا تنتهي القصص عن مواقفهم في بلاط الحاكم عهد الدولة أو مع أقرانه من العلماء في مجال الجدل.

فعضد الدولة في أول لقاء بينهما عندما استدعاه وورد مدينته عرف الملك خبره وبين له محله من العلم و موضعه فأنكر الملك في أمره و علمه أنه لا يكفر له إذا دخل عليه كما جرى رسم الرعية أن تقبل الأرض بين يدي الملك –كما رأينا في الحالة السياسية للمماليك– ثم نتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن أحد أن يدخل تفكير بين يديه فلما وصل إلى المكان، ورآه تفكر فيه ثم فطن بالقصة فأدار ظهره و حنى رأسه راكعا ودخل من الباب و هو يمشي إلى خلفه وقد استقبل الملك فعجب من فطنته و وقعت له الهيبة في نفسه[3] هذا في بلاط الملك.

أما القصة التي وقعت مع أقرانه من العلماء فهي "أن ابن المعلم شيخ الرافضة ومتكلمها حضر بعض مجالس النظر مع أصحابه له، إذا أقبل القاضي أبو بكر الأشعري فالتفت ابن المعلم إلى أصحابه وقال لهم قد جاءكم الشيطان فسمع القاضي كلامهم وكان بعيدا من القوم فلما جلس أقبل على ابن المعلم و أصحابه فقال لهم قال الله تعالي: [أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۞] [4] فرد الباقلاني أي إن كنت شيطانا فأنتم كفار، و قد أرسلت عليكم[1].

---

[1] أبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب إعتقاده ولا يجوز الجهل به، ت زاهد الكوثري ،ص: 06 (مقدمة الكوثري).
2 الخطيب البغدادي، ط1، ص 455 . وأنظر إبن عساكر، تبيين كذب المفتري، ط3، ص 218.
[3] ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ص 218.
[4] سورة مريم، الأية 83..

لقد شهد للقاضي بالعلم والورع الكثير من العلماء القدماء والمعاصرين من بينهم شيخ الإسلام الذي يقول:القاضي أبو بكر محمد بن الخطيب الباقلاني المتكلم وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري ليس فيهم مثله لا قبله و لا بعده قال في كتاب الإبانة تصنيفه – وهو مفقود لدينا – فإن قال قائل فما الدليل على أن لله وجها و يدا قيل(ويبق وجه ربك ذو الجلال و الإكرام) وقوله تعالى: (ما منعك أن تسجد لم خلقتك بيدي) فأثبت لنفسه وجها و يدا فإن قال فما أنكرتم أن يكون وجهه و يده جارحة قلنا لا يجب هذا كما لا يجب إذا لم نعقل عالما قادرا لا جسما أن نقضي نحن و أنتم بذلك على الله سبحانه و تعالى و كما لا يجب في كل شيء كان قائما بذاته أن يكون جوهرا لأنا و إياكم لا نجد قائما بنفسه في شاهدنا إلا كذلك و كذلك الجواب لهم إن قالوا فيجب أن يكون علمه و حياته و سمعه و بصره و سائر صفاته عرضا و اعتلوا بالوجود فإن قال فهل تقولون إنه في كل مكان قيل له معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه (الرحمن على العرش استوى) وقال تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال تعالى (أآمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض، أم آمنتم من في السماء) قال و لو كان في كل مكان لكان في بطن الإنسان و فمه و الحشوش و المواضع التي يرغب عن ذكرها، و لوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة و ينقص بنقصانها، انتهى مخلصا فرحمه الله تعالى و رضي عنه)[2]

---

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص 270.

[2] أبي الفلاح عبد الحي ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، (بيروت دار الآفاق الجديدة) م2، ج3 ص: 169-170

الفصل الثاني :

مصادر منهج الباقلاني في ردوده على النصارى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني : مصادر منهج الباقلاني في ردوده على النصارى.

تمهيد :

إنّ المنهج هو الطريق و السلوك الذي سلكه الإمام الباقلاني في ردوده وجدالاته مع النصارى من خلال كتابه التمهيد الذي يعتبر من أهم كتبه الشاملة لشتّى علوم الدين والدنيا.

ماهية المنهج:

كلمة منهج بمعنى طريق أو سلوك ، و هي مشتقة من فعل نهج بمعنى طرق أو سلك أو اتبع[1]

ولعل من المفيد القول بأن التعريف باصطلاح منهج البحث العلمي يقودنا إلى الحقيقة القائلة، بأنه لا غنى عن منهج البحث العلمي في التقصي و البحث و الدراسة للوصول إلى أية حقيقة من الحقائق العلمية وأي ضرب من ضروب المعرفة.

كلمة المنهج ترجمة للكلمة الفرنسية **METHODE** تعود إلى اليونانية، استخدمها أفلاطون بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة و استخدمها أرسطو بمعنى البحث [2]

إن مفهوم المنهج بصفة عامة هو طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية

يسمّى التمهيد بكتاب "تمهيد الأوائل و تلخيص الدلائل" أي تمهيد لأوليات العلوم و أسسها في الجزء الأول من الكتاب و تلخيص أدلة العلوم جمع دلالة و أدلة التي استشهد بها على أقسام العلوم و مثل لها في ثنايا الكتاب من خلال ردوده على اليهود و النصارى والمجسمة و الثنوية و الدياصنة .

كما فصل في ردوده على الصفات و القدر على مذهب شيخه أبي حسن الأشعري .

و الكتاب طبع في القاهرة و بيروت و كلا الطبعتين ناقصة إحداهما تكمل الأخرى، وآخر طبعة التي أخذنا منها استشهادات الباقلاني من تحقيق عماد الدين حيدر .

---

[1] غازي عناية، منهجية البحث عند العلماء المسلمين، (قسنطينة، دار البعث للطباعة والنشر، ط1، 1405هـ 1995م) ص91.

[2] المرجع نفسه، ص 93.

لم يكشف الباقلاني بالرد على الفرق الإسلامية الخائضة في ذات الله و صفاته بل تعدّاها إلى الفرق المسيحية و اليهودية و الصابئة ، اخترنا منها ردوده على النصارى بفرقها المشهورة اليعقوبية الملكانية و النسطورية ..

حيث أسهب في إيضاح الحجج من العقل و النقل التي تفند مزاعمهم و خروجهم عن الطريق الصواب البائن لذوي العقول .

و الرد جمع ردود ، و هي طرق الحجاج بأنواعها ، من جدل و مناظرة نستشفها في استعمالات القاضي فإذا قالوا..... قلنا ، فالمناظرة تكون بالمشافهة ، و الجدال والحوار يكون بلغة الكتابة مع إيراد الحجج .

فالتمهيد كتب للخليفة المأمون ابن عضد الدولة أبي شجاع جامعا فيه لردوده على أهل البدع والأهواء و أهل الملل و النحل ممن توفرت لديه السبل إلى ذلك .

خلال عرضنا لردوده على النصارى نتطرق أولا لعرض مصادر الباقلاني و أسسه في ردوده هذه، و التي استشفينا أصالته النابعة من مشكاة القرآن الكريم، و السنة النبوية، وحديث السلف الصالح ، جمعناها و صنّفناها إلى قسمين :

- مصـــــادر نقلية مستوحاة من القرآن الكريم والسنة
- مصـــــادر عقلية تمثلت في مجموع اطلاعاته الفكرية .وقد خلصنا إلى قاعدة ،أنه لا مناص للعقل من النقل و لا انفصال بينهما. و بدءا بالمصادر النقلية

أولاها الـــــقـــــرآن الكـــــريـــــــــم .

المبحث الأول : المصادر النقلية في ردود الباقلاني على النصارى

المطلب الأول : القرآن الكريم.

تمهيد :

فالقرآن الكريم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين و الأدلة العقلية ، و ما من برهان ودلالة وتقسيم ، و تحديد شيء من كليات المعلومات العقلية و السمعية إلا و كتاب الله قد نطق به على لسان عربي مبين [1] أي بلسان قومه الذي يفهمونه و يدركون معناه ، القرآن أعجز أفصح العرب عن الإتيان بمثله و هكذا كان الحال بالنسبة للمحاجة ، و هذا لإقناعهم ، و يلزمهم الحجة و الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء) [2]. و هذا بطريق الجدال .

فالقرآن الكريم هو منهال الأسس الحوارية و الجدلية ضد خصوم الإسلام من يهود ونصارى وصابئين و متكلمين على اختلاف مشاربهم .كما أفاد ممن أخذ عنهم الإمام الباقلاني أسمى الطرق الجدلية و الأسس الحوارية مع النصارى و غيرهم من أصحاب الأديان ، نظرا لقرابته من منهج القرآن الكريم فضلا عن المناهج الأخرى .

و للدارس اكتشاف ذلك من خلال كتاباته عن القرآن الكريم إعجاز القرآن و الانتصار لنقل القرآن، و يستشهد على أسسه الحوارية في كتاب التمهيد فيقول (وقد يستدل أيضا على بعض القضايا العقلية و على الأحكام الشرعية بالكتاب و السنة و إجماع الأمّة والقياس الشرعي المنتزه من الأصول المنطوق بها و ما جرى مجرى القياس* على العلة من ضرب الاجتهاد الذي يسوغ الحكم بمثله من الشرع على مذهب القايسين)[3]

فالقرآن الكريم خاطب الأمم السابقة بالعقل ،- بحجة التاريخ للأمم السابقة - بالنقل - بالإعجاز والمعجزة لإظهار حجج النبوة

فالجدال الحسن هو من آثار الأنبياء و الصالحين و ما طالب القرآن الكريم مجادلة الخصم بالتي هي أحسن إلاّ و قد زوّد الأمة بالمنهج القويم الذي يجب على المسلمين سلوكه في كل زمان ومكان في كل موضوع يطرح [4].

فمخاطبة القرآن للأمم السابقة أو المسيحية على وجه الخصوص بالاستدلال النصي من قبل الخصم لا يجاريه إلاّ دليل آخر نصّي و الدليل العقلي لا يساويه إلاّ آخر عقلي مثله ، و هكذا

---

[1] محمد التومي، الجدل في القرآن، ص 167، نقلا عن الزركشي البرهان، ج2، ص 34.

[2] المرجع نفسه، ص 167.

* تعريف القياس في الفصل الثالث تفصيل، ص .

[3] التمهيد، ص 33.

[4] محمد التومي، الجدل في القرآن، ص 28.

فعل لسان الأمة في عصره ، فكل خصم للإسلام قابله بالرفض و الصدّ بكل ما أوتي من قوّة الفصاحة ، و ها هو الآن يستشهد لإثبات التوحيد الإلهي .

- صدق نبوّة عيسى عليه السلام .
- إبطال التثليث .

عن طريق القرآن الكريم فابتدأ بمخاطبة العقل على النحو الآتي:

مخاطبة العقل:

أمر القرآن الكريم الإنسان بالاستشهاد بالسنن الكونية بعد استعمال العقل (ونعني التقليد على المقلدين كي لا يستنيم العقل إلى إتباع قول إلاّ أن يقوم عليه دليل و طالما قدم القرآن الحجج وطالب بها الناس ليهتدوا دائما بالدليل)[1]، يقول تعالى [أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۞][2].

كل استدلالات العقل إثبات و التسليم بوجود الله وحده [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۞][3].

فالفطرة البشرية تقتضي التسليم به وحده و حتى للملحد وقت الشدّة يستعيذ بالله رغم عدم التسليم به بادئ الأمر فالرجوع إلى الله شيء كامن في البشر رغم كلّ شيء .

كما يذكرنا الله بوجوده في الكون عند التأمل في العالم الخارجي و انتظام صيرورته في كلّ زمان و مكان [هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞][4] .

---

[1] عبد الحليم الجندي، القرآن و المنهج العلمي المعاصر، (دار المعارف، 1404ه –1984 م) ص 31.
[2] سورة الحج، الآية 46.
[3] سورة الأعراف، الآية 172.
[4] سورة يونس، الآية 22–23.

فأقوى أدلّة الإقناع البشري متمثلة في دليل الخلق و دليل العناية فالتدبر في الخليقة والتمعن يوصل إلى الإيمان الحقيقي أمّا أن دليل العناية (فبني هذا الدليل على النظر العقلي في نظام الأشياء لكي يرى العقل مبلغ الدقّة و الحكمة و من ورائه و يحكم بعد ذلك : هل الطبيعة هي الفاعلة أم أنّ هذا النظام و الإتقان الموافق لوجود الإنسان وراءه فاعل قاصد مريد؟[1] [وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞][2]

هذا عن دليل الأنفس من خلال التأمل في السنن الكونية مثل ما جاء في أوائل سورة النحل.

[خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۞ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۞ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۞][3]

و في سورة فاطر قوله تعالى :

[أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۞][4] .

و يستمر القرآن الكريم في مخاطبة عقول البشر و دعوتهم للتأمل في ملكوته و إحكام نظامه في قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۞ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞][5] وهذه الحقائق العلمية لا يتسنّى لأيّ كان اكتشافها بل الراسخون في العلم هم الذين يحيطون علما بها .

---

[1] فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل، القرآن و النظر العقلي،(أمريكا،سلسلة الرسائل الجامعية،1993) ص 165.

[2] سورة الذاريات، الآية 21.

[3] سورة النحل، الآية 4-10.

[4] سورة فاطر، الآية 27-28.

[5] سورة النحل، الآية 10-11.

(أما علم الإحاطة الذي يظهر معه اليقين فهو كالاستقراء الكامل الذي يظهر من سنن الخالق وتتحقق به الحتمية العلمية كالشمس تجري لمستقر لها ، و الليل و النهار يتعاقبان و الشمس والقمر بحسبان و غير ذلك من قوانين الكون)[1].

فالاستقراء الكوني للفت الحواس من أبلغ صوّر القرآن للفت الانتباه و إظهار وحدانيته وإعجازه و نفي الشراكة عنه من صاحبة والولد (ذلك لأنّ العقل إذا ترك و شأنه ، فلابدّ أن يعمل عمله الطبيعي في اكتشاف الحقائق و الوصول عن طريق المقدمات إلى النتائج، و لو لم يكن هناك موجد عظيم لهذا العقل لإثبات **الوحدانية**، و له السلطان المطلق على عمله و سيره يستطيع أن يوقفه عن عمله عندما يشاء و يستطيع أن يصده عن فهم أبسط الحقائق في كلّ لحظة من الزمن، لما توقف عقل هذا الإنسان عن فهم هذه الحقيقة البديهية الواضحة خصوصا بعد النظر في براهينها اليقينية القاطعة)[2]

كذلك قوله تعالى في سورة النمل : [أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ۞ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞][3].

ففي هذه الآيات الكريمة تجزئة في الاستدلال بحيث يعتبر كل جزء دليلا قائما بذاته و من مجموعة دليل كلي على أن كل صغير أو كبير من خلق الله تعالى و أنها دليل على وجوده سبحانه و تعالى[4].

التحدّي:

تحدى الله سبحانه و تعالى الجبابرة الذين كذبوا في خلقه و إعجازه و رسالاته ببديع صنيعه قائلا [هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞][5].

---

[1] عبد الحليم الجندي، القرآن و المنهج العلمي المعاصر، ص 121.

[2] محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، (دمشق سوريا، دار الفكر المعاصر، ط8، 1982م/1413ه-1993 م) ص 106-107 .

[3] سورة النمل، الآية 62-64.

[4] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص 350 . نقل عن فاطمة إسماعيل، القرآن والنظر العقلي، ص 112.

[5] **سورة لقمان، الآية 11.**

كذلك تحدى المشركين عن الإتيان و لو بسورة من القرآن الكريم و هم أهل البلاغة و الفصاحة (فأتوا بسورة من مثله) و ما قصة البعوضة إلا كواحدة من القصص المعجزة لرد فعل الإنسان و قصوره و كسر جناح الجبابرة إذ يقول تعالى [يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۝ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝][1].

أ- إثبات الوحدانية :

فالوحدانية معناها سلب تصور الكمية في ذاته و صفاته سبحانه وتعالى : سواء الكمية المتّصلة و الكمية المنفصلة أي سبحانه و تعالى منزه عن كونه أجزاء ولا مكونا من جزئيات و ليس لغيره سبحانه و تعالى علم كعلمه و قدرة كقدرته فهذا هو نفي الجزئيات عنه[2]. و من أكبر السور القرآنية المشتملة على صفة التوحيد والتنزيه سورة الإخلاص إذ يقول تعالى [قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝][3]. ففي السورة نفي الجزئية* و نفي الصاحبة والولد، و الند، كما أنه ليس كالحوادث [مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝][4]. فانتفاء الشراكة في الملك لأسباب تصح عقليا عدم اتفاق الآلهة مع بعضها البعض يقول تعالى [قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۝][5].أي الرجوع إلى الرب الأسمى في الأرباب إذا تعددت الآلهة حكمها حكم سائر البشر لافتقارها إلى ذي القوة المتين . و من أسباب

---

[1] سورة الحج، الآية 73 –74.

[2] محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ط8، ص 111 بتصرف.

[3] سورة الإخلاص.

* الجزء من الشيء ما يترتب ذلك الشيء منه و من غيره ، بحيث لا يصدق إسم ذلك الشيء عليه وحده حتى تتكامل معه بقية أجزائه الأخرى ، مثل الجدار من الغرفة ، و الغلاف من الكتاب الجزئي ما يندرج تحت الجنس أو النوع من الأعداد والأفراد و اليد من الإنسان، المرجع نفسه ص 111.

[4] سورة المؤمنون، الآية 91.

[5] سورة الإسراء، الآية 42.

نفي التعدد للآلهة انتفاء الاتفاق في قوله تعالى [لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞][1].

و هذا ما يعرف عند العلماء بدليل التمانع ، أي امتناع التعدد لامتناع التفسير و الكلام، وهي من أكبر الطرق الاستدلالية التي استعملها الإمام الباقلاني و التي سنرى تطبيقاتها على منهج الباقلاني في ردوده على النصارى في الفصل الثالث .

ب- نفي التثليث أو التعدد :

حارب الإسلام كغيره من الأديان التعدد و حث على إخلاص العبودية و الربوبية لله دون سواه من البشر و المخلوقات مخاطبا العقل [أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ][2] استفهام تقريري إذ جعل المنطق أساس تقرير الحقائق. [أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞][3].

كما نفى التعدد الذي جاءت به الأديان السماوية الأخرى كاليهود و النصارى [وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞][4].

فاستحضار البديهة و الاستبصار بالعقل و كذا الملاحظة الدقيقة في عالم الكون طريق لمعرفة وحدانيته تعالى و نفي التعدد عنه سبحانه كما أن الاستقراء بعالم الكونيات من طرق الحجاج العقلي، وهذا ما أشار إليه رمضان البوطي في كتابه كبرى اليقينيات الكونية ،وضرب لها مثل في القرآن الكريم مع الأنبياء الكرام وسط أقوامهم منهجا يقتدي به للحجاج ضد النصارى ،وطريقة من طرق الباقلاني في رده على النصارى في التمهيد .

---

[1] سورة الأنبياء، الآية 22.
[2] سورة النحل، الآية 17.
[3] سورة الأعراف، الآية 191-192.
[4] سورة التوبة، الآية 30 -31.

يقول تعالى [وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ۞ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۞ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۞][1].

نفى القرآن الكريم التثليث بسؤال عيسى عليه السلام . [وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ۞][2].

لم يتم التصريح في الإنجيل بأن عيسى طلب تأليه نفسه و لا أمه و نفى حلول عيسى عليه السلام في جسد مريم من خلال إتحاد اللاّهوت مع الناسوت في عيسى أي امتناع حلول الصفات بغير ذات الله تعالى)[3]

فالمسيح ما هو إلاّ كبقية الأنبياء [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُواْ ثَلاثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى

---

[1] سورة الأنعام، الآية 75-83.

[2] سورة المائدة، الآية 116.

[3] فاطمة محمد إسماعيل، القرآن والنظر العقلي، ص 185-186.

بِاللَّهِ وَكِيلاً ۞]1.فالكلمة في المسيحية هي الجوهر الخالقة لكل شيء *أمّا في الإسلام فهي قوله تعالى : [إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞]2 ومنه القرآن الكريم كلام الله ، وعيسى كلمة الله التي ألقاها إلى مريم من روح الله ، فهو عبد كسائر البشر [إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۞]3. كذلك يخبر عيسى في قوله تعالى [قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞]4.كما أنه لم تصح فقرة في الإنجيل تذكر ألوهية عيسى عليه السلام أو طلب تأليهه مع إله غيره بل إفتراء من قبل الرهبان والقساوسة كتب على مراحل تطور مع الثقافات والفلسفات الوافدة فتحوّل من رسول إلى إله معبود .

إثبات نبوّة و بنوّة عيسى ابن مريم عليه السلام.

لقد خاطب القرآن الكريم الضمير و الوجدان البشري لتحقيق معنى الرّبوبية و الألوهية في أسمى معانيها ، كذلك أثبت القرآن الكريم حقيقة نبوّة عيسى وإتيانه بالمعجزات لإثبات الرسالة، هذا بعد مرحلة النضج التي سبقتها أعراض البشر ، و افتقاره لأبسط سبل القوّة و الهيمنة كيف لا ، و تكوينه في بطن أمه كسائر البشر ، و خروجه إلى الحياة عقب المخاض بلا حول و لا قوّة له كبقية المخلوقات تحت العناية الربّانية ، فكيف لإله المرور بهذه المراحل أي مراحل الضعف فيقول تعالى [لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞]5. فخصوصية البشرية في عيسى وأمه أقرها كذلك القرآن بـ [مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞]6.

فالحاجة للزاد من صفات النقص و الضعف البشري لا صفات الكمال الرباني .

---

[1] سورة النساء، الآية 171.

* سنتعرض لتعريف الكلمة بالتفصيل في الفصل الثالث ص 117.

[2] سورة آل عمران، الآية 59.

[3] سورة الزخرف، الآية 59.

[4] سورة مريم، الآية 30.

[5] سورة المائدة، الآية 17.

[6] سورة المائدة، الآية 75.

خاصة الرسالة [مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ].

الكذب على النبي عيسى عليه السلام فلم يقل قط ألهوني بل افتراء افترته المجامع المسكونية* التي قررت جعله إله [وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۞ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۞ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۞ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۞ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۞ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۞ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۞][1].

التمثيل القرآني :نرى ذلك مقارنة قصة عيسى بقصة آدم و سائر الأنبياء إذ يقول و لله المثل الأعلى [إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞][2].

و كان خلق آدم و حواء أعجب من خلق المسيح فإنّ حواء خلقت من آدم و هذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم ، و خلق آدم أعجب من هذا و هذا و هو أصل خلق حواء، فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح فإذا كان سبحانه قادرا أن يخلقه من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان ، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان؟[3].

<u>الاستدلال بالمعجزة :</u>

فالمعجزة هي كل أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوّة عند تحدي المنكرين له، على وجه يبين صدق دعواه[4].

و أكبر معجزة تناقلها الجمع عن الجمع بنقل العدل الضابط القرآن الكريم الذي نزل على سيّدنا محمّد صلّى الله عليه و سلم و تحدى به أفصح البلغاء في عصره و إلى الآن على الإتيان و لو

---

* المجامع المسسكونية :تعريفها هي تلك المجامع التي عقدها علماء اللاهوت المسيحيين لتقرير طبيعة المسيح هل طبيعته طبيعة واحدة؟ طبيعة الإله أم أن له طبيعيتين إنسية و إلهية و فيه برزت الفرق المسيحية الكبرى في مجمع أقسس الثانيEphése الذي قرر أن المسيح طبيعة واحدة انعقد في منتصف القرن 5 م و برز فيه اليعاقبة يعقوب البرادعي، و مجمع أقسس الأول الذي انعقد سنة 431 قرر نسطور فيه بأن مريم لم تلد الإله بل ولدت الإنسان، أما المجمع الأخير هو المجمع خليكدونية Câlcédoine المنعقد 451 و لعنوا كل ما قرر في المجمع الذي قبله و جعل المسيح له طبيعتان. علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام (القاهرة، مصر، دار النهضة للطبع و النشر) ص: 114 و ما بعدها بتصرف.

[1] سورة مريم، الآية 88-95.

[2] سورة آل عمران، الآية 59.

[3] فاطمة محمد إسماعيل، القران و النظر العقلي، ص 181.

[4] رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص 214.

بسورة و لو بآية، كما ذكرنا سالفا فالتحدي باق إلى أن يرث الله الأرض و من عليها لكل منكر للنبوّة و الرسالة ، هذا عنه صلّى الله عليه و سلم أمّا باقي الأنبياء كعيسى عليه السلام فقد جاء بعدد من المعجزات [قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۞] [1] [أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ۞] [2].

و من المعجزات التي تناقلها الجمع كالقرآن الكريم [اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۞] [3].

حادثة انشقاق القمر بلغت ذروتها في الشهرة ، لثبوت الرؤية في جميع الأقطار المجاورة حتى غير العربية و أصبحت تاريخا جاريا عبر الزمن .

فالاستدلال بالمعجزة ، يرتبط ارتباطا وثيقا بصحة الخبر عن هذه المعجزة وثقة المخبر عنها ويشير إليها الباقلاني في مقدمة كتابه التمهيد [و قد يستدل بالمعجزة على صدق من ظهرت على يده لأنها تجري مجرى الشهادة له ، و يستدل على صدق المخبر الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه و سلم أنه لا يكذب ، و كذلك يستدل بخبر من خبرّ عن صدقه صاحب المعجزة على صدق من أخبر عنه أنه لا يكذب] [4].

فالمعجزة ترتبط ارتباطا وثيقا بصدق الخبر الذي تناقله الجمع إلى الآن. و كذا صدق المخبر بمواصفات أقرها علماء الحديث سنتعرض لها في جزئية الاستدلال بعلم الحديث لاحقا.

وهذا النوع من الاستدلال أي المعجزة استعملها الباقلاني في غير موضع للتدليل على صحة نقل الأنبياء عليهم السلام و صحة نبواتهم على النحو الذي استعملها القرآن الكريم .

المطلب الثاني : منهج المحدثين أو المصدر التاريخي

تعتبر السنة النبوية ثاني مصدر من مصادر التشريع الإسلامي الشارحة المكمّلة للقرآن الكريم ، وهي تحمل كل أقوال و أفعال النبي صلى الله عليه و سلم و كذلك إقراراته للصحابة رضوان الله عليهم .

إذ عنيت السنة بالكتابة و الشرح في عصر الفتن بعد العام الثاني من وفاته صلى الله عليه وسلم، فسطر لها العلماء قانونا علميا بوحي رباني يحفظها بحفظ سندها و متنها و إفرادها بكتب هي أمهات الكتب. و من أكبر المحدثين في تلك الفترة : أحمد بن حنبل ، و يحي بن معين وإسحاق

---

[1] سورة الإسراء، الآية 88.
[2] سورة الطور، الآية 33-34.
[3] سورة القمر، الآية 1.
[4] التمهيد، ص 33.

بن راهويه و علي بن المديني و غيرهم [1].كل هؤلاء المحدثين جعلوا من حرمة أحاديث رسول الله كحرمة كتابه[2].

و الباقلاني واحد ممن عنوا بالسنة و حفظوا الحديث و علموه لغيرهم من السلف الصالح وتعلموه عن الثقاة العدول كإسحاق بن راهويه و السمناني[3] و اشترط للخبر و المخبر ما شرطه علماء قبله و أخذه ما جاء بعده وهذا من أكبر الطرق التاريخية للنقد.

فالخبر : هو ما يصح أن يدخله الصدق أو الكذب لأنه متّى أمكن دخول الصدق أو الكذب فيه كان خبرا و متّى لم يكن ذلك فيه خرج عن أن يكون خبرا و بهذا الاختصاص فارق الخبر ما ليس بخبر من الكلام و سائر الذوات التي لست بخبر[4].فللخبر شروط كي يؤخذ عليه العلم بالشيء و إلاّ فباطل سواء في استدلال المسلمين أو النصارى عنده .

فيقول في الخبر [و سنقول في تفصيل الأخبار و ذكر التواتر فيها و صفة أهله و ما يجب كونهم عليه و حال أخبار الآحاد و ما يستدل به على صحة الصحيح منها و بطلان الباطل والوقف فيما عري من الدليل و غير ذلك من أحكام الأخبار][5].

فالدليل الصحيح هو الحاكم في صحة خبر المخبر و يبقى تمحيص مادة الخبر أهي موافقة للواقع؟أو للحكم؟ أو للتاريخ الذي وجدت فيه ؟و هي شروط وضعها علماء الحديث في تمحيص الأخبار سندا و متنا :

<u>شروط السند:</u>

فيشترط الباقلاني دليلا* على صحة الرّواة و أحوالهم كما اشترط علماء الحديث في نقل أسانيد حديثهم، [إنّ أصل هذا الباب الذي بمعرفته يتوّصل إلى علم الصواب منه هو الوقوف على جملة أقسام الأخبار ، و ما يوجب العلم منها اضطرارا، وما يقتصر عن ذلك مما يعلم نظرا واستدلالا ولا سبيل إلى العلم بصحته مما يمكن أن يكون صدقا ويمكن أن يكون كذبا، وما يوجب العمل دون العلم من هذه الأخبار ، و ما قد قطع الدليل على بطلانه و كذب ناقليه منها][6] فمثلا الخبر الواحد بالسند القوي يعتبره دليلا على حكم قطعي ، كيف لا و هو عند علماء

---

[1] إبن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ت – احمد عبد الوجود – علي محمد عوض، (لبنان بيروت، دار الكتب العلمية ط1، 1406-1996 م) ج1، ص 22.

[2] المرجع نفسه، ص 8.

[3] أنظر الفصل الأول من الرسالة، ص 20 شيوخ الباقلاني.

[4] التمهيد، ت عماد الدين أحمد حيدر ، ص433-434.

[5] المرجع نفسه، ص208.

* الدليل : هو خبر الهمم العالية فحبذا الانشغال بهما و بئس التشاغل عنهما ص: 5 ، فكل خبر لا بدله من دليل للخبر و المخبر و إلا كذبت المعلومة و ظهر زيفها .

[6] المرجع نفسه، ص433.

الحديث يحل محل اليقيني (و ما ينقص السند من الصحة تأتي الأحكام هشة و الألفاظ يدخلها الزيف و التحريف، وهذا فعلا ما حدث مع شريعة عيسى فالجماعة التي نقلت الأخبار لم تنقلها كما جاءت بل عراها الزيف والتحريف ، و التفسير من قبل الرهبان ،ممّا أدى إلى تغير المعنى.)[1].

فعندما طبق الباقلاني طريقة نقد متن الحديث أي المنهج التاريخي أثبت زيف المعلومات وعدم مطابقتها لصفات الخبر و منه بطلان شريعة عيسى عليه السلام و من شروط الخبر عند الباقلاني ثلاث مراتب .

أوّلا: الخبر عن واجب : و هو كل خبر عن أمر ثابت قضت الضرورات و درك الحواس على إثباته و قامت الأدلة على ذلك[2] و مثال على ذلك معرفة ضرورات الطبيعية و الخبر عن حدث العالم و عن النبوات و صحة الأعلام ، و كلّ أمر ثبتت صحته بالعلم .

ثانيا: ضرب عن الخبر عن محال ممتنع إمّا بقضية الحواس و الضرورات أو بما قام عليه من الحجج والدلالات نحو الخبر عن عدم ما نشاهده و كونه على خلاف صفة ما ندركه وهذا الخبر لا يقع أبدا إلاّ كذبا ممن وقع منه لثبوت العلم ببطلان المخبر[3] و هذا النوع من الخبر مناف للحواس و القول فيما لا يشاهده البشر و لا يجري مجرى عاداتهم و لم ينص على ذلك نص بالتواتر كقول النصارى في صفات الله تعالى أبطلها الباقلاني من هذا الباب .

ثالثا: هو كون خبر عن ممكن في العقل كونه و مجيء التعبد به نحو الإخبار عن مجيء المطر بالبلد الفلاني[4] أو كالأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه و سلم في جانب العبادات والتعبد و غيرها .

فطريقة الباقلاني في نقد ورد أخبار النصارى رده بعد تمحيصه و غربلته على الخطوات الثلاث، إذ كلما وافق العقل و المنطق قبله و كل أمر مخالف للعقل و الطبيعة البشرية كقضية التثليث و وضع صفات لا تليق بذات الله تعالى نفاها لأنها لا تقبل من باب العقل فما بالك الشرع ، هذا عن المتن أمّا السند و هو التمحيص في أخبار الرواة فيجعل لها شروطا كما للمتن شروط و منه التأسي بعلم الحديث في النقد و الرد و هو عمل السلف من قبله .

أهم شروط المخبرين جملها الباقلاني بإيجاز في (سنقول في تفصيل الأخبار و ذكر التواتر فيها و صفة أهله و ما يجب كونهم عليه و حال أخبار الآحاد ، و ما يستدل به على صحة الصحيح•

---

[1] المصدر نفسه، ص434.
[2] التمهيد، ص434.
[3] المصدر نفسه، ص 435 بتصرف.
[4] المصدر نفسه، ص436.

منه و بطلان الباطل، فخبر الواحد ، بلا أسس علمية هو غير مقبول فالنقل والإدعاء بدليل صحيح و السند القوي)[1]

فمواصفات المخبر يجب أن تكون لائقة بقيمة العلم الشرعي الذي يحمله ، أن يكون إنسانا أمينا ذا خلق و علم و حفظ ، و وعي وأن يكون مكان البلد الذي فيه الخبر أو القصة أو له إمكانية الرحلة في طلب الخبر و تتناقل الأخبار الخلف عن السلف على صحته دون انقطاع . و هذا الأمر معروف عند علماء الحديث في الإسلام ثابت بنقل القرآن الكريم لكن منعدم تماما في نقل الأناجيل و هذا ما سنتعرض له لاحقا في ثنايا الرسالة من خلال نقد الأناجيل إن شاء الله تعالى، و في ذلك يقول الباقلاني (فإن قالوا : هم يعلمون ذلك ضرورة و لكنهم يجحدون ما يعلمون قيل لهم : و كذلك أنتم و سائر النصارى عالمون بصحة نقل المسلمين لأعلام نبيّهم غير أنكم تجحدون ذلك على علم منكم لصحته ، فإن قالوا : نجد أنفسنا بخلاف ما تدعون ، قيل لهم وكذلك تزعم البراهمة و المجوس والفلاسفة و أهل الإلحاد أنّهم يجدون أنفسهم غير عالمين بصحة نقلكمَ فلم يجب تصديقكم ، و لا جواب لهم عن ذلك)[2].

<u>الاستدلال بالأناجيل :</u>

النصرانية دين سماوي كسائر الأديان التي ذكرها الله سبحانه و تعالى في كتابه العزيز، لكن لما اعترضها التحريف والتزييف تبدلت عقيدتها من التوحيد إلى التعدد ومن الوضوح إلى الغموض حتى الدارس المتخصص يجد صعوبة في تحصيلها و استيعابها كأمثال الجاحظ الذي يقول [ولو جهدت بكل جهدك وجمعت كل عقلك، أن تفهم قولهم في الإلهية] [3].

فالأناجيل جمع إنجيل هي أربعة كتب دينية تتصدر العهد الجديد الذي يعتبر مصدر العقيدة المسيحية و الذي يحتوي على سبعة وعشرين كتابا، أشهرها كلمة الإنجيل تعنى البشارة أو الأخبار السارة[4]، وهم: متى، مرقص، لوقا، يوحنا. و الإنجيل كلمة يونانية بمعنى ما تقدمه لمن

---

*الحديث الصحيح : هو ما اتصل سنده بنقد العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه و لا يكون شاذا و لا معللا ــ ابن حجر العسقلاني لسان الميزان ــ ت ــأحمد عبد الودود ج1 ص: 7 . لا يفيد القطعي و هو رأي الباقلاني / المتواتر: الحديث الذي بلغ فيه حد الكثرة بحيث يستحيل تواطؤهم عن الكذب . المشهور : ما رواه اثنان عن اثنان خبر الواحد هو ما يفيد الظن الغالب ، فإن تلقاه أهل الحديث بالقبول فهو يقيني و يؤخذ في المعاملات و العقائد ، المرجع نفسه ص 7.

[1] المصدر نفسه، ص208 تصرف.

[2] المصدر نفسه، ص 192.

[3] الجاحظ المختار، في الرد على النصارى ص 68. أنظر محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص03.

[4] محمد السعدي، دراسة في الأناجيل الأربعة (قطر الدوحة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 1405-1985 م)ص11.

يأتيك ببشرى ثم أطلقت على البشرى أو الخبر السار، و هذا الوصف الجميل منطبق على إنجيل المسيح نفسه و لا ينطبق على هذه الأناجيل لأنها لا تتفق مع الحق[1].

1) إنجيل يوحنا:

لقد استشهد الإمام الباقلاني على انتفاء ألوهية عيسى بقول الإنجيل [أنا قبل إبراهيم] و في نص آخر قال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن[2]، كذلك في قوله [إن النبي لا يكرم في مدينته] وردت بصيغة مختلفة في يوحنا و لعل الاختلاف راجع إلى تأويل الغزل للمعنى [و بعد يومين خرج من هناك و مضي إلى الجليل لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة في وطننا][3].

ذلك أن يوحنا ألف كتاب الإنجيل في آخر حياته ذكر ما لم تذكره الأناجيل الأخرى (متى، مرقس، و لوقا)، توضيحا لألوهية المسيح يقول إكليمونس الإسكندري: إن يوحنا كتب إنجيله بعد كتابة الأناجيل الأخرى لأنه لاحظ أن الأناجيل السابقة لم تدون عن ترجمة المسيح إلا الأمور الحسنة، فتلبية لدعوة بطانته، و بعد استلهام روح القدس عقد العزم على كتابه إنجيل روحي.
و ظهرت شخصية يوحنا زائفة تنتمي إلى أخرى لا علاقة لها من الصحة.

2) إنجيل متى:

يعتبر النصارى إنجيل متى واحدا من الأناجيل المعتمدة و ينسب إلى متى واحد من الحواريين الذين عاصروا عيسى عليه السلام في بلاد الحبشة. رغم اعتماد النصارى على نصوص متى وما جاء به إلا أنهم يصرون على انعدام النسخة الأصلية له ذلك لأن:

- متى كتب باللغة الآرامية و هي مفقودة.
- ظهر الكتاب باللغة اليونانية و لا يعرف المترجم ولا تاريخ الترجمة[4].

3) إنجيل مرقس:

إن إنجيل مرقس ما هو إلا مجموعة النصائح التي أدلى بها بطرس لمرقس أعظم الرسل في النصرانية،فلا مرقس رسول و لا بطرس أخذ عن عيسى عليه السلام فقرات الإنجيل .و في

---

[1] أحمدعبد الغفور،عطار الديانات والعقائد،(السعودية،مكة المكرمة،ط1،هـ1401-1981م) ص 322 بتصرف يسير.
[2] الإنجيل يوحنا، الإصحاح 8، الفقرة 58.
[3] الإنجيل يوحنا، الإصحاح 4، الفقرة 43.
[4] أحمد شلبي، مقارنة الأديان، ج2 ص 211 -212.
متي: أحد التلامذة الإثني عشر المقربين المبشرين من المسيح ، و كان عشارا، أي جابي ضرائب و كان العشاريون محتقرين في أمتهم اليهودية ، يجبي الضرائب للرومان الذين يحكمون فلسطين و الشام و بلدة يكفر ناحوم التابعة لمنطقة الخليل و ذكر متى في إنجيله 9: أنه كان جالسا في مكان الجباية فرآه المسيح و طلب إليه أن يشبعه فاستجاب له و تبعه توفي 62م بالحبشة. أحمد عبد الغفور عطار، ج1، ص 320-321.

نقلهم لفقرات الإنجيل اعتراها الزيادة و النقصان فضلا عن تغيير المحتوى حسب جل الدراسات التاريخية . رغم ذلك هناك بصمات الرسالة الموحدة لله و ببقاء عيسى عليه السلام نبي رسول معجز بأفعاله إبراء الأكمه و الأبرص كما ينص صريح الإنجيل أكده القرآن الكريم .

إن مرقس لم يبق دون مضايقة كونه حافظ على جوهر المسيحية ألا وهو التوحيد فلاقى حتفه بعدما قتل في سنة 62م. فيقرر أحد محققي ومؤرخي المسيحية أن مرقس صحب بولس عندما بدأ رحلته التبشيرية الأولى مع برنابا (خال مرقس) و لكن مرقس لم يكمل الرحلة لأنه لم يرض تماما عن اتجاهات بولس و تصرفاته و عندما بدأ بولس رحلته [1] التبشيرية الثانية لم يقبل برنابا أن يصحبه بل افترق عنه دون رجعة، لذلك يعتبر النقاد أن إنجيل مرقس أصح ما كتب عن شخص عيسى عليه السلام.

4) إنجيل الأمثال :

يحتل سفر الأمثال مكانا بارزا على مستوى الشعبي وفي أوساط العلماء وفي هذا السفر يحمل عنونا هو أطول عناوين العهد القديم على أن يشغل هذا العنوان الآيات الست الأولى من الإصحاح الأول و ترجمتها :

(أمثال سليمان بن داود ملك إسرائـــيل لمعرفة الحكمة و التأديب لإنالة الأغرار، دهماء والحديث علما وتدبيرا. و بالرغم من أن هذه السفر ينسب إلى سليمان إلا أنه في نظر العلماء المحدثين من نقاد الكتاب المقدس، يعتبر مجموعة من الأقوال المأثورة، مروية عن أكثر من مصدر واحد)[2].

ويقسمونه إلى عدة أقسام وفيه إشارة إلى أن هذا السفر لم يكتب في عهد السبي البابلي ومجرد حكم حزقيا فيها أخر ملوك يهوذا.

وتبقى أجزاء هذا الإنجيل متعددة المصادر من هو الملك "أموئيل" ؟ و لم يصل لحد الآن الباحثون إلى معرفتها وكذلك صحة الرواة أو تاريخهم و لا مصادر النصوص لما لها من الغموض [3].

---

[1] أحمد شلبي، مقارنة الأديان المسيحية، ص 212، نقلا عن وليم باركلي، تفسير العهد الجديد إنجيل مرقس، ص13 ترجمة القس فهيم عزيز.

[2] حسان ظاظا : الفكر الديني اليهودي (دمشق، دار القلم، بيروت، دار الشامية، ط4، 1420-1999) ص50-51.

[3] المصدر نفسه، ص 53.

5) إنجيل لوقا :

نسبة إلى لوقا أحد أتباع المسيح، لم يكن حواريا ولا تلميذا للحواريين وهو غير يهودي ، يقال انه ولد في أنطاكية، وانه كان طبيبا ومصورا، رافق بولس في رحلاته التبشيرية. ويقال إنه مات شهيدا فيبيوته في اليونان وعمره 74 عاما[1]

هذه جملة الأناجيل التي استخدمها القاضي في ردوده على النصارى وقد وجدنا اختلافا كبيرا بين نسخة القاضي في التمهيد منذ القرن الثاني للهجري والكتاب المقدس(توراة وإنجيل) الحالي باختلاف طبعاته، واختلاف نصوصه .

أما فقرات إنجيل الأمثال فلم نعثر عليها إطلاقا في نصوص التوراة الموجودة بحوزتنا وكذا القرص المضغوط.

[1] محمد السعدي، دراسات في الأناجيل الأربعة، ص12

المبحث الثاني المصادر العقلية

المطلب الأول : المنهج اللغة (أو الحد)

فاللغة هي وسيلة الخطاب الجمعي بين البشر، ولفظ اللغة مشتق من لغى، يلغي إذا لهج بالكلام، والكلام هو المفيد جملة معقودة من مبتدأ خبر، و فعل وفاعل. ومنه الكلم يتكون من فعل، وحرف جاء لمعنى وعليه فالاسم له مدلول على الأسماء، والفعل يدل على أسماء الأحداث الدالة على زمن معين[1].

محل اللغة في ردود الباقلاني محل أصيل، وجذري في حل ردوده سواء على صعيد الأفعال ومدلولاتها أم صيغ الأسماء وصيغ المبالغة في الردود عموما شكلت حجما كبيرا.

ففي ردوده على الجوهر والعرض نجد دلالة الفعل على الحدوث في قوله [كذلك فاقضوا على أنه لا فاعل لأجسام العالم وأن الفاعل لأغراض يفعله] [2]

[فأن قالوا الكلام والإرادة فعل من أفعال المتكلم المريد، قيل لهم: وكذلك العلم فعل من أفعال العالم، فقولوا إنه أقنومان ، فإن قالوا : قد يعلم بالعلم من لم يفعله، قيل لهم، وقد يريد بالإرادة ويتكلم بالكلام من لا يفعله...][3]

كذلك كان للمصطلحات* اللغوية أثرا كبيرا في فهم الخصم وإفهامه خاصة في ردوده على الصفات القدرة، الحياة، القوة هل هما شيء واحد، أم شيء متعدد وعليه، يظهر اللبس عند النصارى واختلافهم في المفهوم.

فدلالة الألفاظ اللغوية تحدد بتحديد المفهوم والمعنى من إيراد اللفظ.

وللحروف دور كبير على تغيير معنى اللفظ إلى أربعة أقسام:

إحداهما : ما لا يغير اللفظ والإعراب ويغير المعنى : كقولك زيد، منطلق ثم نقول هل زيد منطلق؟ فالإعراب على ما كان، و قد تغير المعنى من التحقيق إلى الاستفهام.

الثاني : ما يغير اللفظ والإعراب، لا يغير المعنى، نقول مثلا زيد في الدار، ثم نقول إن زيدا في الدار، فتتغير الإعراب والمعنى بحاله.

الثالث : ما يغير اللفظ و المعنى: نقول زيد خارج ثم نقول لعل زيدا خارج فالإعراب قد تغير، و تغير المعنى من التحقيق إلى الترجي.

---

[1] أبي المعالي عبد المالك ابن يوسف الجويني، البرهان في أصول الفقه، ت عبد العظيم محمود الديب، (ط3، 1412-1992) ج1، ص 135.

[2] التمهيد، ص 95.

[3] المصدر نفسه ،ص99

* المصطلح: إختزان لتركم معرفي فلسفي يحمل منظوم إلى العالم.

الرابع : ما لا يعبر اللفظ ولا المعنى وهي الزوائد كقوله تعالى :[فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝][1] معناها فبرحمة من الله [2]

هذا عن الأسماء والأفعال وتأثير الحروف فيها في تغيير المعنى من تشبيه* ومبالغة وحتى تغيير الإعراب و المعنى، أما عن الصفة ودلالتها على الموصوف [دخول حرف المبالغة في صفة العالم في قولنا عالم، وأعلم منه، واستحالة المبالغة في صفة الحي والتفضيل بين الحيين دليل على أن العلم ليس من الحياة في شيء، قيل لهم : فقولوا لأجل هذا بعينه: إن القدرة غير الحياة لأننا قد نبالغ في صفة القادر ونقول قادر، وأقدر منه، لا نقول حي وأحيا منه، فوجب أن تكون القدرة غير الحياة] [3]

كذلك نسبة الأقنومية لله عند النصارى وتعدد الآلهة يقتضي تعدد الصفات وتعديلها إلى الأربعة ومنه نفي التثليث إلى تربيع وغيره ومنه إبطال دليل النصارى في إرجاع صفات لا تليق برب واحد تعالى الله عن ذلك[4].

كيف درس الباقلاني لغة الإنجيل ورد عليها، نستشف ذلك في قوله [لذلك ما يختلف الناس في الفصاحة والبلاغة في العبارة عن الكلام الذي هو في النفس مع اتفاقه واختلاف العبارة عنه بالإطالة مرة والاختصار أخرى][5] فبمدارسة لغة الأناجيل وطرق كتابته يتضح اختلاف أساليب الكتاب باختلافهم، واختلاف عبارتهم من فصيح إلى بليغ أو ركيك ويتم اكتشاف ذلك أيضا بالأثر النفسي للكاتب وتاريخ الكتابة وهذا ما يعرف بعلم اللسانيات الآن..

فمثلا في قوله عيسى عليه السلام بصريح الإنجيل : [العذراء البتول، تحمل وتلد ابنا يدعى أو يسمى إلها][6] رد عليهم بنص مثله وهو قوله تعالى لموسى : " **إني قد جعلتك إلها لهارون، وجعلتك إله فرعون**"[7] على معنى أنك مدبرة له وأمر له و واجب عليه طاعتك، فقد كانت هذه

---

[1] سورة آل عمران، الآية 159.
[2] الجويني، أصول الفقه ص 135.
* يقول الباقلاني "ومما يعدونه من البديع التشبية الحسن" الباقلاني إعجاز القرآن، ص 118، رسالة الدكتوراه – محمد مخلوف.
[3] التمهيد، ص 99.
[4] المصدر نفسه، ص 100.
[5] المصدر نفسه، ص 283.
[6] الإنجيل متى، الإصحاح الأول، الفقرة 23.
[7] الإنجيل مرقص، الإصحاح 7 /23.

اللغة الأولى للإنجيل أي يدعى إلها فيمكن أن يكون قد أراد أن قوما يعلون في تعظيمه ويدعونه بذلك ويتجاوزون به الحد، ويكذبون في ذلك ويفترون[1] فدلالة اللغة والمعنى اللفظي له من الأثر على فهم النصوص فلا يمكن أن يكون المعنى مخالفا للجوهر ..... على ما أعترف به الناس تلك الفترة والعرف السائد عندهم.

على ضوء ذلك يقول الباقلاني (أ فليس الجوهر غير مختلف من حيث كان جوهرا ومن حيث لم يكن معدودا ومن حيث لم تكن له خواص متباينة المعنى؟) [2]

(فإن سلم النصارى على هذا القول أظهرنا لهم بأن اختلاف التباين من حيث كونه ابن تذرع واتحد بجسد المسيح دون الروح، و عليه فإن كانت متباينة معدودة.[فيجب أن يكون نفس الجوهر الذي ليس بمعدود و لا مختلف ولا متحد ولا متباين المعنى هو نفس المختلف المعدود المتباين المعنى المتحد، وهذا جهل ممن صار إليه وليس ذلك من قولهم في الجوهر، ولا خلاص لهم منه) [3]

كذلك في صفات الباري عز وجل قوله " إن الله تعالى مخالف لصفاته في معناها بمعنى أنه يجوز عليه ما يستحيل عليها، فللمعنى دور هام في إلحاق الحكم على صاحب الصفة، كمعنى الاتحاد عندهم هو الاختلاط وعند فرق أخرى بمعنى الممازجة.

فاستشهاد الباقلاني على صورة العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها، إذ كانت ألطف وأعجب صنعا من سائر ما يتعذر وجوده لا من صانع من الحركات والتصورات ولاشك أن هذه الفكرة تعد قريبة لفكر أبي الحسن الأشعرى ، إذ أنها تعد فكرة الصعود من العلم المخلوق إلى الله الخالق، و الواقع أن الباقلاني قد اهتم بالدليل على وجود الله تعالى في بكر من الأدلة – التي يعتمد كل دليل منها على فكرة رئيسة محددة، فإذا كان الدليل السابق يعتمد على فكرة الصعود من الصنع والخلق إلى الخالق تعالى. فإننا نجد أدلة أخرى منها ما يعتمد على القول بأن الحي كان في البداية لا حيا و لا ميتا إذن لا بد من التسليم بعلة أخرجته من الموت

و اللاّحياة إلى الحياة وللوجود ومنها مالا يعتمد على القول بأن العالم فيه نظام وترتيب، ولا يمكن أن يوجد هذا النظام والترتيب إلا بمرتب ومنظم هو الله تعالى بمعنى الصعود من الكثرة و التعدد إلى الوحدة و النظام والإتقان.

---

[1] التمهيد، ص 122.
[2] المصدر نفسه، ص 102.
[3] المصدر نفسه، ص 102.

إن أفكاره بلورة لأفكار الأشعرى – المستوحاة من الطبيعة ومن حالة إلى حالة. وهي مصداق قوله تعالى : [إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ۞][1] المخلوق لا بد له من خالق [أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞][2]

[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞][3]

ويمكن أن نسمي هذا الدليل بدليل الحدوث.

فالمماثلة* في قول القاضي[فأما من زعم أن معنى الاتحاد وهو ظهور الابن في الجسد و ادراعه له على سبيل ظهور الوجه في المرآة والنقش في المطبوع من غير حلول الوجه في المرآة وانتقال النقش إلى الشمع ،فلا معنى له– لأن هنا يشبه النصارى الاتحاد بالحلول فيرد عليهم الباقلاني بتشبيه أكثر بيانا من تشبيههم –لأن الوجه ليس يظهر في المرآة ولا صورة مثله، ولا ينتقل إليها ولا يوجد على صفحتها ولا ممازجا لها، وإنما يدرك الإنسان وجه نفسه عند مقابلة الأجسام الصافية الصقيلة بإدراك يحدث له يجري العادة عند مقابلة الأجسام بانعكاس الشعاع على ما يذهب إليه بعض المتكلمين،فيظن عند إدراكه لنفسه ومقابلة الجسم الصقيل، أن في المرآة صورة هي وجه أو مثل وجه، وليس كذلك ،وإذا ثبت أنه لا شيء يظهر في المرآة ولا يختص بها بطل بناء الاتحاد عليه[4].

فالباقلاني أدرك علم المعاني ومدلولاتها في التشبيه في و المقارنة أما المجاز* فاستعمله تقريبا للمعنى الموافق للموصوف لا المخالفة له كاستعمال النصارى على الأقانيم في قوله: [وإن قالوا

---

[1] سورة آل عمران، الآية 190.

[2] سورة الطور، الآية 35.

[3] سورة البقرة، الآية 164.

* المماثلة: ج مثل بالفتح و الكسر، ومثيل، هو من المثول بمعنى الإنتصاب والتصور ومنه قوله تعالى [وتمثل لها بشرا سويا] مريم 17 أي تصور، وقد فرق بعضهم بين المثل بالكسر بأن الأول عبارة عن شبه المعاني المعقولة أي عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني وأن الثاني عبارة عن شبه المحسوس، ولما كان المثل السائر شيئا في غرابة، وقعت إستعارته لكل حال، أو صفة أو قصة، يكتنفها شيء من الغرابة.محمد التومي: الجدل في القرآن نقلا عن الراغب الأصبهاني ، ص 232.

[4] التمهيد، ص 109.

* المجاز : أنظر الصفحة التالية وهناك من المجاز العقلي : وهو إسناد الفعل أو ما معناه إلى غير ما هو كقولك شبتيني الوقائع، فإسناد الإشباه إلى الوقائع مجاز عقلي، ومنه الإسناد إلى الزمان و المكان و المصدر، محمد علي السراج،

أليس لا يقال يد الإنسان مخالفة له و لا موافقة له كذلك. و الواحد من العشرة والبيت من القصيدة وآية من السورة، فما أنكرتم من مثل ذلك في الجوهر والأقانيم؟ قيل لهم إنما لم يجز إطلاق الخلاف والوفاق فيما ذكرتم لأن قولنا "إنسان واقع على الجملة التي منها اليد، وكذلك العشرة والواحد منها والبيت من القصيدة والآية من السورة و من المحال أن يكون الشيء مثل نفسه أو غيره أو خلاف نفسه وقولنا جوهر ليس بواقع عندكم على الجوهر والأقانيم التي هي خواصه ولا من أسماء الجمل، فسقط ما سألتم.

فالمجاز اللغوي هنا يكمن في نسبه اليد إلى الله تعالى على سبيل المجاز لا الحقيقة فالله لا يشابه البشر ولا هو كالبشر كما تجعله النصارى وفرقها الثلاث.

فالمجاز لغة، هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، فإذا كانت علاقة المشابهة سمي استعارة وإلا فمجازا مرسلا أو مركبا عقليا [1]

للأقانيم ولا مخالفة له، وكذلك الجواهر والأعراض لها ما للصفات من الاختلاف [ومن المحال أن يكون الشيء مثل نفسه أو غيره أو خلاف نفسه] [2].

فالصفات وصيغ المبالغة بها تدل على ثبوت الصفات للباري عز وجل أو متغيرة كما هو الحال عند النصارى، كما في الاستشهاد السابق [3] فالبصير غير باصر و العليم غير عالم، فهي صفات غير ثابتة خاصة بالمخلوقات وليس خاصة بذات الله عز وجل(كما أنه ما اتفق عليه جمهور العلماء أن الذات واحدة لكنها متعددة الصفات لكنهم ألزموا النصارى على الاعتراف بأقل من ثلاثة أو الأكثر من ثلاثة نفسها كما قال القاضي [4]

ويخرج الباقلاني من استدلالات الأسماء إلى استشهادات المعاني :

- اتفاق اللفظ واختلاف المعنى
- اختلاف اللفظ واختلاف المعنى.

كمثال : يكون الشيء مثل نفسه أو غيره خلاف نفسه.

فيجوز على صفات المعاني ما يجوز على صفات الرب عند النصارى.

اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب،راجعه خير الدين شمسي باشا، (سوريا دمشق، دار الفكر ط10، 1403ه-1983م)، ص 176.

[1] المرجع نفسه، ص173.

[2] التمهيد، ص 106.

[3] المصدر نفسه، ص 99.

[4] محمد السيد جليند، قضية الألوهية بين الدين و الفلسفة (القاهرة، دار قباء للطباعة، النشر و التوزيع، 2001) ص84.

فيجوز على الله سبحانه و تعالى ما لا يجوز على الأقانيم، في قوله : [.. إن الله تعالى مخالف لصفاته في معناها بمعنى أنه يجوز عليه ما يستحيل عليها، وأنه لا يسد مسدها ولا ينوب منابها لم يدخل علينا مثل ما لزمكم من كون المتفق بنفسه مختلفا بنفيه وكون جهة الاتفاق هي جهة الاختلاف][1].

كذلك استعمل الباقلاني طرقا شتى في التشبيه* و التمثيل لتقريب معنى الألوهية عندهم وعندنا والمقارنة بين صفات الرب ومعنى الألوهية، و الصلب والحلول في زعمهم عند صلب المسيح و قتله.

المطلب الثاني :

المنهج الأصولي :

نشأ علم الأصول في القرن الثاني للهجرة على يد الإمام الشافعي [150ه-204ه] ، فنهل من مشكاة النبوّة على أستاذه بالعراق مالك بن أنس سنة 184هـ[2] إذ لمّا رجع إلى المدينة كان يقول لحضوره (سلوني ما شئتم أخبركم بآية من كتاب الله و سنة رسوله و قول صحابي).

فعلم الأصول نشأ من القرآن و السنة معتمدا على القياس الأصولي و الفقه الدلالي الذي يعتبر العلّة سببا لصدور الحكم و اشتقاق الألفاظ[3]، و دلالات الأفعال ، وصيغ المبالغة ، كلها استخدمت في علم الكلام و اللغة و لها من التكامل في المنهج و الأسلوب .

فالباقلاني جعل من علم الأصول منهلا له في توظيف الألفاظ و إثبات العلّة ، بدليل الحواس والعقل ، و توظيف دلالات الأسماء و الأفعال ، بالجمع و المطابقة و الالتزام لإثبات الصفات الذاتية و الحسية لله تعالى.

سنتعرض في ثنايا البحث عن نماذج لهذه الاستخدامات على النحو التالي :

---

[1] المصدر نفسه، ص 105.

* التشبيه: في اللغة صفة الشيء بما يقاربه، ويشاكله، و يراد به تقريب الصفة وإفهام السامع. إصطلاحا : إلحاق أمر بأمر في صفة بأداة، فالأمر الأول مشبه والثاني مشبه به والصفة الوجه الشبه، والأداة الكاف وكأن وشبه و مثل وكل ما يفيه معنى التشبيه، كحسب وظن وحكى وحوى نحول العلم كالنور في الهداية إ هـ. محمد على السراج، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، ص 171.

[2] عبد الحليم الجندي، القرآن و النظر العقلي، ص 55 .

[3] المرجع نفسه، ص 55.

أ-دلالة الألفـــاظ:

لغة : هي الألفاظ الموضوعة للمعنى و مدلول الألفاظ مفردة أو مركبة ، هو المعنى ، وهو مأخوذ من العناية أي قصد المتكلم ، و هو المفهوم مأخوذ من فهم السامع فهما متحدا بالذات مختلفا بالاعتبار[1] و عليه فدلالة اللفظ على المنطق ما طرح بالنطق ، والمفهوم ما لا ينطق به أي يفهم على الإطلاق .

و المنطوق نفسه ينقسم إلى : أ - مطابقة النص ــ

ب- تضمن أي ظاهر

ج - التزاما هو اقتضاء قصد المحذوف .

د - إشارة إذا لم يقصد .

هـــ - أسماء .

[إمّا قائم بنفسه هو الجوهر ، أو قائم بغيـــــــره] .

و في قول الباقلاني [فلما ثبت أن القديم فاعل و ممن تأتي منه الأفعال ثبت أنه جوهر]2.

فالقائم بنفسه غير محتاج لغيره جوهر دلالة الفعل على الفاعل قائم بغيره هو العرض هنا دليل اللفظ إشارة.

- إذ ذهب الأصوليون من أصحاب أبي الحسن رضي الله عنه أنّ الفعل في حال الحدوث مأمور به ، و نقلوا عن المعتزلة خلافهم في ذلك ، و مصيرهم إلى أنّ الحادث لا يتصف بكونه مأمورا به في حال الحدوث و بنى المشايخ هذه المسألة على الاستطاعة و تعلقها بالفعل حالة الحدوث)3.

فدلالة الألفاظ هنا هي نقل الشرع الألفاظ اللغوية عن حكم وضع اللسان إلى مقاصد الشرع إثبات العلم و الاستقراء أي معاني الفقه و العقيدة لإقرار ما أقره الشرع و الأخذ بالفتاوى في الفقه .

و عند الباقلاني : هي مقرّة على حقائق اللغات ، لم تنقل ، و لم يزد في معناها4.

- و هذا الإقرار في المسائل لا يكون إلاّ بمعية الدليل المرشد لها و الذي اشترط وجود خصائص لثبوت العلّة عند علماء الأصول . (و استلزموا فيها الظهور و الانضباط [ومناسبة

---

[1] عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن نية، أمالي الدلالات و مجالي الاختلافات (لبنان،بيروت، دار ابن حزم ،ط1 ،هـــ1419-1991مس) ص 64.

[2] التمهيد، ص 94.

[3] أبي المعالي الجويني، البرهان في أصول الفقه، ت- عبد العظيم محمود الديب ،ج 1 ،ص 194-195.

[4] المرجع نفسه، ص 133.

الوصف] للحكم و تأثيره و عدم اقتصار العلّة على الأصل و ثبوتها بدليل شرعي حتى لا يختلط ما هو مغيب بما تلمسه الحواس و يقرره العقل و يثبته الدليل)[1].

و شروط العلة و الدليل عند الباقلاني أفضنا الحديث عنها في الفصل الثالث من الرسالة[2].

- الاستدلال بالنصوص قطعية الدلالة و غير قطعية الدلالة ، كالاستدلال بالقرآن الكريم

ب. الإيمـــــــاء

و هو ما يدل على عليّة " الوصف " بقرينة تومئ إلى المقصود أي توحي به[3].

و استعمل الباقلاني هذا النوع بالصفة أو القرينة في الاستدلال على الأقنومية [إنما تثبت للباري بصفة ترجع إلى نفسه لا تعلق لها بغيره و هي كونه موجودا وجوهرا يرجع إلى نفسه و كونه حيا يرجع إليه و لا تعلق له بغيره ، و كونه عالما بنفسه صفة يرجع بها إلى نفسه][4].

فالصفة توحي وتومئ بمعنى صاحبها وتدل عليه لا على شيء أخر ملازم له أو تابع له كما يظن النصارى، أن الصفات لإقانيم مكملة للذات العليا وهذا منتهى النقص المنافي للكمال الرباني.

ج. السبـــــر و التقسيـــــــم

هو من الطرق الاستدلالية التي أفاض القرآن الكريم الاستشهاد بها ، و كانت وسيلة لعلم الكلام في الحجاج مع المتكلمة و مع الفلاسفة ممن يخالفون المعتقد .

و سمي بهذا الاسم السبر و التقسيم لأنّه يقوم على الحصر و على التقسيم : حصر الأوصاف الموجودة الأصل التي يظن أنها تصلح علّة ، و السبر : هو اختبار الأوصاف وصفا وصفا، لمعرفة ما يصلح منها للعليّة و ما لا يصلح لاستيفاء ما يصلح و استبعاد ما لا يصلح ، ثمّ نبدأ عملية بحث شروط العلة في الوصف الصالح ، فإذا توافرت الشروط في الوصف اعتبر علّة[5].

و استشهد الإمام الباقلاني بهذه الطريقة للاستدلال على الجوهر و الأقانيم [الأقنومية تثبت لله لصفة ترجع إلى نفسه لا تعلق لها بغيره بكونه عالما ، حيا ، بنفسه لا بغيره ، و ليس أقنوما عالم بغيره و كذلك كونه باقيا لصفة فيه و ليست بغيره كالأقانيم و في ذلك ترك التثليث][6] كذلك في معنى الأقانيم أهي خواص لصفات الجوهر ، فيقال لهم : عند استحالة كون الأقانيم خواص

---

[1] عبد الحليم الجندي، القرآن و المنهج العقلي، ص 91.
[2] الفصل الثالث ص77.
[3] عبد الحليم الجندي، القرآن و المنهج العقلي، ص 91.
[4] التمهيد، ص 100.
[5] عبد الحليم الجندي، القرآن والمنهج العقلي، ص 91.
[6] التمهيد، ص100 بتصرف.

لأنفسها ، و إنّما تكون صفات لشيء آخر هو غيرها و لا يقال إنّه هي، و منه توجب إثبات معان متعددة جوهر و ثلاث خواص و منه ترك التثليث.

كما أنّ الصفة لنفسها لا لغيرها كما أنه لا يمكن أن يكون هناك مخصوصا بهذه الخواص و منه إبطال الجوهر[1] فخاصية العليّة بانتفاء الصفة عن ذات واحدة و جعلها في ثلاث أقانيم تنتفي التوحيد ، و تنفي التثليث و منه بطلان قولهم .

رابعا المناسبة:

ومعناها ملاءمة الوصف للحكم مع سلامته مما يقدح فيه[2].

استعمل الإمام الباقلاني هذا الطريق في مرده على الملكية في الرد على الأقانيم أهي نفسها الجوهر ملائمة له أم مخالفة عنه فإذا كانت ملائمة ، فالله موافق لصفاته أم مخالف لها فيجوز عليه ما لا يجوز على الأقانيم و منه نفي الألوهية عن الأقانيم كما أنّ اختلافها يستدعي عدم اتحادها ، فيوافقها بسد مسدّها أو يخالفها فلا يسدّ مسدّها[3] و منه ترك التثليث.

دلالات الأسماء.

فالغرض من استعمال دلالة الأسماء في الألفاظ هو ترتيبها وتركيبها لفهم معناها والمغزى منه، إذ اختلاف الأسامي عند اختلاف الصور الذهنية ، يدل على أنّ اللفظ لا دلالة له إلاّ عيها)[4].

واستعملها الباقلاني للتدليل على صفة الحلول عند اليعقوبية و النسطورية في أن الاتحاد هو كاختلاط الماء و امتزاجه بالخمر و اللبن إذا صبّ فيهما و مزج بهما[5]. فتذهب صورة الذهن إلى المخالطة لا لشيء آخر، للأسماء استعمالات أخرى في الوصف في قوله [قد ينقص العلم و يزيد، و يوجد و يعدم، و الحياة باقية بحالها ، فوجب أن يكون العلم ليس من معنى الحياة في شيء] [6]

و في صيغ التخصيص و التعميم و صيغ المبالغة و كلها دلالات لفظية لغوية مستمدّة من الشرع، و أمثلة صيغ التفضيل و المبالغة [دخول حرف المبالغة في صفة العالم : عالم وأعلم منه و قادر و أقدر منه و حي و التفضيل بين الحيين][7]، و منه نخرج خلاف القدرة عن الحياة فهي غيرها، و منه خلاف الأقانيم في الصفات دليل على اختلافها و عدم إمكانية توحيدها.

---

[1] المصدر نفسه، ص 106.
[2] عبد الحليم الجندي، القرآن والمنهج العقلي، ص 91.
[3] التمهيد، ص 104-105.
[4] أبو بكر الرّازي، المحصول في علم الأصول، (بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1408-1988م) ص 69.
[5] التمهيد، ص 108.
[6] المصدر نفسه، ص98.
[7] المصدر نفسه، ص99.

الاستثناء هو : إخراج بعض الجملة من الجملة بلفظ إلا أو ما أقيم مقامه[1] .

و يعرفه علماء النحو بأنه إخراج الشيء عن حكم دخل فيه غيره، و يعنون أن ذلك الإخراج يكون بكلمات مخصوصة يعينونها، و أنك لتعلم أن إخراج ما ليس بداخل غير صحيح.[2]

الاستثناء :

و قد استعمله الباقلاني في إثبات الوحدانية و نفي كون الله جوهرا و عرضا في قوله [فأنتم أيضا لم تجدوا حادثا إلاّ و قبله حادث و لا شيئا إلاّ عن شيء و لا إنسانا إلاّ عن إنسان] [3]، مقرونا بالنفي في قوله :

كذلك في قوله لا فاعل لأجسام العالم و أن الفاعل لأغراضه يفعلها بآلات وأدوات وأوجبوا على من نشأ في بلد الزنج لم يجد بها ماء إلا عذبا و لا إنسان إلا أسود .... ويستطرد في الحديث على انتفاء الدور أي قصة الصدفة في إنشاء الكون فالأساليب اللغوية ذات مغزى أصولي فيها تشبيه للعالم العلوي بالعالم الملموس .

كذلك في قوله (لا فاعل لأجسام العالم و أن الفاعل لأغراضه يفعلها فوجوب القضاء بالجهل الذي يعلم بطلانه اضطرارا)[4] .

التخصيص :

و هو من الأساليب اللغوية الدلالية في علم الأصول و هو إفراد الشيء بالذكر في اصطلاح الأصوليين[5].

و قد خص الإمام الباقلاني ذات الله تعالى بصفات لا توجد في غيره على ذلك .

و خلاصة القول إنّ المنهج الأصولي الذي اتخذ منه الباقلاني مصدرا في ردوده على النصارى هو منبعث من الأسس اللغوية ، ذلك أنّ اللغة في الجمع و التخصيص ، دلالات الألفاظ والأسماء و حمل المطلق على المقّيد و صيغ المبالغة و الاستثناء في الأصول جلّها في مناهج اللغة.

كما أن الأصوليين من أصحاب أبي الحسن يذهبون إلى أنّ الفعل في حال الحدوث مأمور به ومصيرهم إلى أنّ الحادث لا يتصف بكونه مأمورا به في حال الحدوث : و منه الاستدلال على الصفات بدلالة الفعل على الفاعل و إسقاط صيغ التفضيل على الأسماء كعالم و أعلم منه

---

[1] أبو المعالي الجويني، البرهان في أصول الفقه ، ص 406.

[2] السّكاكي، مفاتيح العلوم، طبقه نعيم زرزور ،(لبنان دار الكتب العلمية ،ط1407،2هـ1987م)ص507.

[3] التمهيد، ص 95.

[4] المصدر نفسه، ص 95.

[5] الجويني، البرهان في أصول الفقه، ص 269.

للخروج بالصفات الثابتة و صفات النقص التي يصف بها النصارى إلهكم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

المطلب الثالث

منهج المتكلمين :

لم يكن الباقلاني أول مفكر إسلامي ناقد للمسيحية و عقائدها و إنما سبقه إلى ذلك[1] العديد من المتكلمين أمثال الجاحظ المعتزلي* وأبي الحسن الأشعري، أبي منصور الماتريدي، إستعان بهما. في ردوده على الفرق المخالفة سواء في الملل أو النحل أو الدين،وعليه يقول عرفان عبد الحميد [مما تجدر الإشارة إليه هو أن الكثير مما نسب إلى الباقلاني من آراء لم تكن من بناة أفكاره وإنّما هي من وضع الأشعري نفسه وخاصة مذهب الذرة من القول بالجوهر وأن العرض لا يقوم بالعرض و أنه لا يلبث زمانين)[3] خلقت له تلك الملكة النقدية خاصة و أن المزيج الاجتماعي لتلك الأفكار والمعتقدات على أشدها[4]. مهدت لتلك الملكة النقدية في فكره.

سنبدأ بإيضاح هذا التأثير أو الأساس الذي بنى الباقلاني عليه مختلف الردود على النصارى بدءا بأولها تاريخيا و هم متكلموا النصارى أي فرقهم ملكانية، نسطورية ويعقوبية وتصحيح أخبارهم بقول الباقلاني : يقال لهم فيجب تصحيح أعلام المسيح صلى الله عليه و على نبينا وسلم بنقلنا و نقل العيسوية ونقل الموحدة من النصارى من رؤوس الآروسية الذين يقولون إن عيسى ابن الله على جهة الاختصاص و الإكراه و لا يجدون لذلك مدفعا][5]

وبين تلك الاختلافات المذهبية في الفرق النصرانية حول بنوّة عيسى عليه السلام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا نبّين أبرز هذه الفرق في ما يلي:

الملكانية: نسبة إلى ملك الروم و قد تعرضنا لحياته و أفكاره في ألوهية المسيح في الفصل الثالث[6] يعبر عنهم الباقلاني بالروم.

---

[1] محمد حسني أبو سعدة، المنهج النقدي عند الباقلاني، رسالة ماجستير ،ص73، بتصرف، قال ينبرج بأن المعتزلة كانوا أشد المسلمين دفاعا عن الإسلام في ذلك الزمان وحميه على مخالفيهم) المصدر نفسه ص 74 نقلا عن مقدمة كتاب الإنتصار للخياط المعتزل ص 50.

[3] عرفان عبد الحميد، الفرق والعقائد الإسلامية (عمان الأردن، دار النشر مؤسسة الرسالة شارع سوريا، ط1417،2ه، 1997 م) ص 150.

[4] التمهيد، ص112.

[5] المصدر نفسه، ص194

[6] فقد ظهر تاثير المذاهب أفلاطونية و الأبيقورية ماله من الأثر في تأثير المذاهب السقراطية في الصدوقيين و هم فرقة مسيحية شاركت أرسطو في رفض كل ما يدعيه العقل و ظهر ذلك التأثير في الفكر اليهودي.

النسطورية: نسبة إلى نسطور.

اليعقوبية: نسبة إلى يعقوب البرادعي.

والفرق المسيحية الأخرى مثل الأبيون* التي تعتقد بالتوحيد وARIUS أريسيين* والسمساطي*

الفرق الموحدة: أي التي ترفض عقيدة التثليث أو ما تسمى بعقيدة بولس و هي فرقة قديمة حرمتها الكنيسة و اعتبرت أصحابها هراطقة أي كفارا يجب مقاطعتهم وحرمانهم بل وقتلهم[1].

فالمجتمع المسيحي وجد نفسه أمام حقائق علمية لتحريف الإنجيل وتعدده، فتناقلته الفرق عبر العصور وتعددت تفسيرات نصوصه للأفكار كرفض التجسد و دعوا-أي رجال الكنيسة -إلى المعرفة السرية تناقلتها صفوة المجتمع ، هي في نظرهم الأمل الوحيد للخروج بالخلا ص، فقد ضمت هذه الفرق الغنوسية عناصر مأخوذة عن المسيحية و اليهودية، و الهيلنية و عن الديانات الفارسية أيضا، و اعتبرها الكتاب المسيحيون هرطقات مسيحية، لكن بعض المؤرخين يتساءلون، ألسنا بالحري بصدد ديانات غريبة ضمت بعض العناصر المسيحية؟.[2]

ففي الاتحاد مثلا يقول الباقلاني : (أما من زعم منهم أن معنى الاتحاد هو ظهور الابن في الجسد و إد راعه له على سبيل ظهور الوجه في المرآة و النقش في المطبوع من غير حلول الوجه في المرآة وانتقال النقش إلى السمع، فلا معنى له لأن الوجه ليس يظهر في المرآة و لا صورة مثله، و لا ينتقل إليها و لا يوجد على صفحتها ولا ممازجا لها، و إنما يدرك الإنسان وجه نفسه عند مقابلة الأجسام الصافية الصقلية بإدراك يحدث له يجري العادة عند مقابلة

---

* EBION الأبيون هي فرقة مسيحية موحدة تقر جميع شرائع موسى عليه السلام و هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم و تنكر ألوهية المسيح و تعتبره مجرد بشر رسول و كان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها هذه إنجيل خاص مدون باللغة الأرمية إنقرضت أواخر ق 4م، المرجع انفسه ص 26.

* نسبة إلى أريوس ARIUS وكان قسيسا في كنيسة الإسكندرية و داعيا قوي الحجة و قد أخذ على نفسه في أوائل قرن4 مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القول بألوهية المسيح و بنوته للآب فقام يقرر أن المسيح ليس إلها و لا ابنا لله و إنما هو بشر مخلوق و أنكر جميع ما جاء في الأناجيل من عبارات توهم ألوهية المسيح و يلخص ابن البطريق مذهبه فيقول كان يقول أن الأب وحده الله و الإبن مخلوق مصنوع ...و قد أصبح مذهبه رائجا في شمال إفريقيا و جنوب أروبا، المرجع نفسه ص 26.

* بول سمساط و الذي كان أسقفا لأنطاكيا سنة 260م إذ أنكر ألوهية المسيح و قرر أنه مجرد بشر رسول و قد عقد بأنطاكيا سنة 264-269م ثلاثة مجامع للنظر في شأنه و إنتهي الأمر مع بقاء لأتباع له حتى قرن 7م، المرجع نفسه ص 279.

[1] سعدون محمود الساموك، موسوعة الأديان و المعتقدات القديمة (عمان الأردن، دار المناهج، ط1، 1422-2002)، ج1 العقائد ، ص278.

[2] اليهودي المسيحي فيما بعد خاصة في فكر فلون في الإسكندرية الذي كان معاصرا للمسيح 20ق-م و 54ق-م و في ذلك إستقوا ما وافقهم في الفلسفة اليونانية لا سيما من تعاليم أفلاطون. و هكذا جمعوا بين موسى و عقائد حكماء اليونان في الفلسفة جديدة هي المسيحية. قاموس الكتاب المقدس (مكتبة العائلة) ص 696 -أفلاطون 430 – 447 ق م – أرسطو، طاليس 484 – 422 ق م

الأجسام بانعكاس الشعاع على ما يذهب إليه بعض المتكلمين)[1] فيظن عند إدراكه أي متكلموا النصارى الذين أدخلوا الفلسفة الوسيطية في التعدد و مزجوها.

كما اعتمد الباقلاني على منهج السلف الصالح و طرق المتكلمين الذين سبقوه في الردود على النصارى من معتزلة و أشاعرة وغيرهم من السنيين، فلا شك في اعتماده طريقة السنيين، تأثره بشيوخه وإطلاعه إطلاعا مباشرا على دقائق الموضوع الذي يطرقه إذا كان يغرف من بحر رجل لم يكن اعتزاله بله خروجه عن المعتزلة[2]، فالمعتزلة كانوا أسبق زمنا من ظهور الأشاعرة إذ بالرغم من خوضهم في مسألة الصفات التي عني بها السلف إلا أن فيهم من كان همه سوى الدفاع عن الإسلام و نشره فتكلموا بكلامهم.

وفي هذا من يقول بأن المعتزلة كانوا أشد المسلمين دفاعا عن الإسلام في ذلك الزمان وحمية على مخاليفهم[3].

ومن أمثلة اتخاذ الباقلاني لمنهج سلفه، الجاحظ الذي أخذ عنه في غير موضع شتى طرق الحجاج العقلي للرد على النصارى.

فضلا عن تشابه ردود الباقلاني و الجاحظ إلا أن القاضي يقول بالأحوال و يخالف أبا هاشم الجبائي المعتزلي أول من قال بالحال. في قوله إن الحال لا موجودة و لا معلومة و لا مجهولة[4]، بل يرى أنها معلومة ويرد عليه ردودا طويلة إلى القول بالقديم دون المحدث وإن كانت موجودة وجب أن تكون صفة و شيئا متعلقا بالعالم، فوجب همه في الصفات[5] فرد عليه كما رد على الصفات عند النصارى.

كذلك من أمثلة استدلالات الباقلاني المأخوذة عن النظام* شيخ الجاحظ تمحيص أدلة الخبر الصحيح والفاسد في قوله: (وما الذي يؤمن من فساده وتبديله مع تقادم عصره وكثرة الطاعنين فيه. وعن الحاجة إلى رواية الآثار، وإلى سماع الأخبار وعن أخلاق الناس وآبائهم ،ومذاهب

---

[1] جان كامبي، تاريخ الكنيسة، ص 85.

[2] عبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،(تونس ،الدار التونسية،1986م) ص 213.

[3] محمد حسني أبو سعدة، المنهج النقدي عند الباقلاني، ص 74، نقلا عن مقدمة كتاب الإنتصار الخياط المعتزلي، ص 50.

[4] عبد الرحمان عميرة و بن صالح المحمود، موقف إبن تيمية من الأشاعرة، ج2، ص 544.

[5] المرجع نفسه، ص 543.

* النظام :نسبة إلى النظامية وهم أتباع إبراهيم بن سيار النظام 231هـ 854 م تلميذ أبي الهذيل العلاف ، كان أعظم شيوخ المعتزلة و أقدرهم على الكلام وأكثرهم تعمقا في الفلسفة، و أوفرهم إنتاجا ذكر الشهرستاني أنه طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة. زهدي جار الله ، المعتزلة (دار الينابيع ط5، 1407 – 1987) ص 128.

أسلافهم وعن أسمى الملوك عندهم وما صنعت الأيام بهم وعن شرائع أنبيائهم)[1] .هذا الأمر لا يتسنى إلا للمدقق الممحص للأخبار بواسطة إسقاط المنهج التاريخي على المعلومة المتواترة.ولهذا المنهج فائدة لا محالة (يعرف حالة الخبر والمخبر وصحة الأخبار يعرف النبي من المتنبي ..والصحة من الكاذب فإذا نزلت الأخبار منازلها ذكرت حجج النبوة، وأدنى منازل الإظهار، إظهار الحجة على من ضاره و خالف عليه)[2]كذلك استشهاداته في قياس الغائب على الشاهد الذي استعمله كثيرا الباقلاني في ردوده على الصفات وعلى الفرق المسيحية. إذ يقول الجاحظ: (ولم يكن ليأمر الأقصى إلا كما يأمر الأدنى، ويأمر الغائب عن الحاضر... فالعقل هو مستدل، والعيان والخبر هما علة الاستدلال وأصله العقل مضمن لدليل و الدليل مضمن للعقل)[3]

المقارنة بين نصوص القرآن المتصلة السند بنصوص الإنجيل المنقطعة خبرا و متنا في قول الجاحظ: (من تناول الفرع قبل أحكام الأصل سقط)[4]

هنا دعوة بالرجوع إلى الأصل، كذلك في حجج النبوة صرح الجاحظ بأن فعل التحدي من قبله صلى الله عليه وسلم كان لتعجيز: (تحدى أبلغ البلغاء وأفصح فصحاء العرب فعجزوا عن الإتيان ولوبآية)[5] فالاستدلال بالمعجزة هي نفسها عند الجاحظ كما هي عند الباقلاني إلا أنه أضاف إليها بعد الاستدلالات العقلية.

<u>الأسلوب و المعاني :</u> إن من بين الأساليب الحجية في الرد وإقناع الخصم بالجدال والبراهين، أي يستعمل في الطرق الخطابية الأسلوب و المعاني وهذه الأخيرة تعتمد على مقدمات منطقية للخروج بالخصم للتسليم بعد الوقوف على معنى الصيغة أو اللفظة التي استخدمها النصارى. وسبب استخدام الباقلاني لهذا الأسلوب أنه كانت البحوث متجهة نحو المعنى أوالصورة جوهر الأشياء ولم تكن مجرد فلسفة عقلية ميثافيزيقية، فعن طريق التعليل الاستنتاجي سعى سقراط إلى اكتشاف العنصر الثابت الذي هو أساس وجوهر الظواهر والآراء المتبدلة المتقلبة[6] فيقف الباقلاني رادا عليها بنفس أسلوبها: (فقد يكون

---

[1] أبي عثمان عمر بن بحر بن محبوب البصري الجاحظ : رسائل الجاحظ (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1420-2000)ج 3-4 ص: 161.

[2] المرجع نفسه : ص: 172.

[3] المرجع نفسه ص:173.

[4] المرجع نفسه ص: 174

[5] المرجع نفسه ص: 174.

[6] قاموس الكتاب المقدس ت بطرس عبد الملك، جون ألكسندر طمسن و إبراهيم مطر ط13 مكتبة العائلة القاهرة ص: 695و696

الكلام الخطابي مجملا بالأشكال والمنطقية في مقام الرد على حجج الخصوم وكشف زيفها، وبيان وجه البطلان فيها وكثيرا ما نستخدم الخطب التي تقوم على المحاجة والجدال والبراهين و الأقيسة المنطقية لبيان وجه البطلان في كلام الخصم)[7].

فدلالة المعنى في مفهوم الثالوث المسيحي يتضح بيان معنى استخدام اللفظ، مبني عندهم على أسس تخيلية في ذات واحدة أي ثلاث تجتمع لتحقق التوحيد، وكثيرا ما ذكر الآريوسيون على أنهم موحدة وإطلاق اللفظ هكذا مضلل، (فالآريوسيون لا يوحدون التوحيد المفهوم من دين الله الحق إنما هم يخلطون فبينما يقررون أن المسيح ليس أزليا كالله وهذا حق يقررون في الوقت نفسه أن الابن وأنه مخلوق من الأب، قبل الحاكم وهذا لا يعتبر من التوحيد الحقيقي في شيء)[8]

أما النسطوريون فإنهم تصورا الأقنوم شيئا أدبيا معنويا محضا وأمرا عرضيا، (فدلت لفظة البرسبون عندهم على شخصية المجازية بالمعنى الواسع، أكثر مما دلت على الشخص الحقيقي[9])

المطلب الثالث : الاستدلال بالمعجزة

فالمعجزة عند الباقلاني تجري مجرى الاستدلال بالشهادة التي يستحيل تواطؤه على الكذب ومنه يقول:(وقد يستدل بالمعجزة على صدق من ظهرت على يده لأنه تجري مجرى الشهادة له، ويستدل على صدق المخبر عنه صلى الله عليه ، أنه لا يكذب ، وكذلك يستدل بخبر من خبر عن صدقه صاحب المعجزة على صدق من أخبر عنه أنه لا يكذب)[10]

فالباقلاني هنا يستعمل طريقة المحدثين في نقد سند الإنجيل وأن نصوصه عندما تخضع لطرق المحدثين في نقد السند وهم رواة وحواريي عيسى عليه السلام لا نجد لهم أثرا في التاريخ أي مجهولو النسب ومحرفو التوراة زادوا ونقصوا في التعريف بهم حتى وصلوا إلى باب مقطوع من النسب عكس القرءان الكريم الذي تعهد الله بحفظه الخلف عن السلف يستحيل تواطؤهم عن الكذب .كما أنه في النقد الحديث لم يوجد علم لحد الآن أكثر حداثة ودقة من علم الجرح والتعديل وهذا بشهادة المسيحيين أنفسهم وكذا أصحاب العقول النيرة من الباحثين، وعليه لا يمكن الطعن في صحة الخبر المنصوص عليه من القرآن والسنة الشريفة المتواترة.

---

[7] فاطمة محمد إسماعيل : ص 143.

[8] سيد قطب : في ظلال القرآن م4 ج 10 ط3 ص: 199.

[9] لويس غرديه : فلسفة الفكر الديني ج2 ص: 300.

[10] التمهيد ص: 33.

السنة النبوية

-الخبر الوارد عنه صلى الله عليه و سلم و هو ما نقله كافة الأمة من قوله : "لا نبي بعدي" فقد نقلوا ذلك في الأثر و الخلق عن السلف حتى يتصل ذلك بمن شاهد النبي صلى الله عليه و سلم أنه أكد هذا القول و مرده عن كل قرينة توجب تخصصه أوجب العلم ...ومراده للنفي لسائر الأنبياء بعده ممن ينسخ شريعته و ممن لا ينسخها من شريعته و ممن لا ينسخها من العرب وغيرها و في عصر بعد وفاته إلى أن يرث الله الأرض و من عليها][1].

فهو يستشهد على صحة الخبر كما جاء بالطرق النقلية التي جاءت كما أخذها لصاحبه عن النبي صلى الله عليه وسلم وكما جاء بها القرآن من غير نقل و لا ترجمة من لغة إلى لغة وكما جاءت عند النصارى.

من أمثلة التطبيقات منهج الاستدلال بالمعجزة الاستدلال على الاتحاد

لماذا الاتحاد يكون لعيسى دون موسى و محمد صلى الله عليه و سلم، و لماذا عيسى عليه السلام هو فاعل المعجزات دون غيره مثلا: كالله سبحانه و تعالى؟ هنا مقارنة بينه و بين سائر الأنبياء.

لماذا لا يكون موسى كذلك فاعل للآيات و المعجزات نحو قلب العصا حية وإبراء العينين ونحو فلق البحر ؟هنا استدلال تاريخي.

فإذا قالوا موسى لم يفعل ذلك بل كان يرغب إلى الله و يدعوه قيل لماذا لم يفعل ذلك عيسى من الدعاء دون القيام هو نفسه بها وقد نطق بها الإنجيل [رب إن كان في مشيئتك أن تصرف هذه الكأس فاصرفها عني][2]. فالإنجيل أقوى دلالة و تفسيرا [إني قد جعلتك إلها لهارون و إله فرعون][3]، أي الوصي عليهما لا ربهما[4].

هنا دلالة اللغة على هذا المعنى لا معنى آخر و في نصف آخر للإنجيل [يدعى اسمه إلها][5] أراد قوما يغلون في تعظيمه و يدعونه بذلك و يتجاوزون به الحد و يكذبون في ذلك.و هناك استدلال تاريخي آخر في قوله إن عيسى سمي إلها لأنه لم يلد من رجل قيل فآدم عليه السلام أولى بالألوهية إذا كان الأمر كذلك، كذلك حواء ربة لأنها خلقت من ضلع آدم كذلك الملائكة أولى بالربوبية لأنه لا من ذكر و لا من أنثى و منه إبطال قولهم بألوهية عيسى عليه السلام.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأنبياء.
[2] الإنجيل متى، الإصحاح الثالث، فقرة 17.
[3] الإنجيل لوقا، الإصحاح 13.
[4] التمهيد، ص122.
[5] الإنجيل مرقص، الإصحاح 09، فقرة 23.

[أما قوله أنا و أبي واحد][1] مفسرة بالإنجيل بأنها [من أطاعني فقد أطاع معلمي]. ومن عصاني فقد عصى أبي من هذا الباب و إلا لكان القتل واقع على الأب (الله) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فهو فوق المحدثات كذلك الحمل و الولادة و الصلب و الأكل و الشرب وهي ليست من صفات الربوبية و هو ترك قولهم.

المصدر التاريخي:

إن من أهم مقومات الشعوب الرجوع إلى تاريخها، فالتاريخ يبين لنا قيمة حضارته و عراقتها. والدين واحد من هذه المقومات التي جعلت المسيحية تتغير و تتبدل وفقا للظروف الزمنية، فبعدما كان التوحيد ،انتقل إلى التعدد بعد حصر الربوبية في ثالوث خرافي من أساطير الماضي و أقرتها المجامع الكنسية المسيحية [لما كانت سائر أوجه معيشتهم لا تزال مشبعة بالوثنية فقد طلبوا الإضافات و الإعلاء من الوثنية، و من تقاليد الأجداد و من الطقوس القديمة البالغة القدم حتى لكأنها جزء لا يتجزأ من مجتمعهم و من المعتقدات و الخرافات التي لازمتهم في كل زمان فلم يعودوا يميزون بينها و بين تفكيرهم الديني الخاص.][2]

فالمسيحية تأثرت بالأفلاطونية المحدثة و الفلسفة الوسيطية لأغستينس* OGUSTIN نهلت منها أفكارها ومزجتها ببقايا المسيحية، فانتقلت من التوحيد إلى التثليث والذي أقرته المجامع الكنسية خاصة فيما يخص بعيسى [هو الله و أن يظل الله واحدا و نشأت عنها الأساطير التي جعلت من مولد المسيح وحياته أكثر المعجزات إعجازا ثم هي قد أقامت بعبادتها لمريم العذراء حقيقة جديدة مكنتها من الإيمان إلى جانب عبادات القديسين[3]

فالقديس أغستينس مزج بين الفلسفات القديمة وزاد من أفكاره الخاصة حتى أحدث في المسيحية أكثر مما فعل قبله. [إنه يلاصق بين نظريات مختلفة أرسطية و أفلاطونية ورواقية وفيتاغورثية، و أغستينية وما إلى ذلك إنه لاصق بينها أكثر مما يحاول إشادة بناء فلسفي، أو نسق ممذهب، لقد ميز بين الهيولي و الصورة و بين القوة و الفعل، والعلل الأربع وقال إن الله

---

[1] الإنجيل الأمثال، الإصحاح الرابع، فقرة 7.

[2] شارل جنيبر، المسيحية نشأتها و تطورها، ت عبد الحليم محمود، (القاهرة،دار المعارف ، ط3) ص 236.

* القديس أغستينس 354-430م من أعظم الآباء تاثيرا في الغرب ولد في تاغشت نوميديا سوق أهراس بالجزائر، سافر بعدها إلى روما و ميلانو و لزمن طويل ظل يبحث عن الحقيقة من خلال الفلسفات و البدعة المانوية لكنه إهتدى أخيرا إلى النور بالتأثير أمبروسيوس الذي منحه سرّ العماد المقدس سنة 387 ثم سلك طريق الحياة الرهبانية بالقرب من هبونا (بون عنابة) فانتخبه المسيحيون من أهلها كاهنا لهم ثم أسقفا سنة 395 م و له عظيم الأثر في تفسيرات متمكنة في الكتاب المقدس و أطروحات فلسفية و لاهوتية من بين مؤلفاته الأكثر شهرة "الإعترافات" و هي صلاة شكر طويلة ومدينة الله و يكفي للدلالة على مكانته أن جميع اللاهوتيين المتأخرين حتى لوثر وكلفن و جان سنيوس يستشهدون به ويركزون على فكره اللاهوتي و مما يعيب عليه استخدامه للعنف ضد الأساقفة الدوناتيين و معارضته لهم بالقوة وإجبارهم على مذهبه. جان كامبي، تاريخ الكنيسة، ص148 و ما بعدها بتصرف يسير.

[3] المرجع نفسه، ص 236.

صورة محضة و إنه محرك أول ولا متحرك...و ذلك كله على غرار أرسطو بل نقلا أعمى له إلا أنه أخذ أيضا عن القديس أغستين كثيرا[1].

على ضوء هذه المصادر التاريخية من فلسفات و أفكار وثنية رجع الإمام الباقلاني إلى أصولها ورد على معتقدها "فأصبح الأمر أشبه شيء بالدين المتعدد الآلهة تغذية أساطير الوثنية في كثير من الأحوال[2].

حجم النبوة:

الإعجاز عند الباقلاني:

إن مفهوم إعجاز القرآن الكريم من الناحية الإصطلاحية: هو إتيان النبي صلي الله عليه و سلم من القرآن ما خرج عن حد ما يكتسب بالحذق و عجز القوم عن معارضته و مقابلته مع إيثارهم لذلك و اجتماع هممهم له وتوفر دواعيهم عليه وعليهم يجعله حجة له و دلالة على صدقه فخرج بذلك عن نمط ما سألتم عنه.[3]

فالقرآن الكريم جاء بلسان قومه فما استطاع له الفصحاء و لا البلغاء له نقد و لا الإتيان بمثله نداء، رغم أن بيئة النبي صلى الله عليه و سلم مليئة بأفذاذ الشعر و النثر حتى منهم من تحداه فلما سمعه و فهم معناه أدرك أنه ليس من صنيع بشر أمي لا يقرأ و لا يكتب.

لكن إلى إعجازه لم يؤمن به كل بليغ بل اتهموه بالسحر أي كلام ساحر مبين، حتى قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۝﴾.[4]

قبل أن يهب الله سبحانه نبيه تلك الهبة أي القرآن الكريم وفر له أسبابه من أن جعله صلى الله عليه و سلم به معلما أو مثقفا و أنه أمي ليقيم الحجة على الكفار و المخالفين،كما أن الكفار لديهم من الفصاحة ما يمكنهم الإتيان بمثله لكن العجز لحقهم .

لو تحدى أبلغ الشعراء بشعرهم و جعلوا إنتاجهم الفكري دليلا على رسالتهم ولأمكن تصديقهم لأن الله وفر لهم الأسباب لذلك الإعجاز و التحدي ليكونوا مقام التحدي بالمثل و منه من شروط

---

[1] علي زيعور، أغستينوس مقدمات في العقيدة المسيحية و الفلسفات الوسيطية (دار إقرأ، ط1403،1-1983) ص290.

[2] شارل جنيبر، المسيحية نشأتها و تطورها. ت عبد الحليم محمود،ص 237.

[3] التمهيد، ص170

[4] سورة النحل، الآية 103.

التحدي :

تحدي الإنسان بشيء في يده.

يتساوى المتحدى مع باقي الأنداد في توفر دواعي المعارضة.

النبي كسائر البشر وزاده الله الأمية شعارا للتحدي رغم هذا أبطله المبطلون.

القوة لم تمنع ظهور المعارضة ولم منعت كذلك لتواترت الأحداث نقله.

لو جاز إدعاء النبي صلى الله عليه و سلم للقرآن لجاز إدعاء موسى في إبراء الأكمة والأبرص، و إحياء الميت في نصوص التوراة، و الخوف من أسيافكم يمنع من قتل ذلك، و إن الخوف من سيوف المسلمين يمنع من نقله الآن لأن مكذب موسى كمكذب النبي صلي الله عليه وسلم[1].

حفظ المعارضة لأنها من سبب حفظ الإعجاز و هو شيء عظيم جسيم.

حفظ و تلهج أذكاره الناس و هو حرف للعادة.

الإعراض عن المعارضة لتكذيب ما جاء به كلية و ليس للمقارنة بمثله.

قريش تعلم على صحة آدابهم و جودة قرائحهم بفصاحة بالغة أن النبي صلي الله عليه و سلم على حق [ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذّب بها الأولون][2] و في قوله تعالي:[وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ۞][3].

عجز الأطباء عما قدم عيسى على فعله من إبراء ألاكمه و الأبرص.

إن قريش كانت لهم المعارضة بالسيف و هم يأتون مع ذلك بالشعر و الرجز والخطابة والرسائل و ما هو من طباعهم[4] اصطفاء النبي صلي الله عليه و سلم بالبلاغة و الخطبة والنظم بلا علم ولا يتسنى لكل من هب ودب من العامة الإتيان بمثله و لو الكلمة والكلمتين يتعذر عليهم نظم ولو اليسير من القرآن الكريم.

آية حمل النبي صلى الله عليه وسلم في الإسراء والمعراج أي الصعود إلى السماء كيف يكون الإعجاز؟ و هو غير خارج عن الحروف الاعتيادية لأهل البلاد.أي خارج عن نطقهم واعتيادهم.

---

[1] التمهيد، ص 173.

[2] نظم القرآن آية لمن جاء به177.

[3] سورة الإسراء، الآية 59.

[4] التمهيد، ص176.

فالإعجاز ليس في الحروف و إنما في نظمها و إحكام رصفها و نظمه الأول ثم الثاني، التقديم والتأخير قلما يكون كذلك [لإبطال فضيلة الشاعر المفلق والخطيب المصقع والمرسل الفصيح المقتدر[1].

التحدي بالحروف المنظومة التي هي عبارة عنه في براعتها و فصاحتها و كثرة معانيها[2] يصح منه تعالي التحدي بالمثل في قوله تعالي:[وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ۞][3]، [فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ۞][4]، [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ۞][5].

فقد يأخذ بعض القرآن عن سارق لكلام غيره و يدعي النبوة لكن لا يستطيع لأوجه عدة.

القرآن لا يكون معجزا إلا بعد فحصه وبحثه و تفتيشه و علمه بأنه لم يسبقه أحد إلى الإتيان بمثله.

المدعى الأمر ينسيه الله ذلك القرآن و السامع يحفظه ويقول سمعناه من قبل مثل الباقلاني الذي كانت له القدرة الفائقة على حفظ المناظرات على ظهر قلب ويعيدها مباشرة بعد سماعها و هذا من سمات العرب القح.*

<u>أما الإعجاز في الإنجيل:</u>

الإنجيل لم يكن معجزا وانتفاء علّة الإعجاز في قوله "عجز العرب عن معارضة القرآن من مورده"، حرص العرب على تكذيب الإنجيل.

لم يأت عيسى بالإنجيل ليتحدى قومه و إلا لحصل التحدي[7] لزوم الحجة عند غير العرب:الهند والترك و غيرهم لعلمهم بأن بيئة نزول القرآن الكريم عجزت فما بالك بهم، وهم أبعد عن محيط اللغة فضلا عن تكذيب عيسى رغم إعجازه في استطباب الناس لكنهم أصروا على التكذيب و المعاندة رغم عجزهم عن فعل المثل.

---

[1] المصدر نفسه، ص178.
[2] المصدر نفسه ، ص 179
[3] سورة البقرة، الآية 111.
[4] سورة المرسلات، الآية 39.
[5] سورة الأنعام، الآية 22.
* القح: هم العرب الأصليين ذوا الفصاحة.
[7] التمهيد، ص 180-181.

و ما فشل مسيلمة الكذاب في الإتيان بمثل القرآن إلا أكبر دليل على إعجازه فكان كلامه ركيكا سخيفا:(والزارعات زرعا، فالحاصدات حصدا، والطاحنات طحنا. فلو كان كلامه معجزا للاقى من الترحيب و الأتباع ما لم يلاقيه غيره خاصة ممن ارتدوا عن الدين، وفي عدم حدوث ذلك دليل على كذب صاحبه و ادعائه افتراء)[1].

جميع العرب كانت على علم بتحدي الله سبحانه و تعالى البشر عن الإتيان بمثله كما فعلوا بمجيئه [وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝][2] [قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝][3]

لم تصدر تاريخيا ولم تنقل في التوراة والإنجيل تحمل عيسى و موسى لأقوالهم التحدي بالقرآن الكريم، عجز من كان في وقته وبعده عن الإتيان بمثله على يوم الدين بذلك فهي خرق للعادة (وهي من شروط المعجزة)[4] ولو طلب منهم الرسول عدم الحراك لما تحركوا و لو منعهم القدرة لما قدروا وهي آية عظيمة وحجة بينة[5] و عليه للإعجاز عدة وجوه:

وعد الله المؤمنون بأخبار الغيب وبشرهم بالنصر القريب في مواضع كثيرة هو القائل وقوله الحق صادق الوعد [لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝][6] كما أخبرهم بالنصر [سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝][7] [هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝][8] امتناع النصارى عن المباهلة عندما دعاهم [فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ

---

[1] المصدر نفسه، ص 182.
[2] سورة البقرة، الآية 23.
[3] سورة الإسراء، الآية 88.
[4] المصدر نفسه، ص 184.
[5] المصدر نفسه، ص 184.
[6] سورة الفتح، الآية 27.
[7] سورة القمر، الآية 45.
[8] سورة التوبة، الآية 33.

ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ۞] [1] [الم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞] [2] والإخبار بالغيب إعجاز.

النبي الأمي لم يلق العلم من أحد و لم يلقن من أحد سوى من عرفه وممن اعتاد لقاءهم وقوله الأمين دال على أميته وأمانته و إعجاز الله سبحانه عن الإتيان بمثله[3].

الاستدلال بالمعجزة على ثبوت النبوة:

يشرع الإمام الباقلاني في إظهار صحة نبوة محمد صلي الله عليه و سلم كإظهار نبوة عيسى وموسى عليهما السلام، فكما ثبتت معجزات عيسى و موسى عليهما السلام ثبتت كذلك بالخبر القاطع الجمع عن معجزة محمد صلى الله عليه و سلم، و أكبر دليل على إعجازه القرآن المحكى به أصغر آية في كل زمان و مكان.

كما أن قيام الفعل ليس من نفسه بل بإيجاد من الله عز و جل على الفعل لا كما يزعم النصارى ثم الاتحاد الإلهي بالناسوتي عيسى و حتى أصبح إلاها يبرئ الأكمة و الأبرص، بل جرى له ما جرى لباقي الأنبياء و لم يشذ عن باقي الأنبياء بل قومه الذين حرفوه هم السواد فكرا. كما أن عيسى عليه السلام صرح في إنجيله بضعفه و إنسانيته خلال دعائـــه:[رب إن في مشيئتك أن تصرف هذه الكأس عن أحد فاصرفها عني و إنه أراد أن يحيي كهلا].[4]

كما أن هناك عدة نصوص على إنجيله [يا أبي أدعوك كما كنت أدعوك فتستجيب لي، وإنما أدعوك من أجل هؤلاء ليعلموا].[5] و قوله [يا إلهي أنا أحمدك][6]، فالألوهية بالدهاء ومعنى الربوبية و الافتقار لمن هو أقوى كانت في معاني نصوص الأناجيل.

كما أن وقت الصلب قال:[إلهي إلهي لم تركتني][7]، كما أن إقرار الإنجيل بأنه نبي أكبر دليل على ذلك في قوله:[إني عبد الله و أرسلت معلما][8] ، هذه الإقرارات عنه كثيرة إنه نبي و عبد مرسل و مألوه مدبر فوجب إنه ليس إلها[1].

---

[1] سورة آل عمران، الآية61.
[2] سورة الروم، الآية1-5.
[3] المصدر نفسه، ص 187.
[4] التمهيد، ص 120
[5] إنجيل لوقا، الإصحاح 13، فقرة الثانية.
[6] إنجيل متى، الإصحاح 01، فقرة 25.
[7] إنجيل متى، الإصحاح 27، الفقرة 45 و 46.
[8] إنجيل الأمثال،

و أمثال دلالة الفعل على الفاعل اتحاد الكلمة لذا كان فعلا، فهل له عندكم فاعل أم لا؟ فإن قالوا لا فاعل له، قيل لهم فما أنكرتم من أن يكون سائر الأفعال و الحوادث لا فاعلا لها، و ليس ذلك من قولهم. فإن كان الاتحاد فعل لفاعل فعله، و كان به متحدا قيل لهم، فمن فاعله؟ أهو الجوهر، أم الأقانيم دونه أم هما معا أم فاعل لواحد من الأقانيم، فإن قالوا هو الجامع للأقانيم إذا يجيبهم الباقلاني فيجب أن يكون الجوهر هو المتحد بالجسد و الإنسان الكلي أو الجزئي لأن المتحد هو فعل للاتحاد دون من لم يفعله و يجب أن يكون الإله المستحق للعبادة لأنه فعال لها.

---

[1] التمهيد، ص 122.

الفصل الثالث :

تطبيقات المناهج في ردود الباقلاّني على النصارى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث : تطبيقات المناهج في ردود الباقلاّني على النصارى

تمهيد :

من خلال الدراسات السابقة عن الباقلاّني اتضح بأنّه كان ذا نظر عقلي ثاقب مستوحى من النقد فجلّ استدلالاته كانت بمنطق العقل و هذا ما سوف نراه في ثنايا البحث.

فملكته النقدية كانت بدافع فطري، نشأ في ضوء تغييرات سياسية و اجتماعية و فكرية.

فواقع تلك الفترة فرض نفسه لظهور مناهج تصدت للمدّ المسيحي الذي زاد في انتشاره باتساع الرقعة الإسلامية و الفتوحات ناهيك عن التسامح الديني الذي كان يميز الإسلام مع معتنقي الديانات.

فظهر النظر العقلي في الدين بظهور المعتزلة و أسلافهم من الجهمية و القدرية، و كان ذلك في نهاية القرن الأول الهجري و بداية القرن الثاني و مهما يكن من اختلاف في سبب ظهور النظر العقلي في العقائد فإنه كتيار فكري و منهج عقلي كان لابد من ظهوره، وذلك لمجابهة التحديات الفكرية التي لاقاها الإسلام عندما امتدّ سلطانه إلى خارج الجزيرة العربية، و عندما اشتدّ الصراع الفكري بينه و بين أصحاب الأديان الأخرى، من يهود ونصارى و مانويين وزرادشتيين و صابئة و دهريين.

فتح الإسلام كقوّة سياسية أرض الديانات القديمة و أثبت كيانه فيها إلاّ أنّ الإسلام استمر يدافع فكريا ضد أهل الأديان و العقائد المختلفة لمدّة طويلة اشتبك خلالها المخلصون من رجال المعتزلة و أكثرهم من الموالي أصحاب العقليات المركبة التي تستطيع النفاذ إلى أعمق المسائل الدينية و الفلسفية و المتمرسين على طرق الاستدلال العقلي في حرب ضروس مع أصحاب الأهواء و البدع من الزنادقة و الحلولية مثّلوا فيها معارضة فكرية قويّة، صانوا فيها البناء الروحي و الفكري للإسلام من خطر غزو تلك الآراء الغربية التي أرادت تشويه صفائه.

فالإسلام يبحث دوما على استعمال العقل و استعمله كطريقة لاستخراج الأحكام و القياس فكلّما كانت الأدلّة العقلية مدعّمة بالنقل كانت أوضح و أبين و هذا ما لجأ إليه الباقلاني في استشهاده بالطرق العقلية المتأصّلة من القرآن الكريم و السنّة(لتقديمها في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق و المآخذ ثم نرجع إلى تحقيق علمه، وفيما ينظر ويشير إلى حدوثه

في الملة وما دعا إلى وضعه)[1] وكذا الموروث العلمي عمّن سبقه اعتراف الإسلام و ما زال بالأدلة العقلية طريقة للبرهنة على صحّة العقائد الموروثة، وصار الكلام بذلك علما شرعيا، لا بل صار(الفقه في الدّين أفضل و أولى من الفقه في العلم لأنّ الأوّل أصل والثاني فرع فضل الأصل على الفرع معلوم)[2].

فالاستدلال العقلي لابدّ له من نهج يسير عليه أو طريق يشقه.

فالباقلاني الذي كان حاضر البديهة ، لسان الأمّة ومبعوث عهد الدولة عند الأمم. (فالأفكار العقلية والعقائد الدينية و سائر المعلومات و المدركات الوحدانية النفسية، و إن كانت هي الباعثة على الأعمال و عن حكمها تصدر بتقدير العزيز العليم ، لكن الأعمال تثبتها وتقويها وتطيعها في الأنفس عليها حتّى ما يعبر عنه بالملكة و الخلق ، و تترتّب عليه الآثار التي تلائمها)[3] .

فلا نتيجة إلاّ بمنهج و مقدمات و أدلّة مقنعة أو برهان سليم و لهذه الأدلة عند العلماء المسلمين و عند الباقلاني شروط .

شروط (كأحوال الأدلّة و أقسامها و اختلاف مراتبها و كيفية الاستنباط و أمّا فائدته فمعرفة أحكام الله تعالى، و أمّا استعداده فمن الكلام و العربية و الأحكام. أمّا الكلام فلتوقّف الأدلّة الكلية على معرفة الباري و صدق نسبة خطاب التكليف إليه، و يتوقّف على أدلّة حدث العالم و على دلالة المعجزة على صدق المبلغ، و تتوقف دلالتها على العلم بحدثها و امتناع تأثير غير القدرة الأزلية فيها، و يتوقف على قاعدة خلق الأعمال، وتتوقف على العلم و الإرادة و لا تقليد في ذلك لاختلاف العقلاء فلا يحصل علم)[4].

فقبل الخوض في المنهج لابدّ من الوقوف على آلياته و ركائزه، و التي أهمّها:

- **الدليل :** فالدليل في الاصطلاح: هو الحجّة و البرهان أو ما دلّ به على صحّة الدعوى). وله معنيان عند الأصوليين :

أوّلا : ما يمكن التوصّل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري و هو قطعي وظني .

ثانيا : ما يمكن التوصّل بصحيح النظر فيه إلى العلم بمطلوب خبري و هذا يخصّ القطعي والأوّل أعمّ من الثاني مطلقا)[5].

---

[1] ابن خلدون المقدمة ، ج1 ، ص:507

[2] عرفان عبد الحميد، الفرق و العقائد الإسلامية، ط 2، ص 144 -147.

[3] جمال الدّين الأفغاني و محمد عبده، العروة الوثقى (بيروت لبنان، دار الكتاب العربي، ط1، 1403ه-1983م) ص71.

[4] ابن الحاجب منتهى، الوصول و الأمل في علمي الأصول و الجدل (بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1405 - 1905، 571-646 هـ) ص 3-4 .

[5] سعد الدّين التفتزاني، شرح المقاصد، ج1 ت ، ص 280.

أما السّكاكي صاحب مفاتيح العلوم فيجعل من تعريف الدليل شيئا ممتنعا لأن العلم بتركيب الدليل إن كان بالضرورة امتنع تعريفه، و إن كان بالدليل لزم[1]

و لعل الشيء الذي نعني به الدليل هو ذلك الذي يستخدمه الفلاسفة و المناطقة.

فالدليل عند الفلاسفة : هو الذي يلزم من العلم به علم بشيء آخر وغايته أن يتوصّل بعقل التصديق اليقيني بما كان يشكّ في صحته ، و قد يكون الدليل قياسا أو برهانا)[2].

وعند علماء المنطق هو المقدمات المرتبة المنتجة للمطلوب و قد يقال للأمر الذي يمكن أن يتأمّل فيه و نستنبط منه المقدّمات المرتبة كالعالم، الصانع ، فيفسر ما يمكن التوصّل بصحيح النظر فيه إلى حكم قطعي[3].

يعترف الباقلاني بالدليل كمرشد إلى معرفة الغائب عن الحواس و ما لا يعرف باضطرار وهو الذي ينصبّ من الأمارات و يورد من الإيماء و الإشارات مما يمكن التوصل به إلى معرفة ما غاب عن الضرورة و الحسّ و منه سمّي دليل القوم دليلا عليهم لما أمكن معرفة مكانهم من جهته و منه سمّيت الأميال و العلامات المنصوبة و النجوم الهادية أدلّة لما أمكن أن يتعرّف بها ما يلتمس علمه – فهو إذًا ما يتوصّل إلى معرفة الغائب عن الضرورة و الحواس من الآمرات والعلامات و الأحوال التي يمكن بها معرفة المستنبطات و هذا الدليل الذي وصفنا حاله هو الدلالة و هو الاستدلال و هو المستدل به وهو الحجّة[4] فتعريف الباقلاني كان أشمل التعاريف مع ذكر خواص واستعمالات الدليل و طرائقه و هو المقصود هنا في البحث كما أنّه لا تعارض بين العقل و النقل و في حال اختلاف أحدهما عن الآخر يقول صاحب شرح المقاصد (الدليل إن لم يتوقّف على نقل أصلا فعقلي و إلاّ فنقلي سواء توقّف كلّ بمقدّماته القرينة على النقل أوّلا وقد يخص النقل الأوّل و يسمّى الثاني مركّبا ، أمّا النقلي المحض فباطل إذ لابدّ من صدق المخبر بالعقل و المطلوب إن استوى طرفاه فإثباته بالنقل ، و إلاّ فإنّ توقّف ثبوت النقل عليه فبالعقل وإلاّ فبكلّ منها)[5]. فالأدلّة التي استعملها الباقلاني حسب تقسيم السلف عقلية ونقلية ، نبدأ بأولاها الأكثر استعمالا عنده ، ألا و هو العقل ، إذ اقتضت ضرورة مخاطبة الخصم بأسلوب عقلي يفهمه و يؤمن به لا نقليا صرفا، كما غلب على فكره النظر والاستدلال المنطقي المستوحى من الشرع حاذيا حذوه و لم يستدل بالنقل إلاّ فيما نذر .

---

[1] السّكاكي، مفاتيح العلوم، نعيم زرزور(بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط2، 1407ه-1987م ص506.

[2] المرجع نفسه، ص 280.

[3] المرجع نفسه، ص 179.

[4] التمهيد، ص 33-34.

[5] سعد الدين التفتزاني، شرح المقاصد، الجزء الأول، ص 280-281.

المبحث الأول: منهج الاستدلال

المطلب الأول: الاستدلال بالجدل والمناظرة

تمهيد:

أولا : الاستدلال

إنّ جلّ البراهين التي استخدمها الباقلاني تدخل تحت لواء الاستدلال فهو عبارة عن عملية عقلية للبرهان و يعرّفها قائلا : (و أمّا الاستدلال و النظر فهو تقسيم المستدلّ وفكره في المستدل عليه و تأمّله له ، و قد يسمّى ذلك أيضا دليلا و دلالة مجازا و اتّساعا لما بينهما من التعلّق و قد تسمّى كذلك العبارة المسموعة التي تنبئ عن استدلال القلب ونظره وتأمّله نظرا واستدلالا مجازا و اتّساعا لدلالتها عليه) [1] .

فالاستدلال إذا هو علم نظر و فكر عند التأمّل عن طريق الدلالة أي بالدليل و أشراطه وهو ما تقتضيه العبارة المسموعة كالحوار و الجدال بطرقه و أنواعه ، و يعرّفه حبنكة الميداني (هو استنتاج قضية مجهولة من قضية أو عدّة قضايا معلومة أو التوصّل إلى حكم تصديقي* مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم أو بملاحظة حكمين فأكثر من الأحكام التصديقية)[2]

(كما يعبّر عنه كذلك بأنّه الانتقال من مقدّمة أو مقدّمات إلى نتيجة أو برهنة قضية بواسطة قضية أخرى أو أكثر و ينقسم إلى : **استنباط ، استقراء و تمثيل**)[3] .

كما أنّ هناك تقسيمات أخرى للاستدلال غير هاتة الثلاث حسب رأي المفكّرين إذ جعلوا الاستنباط و الاستدلال شيئا واحدا لكن لكلّ منهما استعمالاته الخاصّة (فمن وجه يكاد يذكر الاستدلال دوما بفكرة بناء معقّد و لا تسمّى الاستنباطات المباشرة استدلالات إلاّ من باب التعميم)[4] .

فالاستدلال عام و الاستنباط جزء من العمليات الاستدلالية التي لها طابع خاص.

---

[1] التمهيد، ت أحمد حيدر، ص 34 و أنظر عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، (لبنان،بيروت،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،م1984) ص475 .

* تعريف التصديق: أنظر المرجع نفسه، ص 409.

[2] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال،(1419هـ-1998م) ص 149.

[3] علي عبد المعطي محمد السرياقوسي، أساليب البحث العلمي،(الكويت مكتبة الفلاح،ط1408،1هـ-1988م) ص 99.

[4] أندريه لا لاند، الموسوعة الفلسفية، (لبنان بيروت، منشورات عويدات، ط 2، 2001 م) م3 { RZ } ص، 1170و 1171.

ثانيا: الاستنبـاط

هناك من الفلاسفة من يطلق عليه اسم الاستدلال على العموم.

و فيما يروى عن الباقلاني أنّه (كان موصوفا بجودة الاستنباط و سرعة الجواب)[1].

هو الانتقال الضروري من مقدّمة أو أكثر إلى نتيجة أو البرهنة على نتيجة بواسطة ، وينقسم إلى مباشر و غير مباشر.

فأمّا المباشر : الانتقال من مقدّمة واحدة دون الأعمال على التصوّرات .

غير المباشر: الانتقال الضروري من مقدّمتين أو أكثر إلى نتيجة أو برهنة على قضية بواسطة مقدّمتين أو أكثر و هو ينقسم إلى قياس)[2] .

(والاستنباط إمّا أن يكون من الكلي إلى الجزئي فيسمّى قياسا، و إمّا من حكم إلى حكم آخر لازم عنه بالضرورة من غير أن يكون أحدهما أعمّ من الآخر مثل الانتقال من تعاريف سطح المثلث بأنّه سطح مستو محاط بثلاثة مستقيمات متقاطعة مثنى مثنى إلى سائر ما ينتج عن هذا التعريف من نظريات هندسية)[3] . و أمثلة هذا الاستدلال في قول الباقلاني (فإن قالوا فقد نقلنا ونقلت النصارى أن المسيح قتل و صلب فيجب القطع بصحّة خبرنا قيل لهم)[4] . أي هذه القضية الأولى نقل خبر قتل و صلب المسيح ق1 . قيل لهم قد قال بعض الأمّة و أكثر الناس إنّ النقل مأخوذ عن أربعة من الحواريين لوقى ، و متى ، و مرقص ، و يوحنا و الأربعة يجوز عليهم الكذب)[5] .

و بعض من نقل الخبر هم { لوقى، متى، مرقص، يوحنا } و ثبت تاريخيا كذبهم و انقطاع سندهم، النتيجة إذًا الخبر عن هؤلاء لا يصحّ و منه إبطال هذا الاستدلال للنصارى .

و في موضع آخر يتحدث عن الصلب فيقول (بأنه لم يصلب الإنسان بل تحول عن صفته والخبر لا يكون موجبا للعلم حتى تكون الناقلة قد اضطرت إلى ما أخبرت عنه و زالت الشبهة فيه و إذا كان كذلك بطل ما سألتم عنه) [6] . فخبر الصلب عن عيسى عليه السلام لم يكن خبرا عن نقلة ثقاة و لا اضطرت لنقل الخبر و أمر تحوله عن صفته البشرية إلى صفة أخرى لا أساس له من الصحة كونه مجرد شبهة.

---

[1] التمهيد، ص 10.
[2] علي عبد المعطي والسرياقوسي، أساليب البحث العلمي، ص 99 و 106 إلى 108.
[3] عبد الرحمان بدوي،الموسوعة الفلسفية، ص 475.
[4] التمهيد، ص 203.
[5] المصدر نفسه، ص 221.
[6] عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ص 475.

[فما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم][1].

(هذا عن الاستدلال الاستنباطي المباشر أما عن الاستنباط غير المباشر فهو يكون في ثلاث قضايا حملية : الأكبر، الأوسط، الأصغر و هما مقدمتان و نتيجة و مراعاة للتسلسل الذي كان يبدوا في صياغة أرسطو للقياس)[2] .

ثالثا : الاستقراء :

هو الانتقال من حالات و أحكام جزئية إلى حكم عـــــام و ينقسم إلى صوري و رياضي[3]

الاستقراء إذا هو يتّبع الجزئيات كلّها أو بعضها للوصول إلى حكم عـــــام يشملها جميعا[4].كما يعرفه السّكاكي بأنه انتزاع حكم كلي عن جزئيات، و أنه إذا تيسرت الإحاطة بجميع الجزئيات، حتى لا يشذ عنها واحد، أفاد اليقين.[5]

و هذا المنهج استعمل في غير موضع عند الباقلاني عند تتبّع الاستدلالات جزءا بجزء حتى الوصول إلى النتيجة خاصة عند دلالته على نفي كون الله جوهرا و عرضا . واستشهد الباقلاني بالاستقراء في عالم الكونيات ، لتقريب الاستشهاد للسامع أي ما هو ملموس في الكون إلى غيره، كما استعمل كذلك الاستقراء التاريخي ، أي التتبع التاريخي لجزئيات الموضوع للوصول إلى النتيجة التي تقنع الخصم،و هما أقسام الاستقراء في عالم الكونيات وكذا الإستقراء التاريخي.

و الاستقراء الصوري الذي عني بذكره الباقلاني منه قوله : (إن قال قائل لم أنكرتم أن يكون القديم سبحانه جسما ؟ قيل لما قدمناه من قبل و هو و أنّ حقيقة الجسم مجتمع بدليل قولهم: رجل جسيم و زيد أجسم من عمرو. علما بأنهم يقصرون هذه المبالغة على ضرب من ضروب التأليف من جهة العرض و الطول و لا يوقعونها بزيادة شيء من صفات الجسم سوى التأليف فلما لم يجز آن يكون التفخيم مجتمعا مؤتلفا و كان شيئا واحدا ثبت أنّه تعالى ليس بجسم فإن قالوا و من أين استحال أن يكون القديم مجتمعا مؤتلفا قيل لهم ومن وجوه أحدها، أنّ ذلك لو جاز عليه لا وجب أن يكون ذا حيّز و شغل في الوجود وأن يستحيل أن يماس كل بعض من أبعاضه و جزء من أجزائه ما مسته من الأبعاض ....)[6].

---

[1] سورة النساء،157.

[2] علي عبد المعطي و محمد السرياقوسي، أساليب البحث العلمي، ص 100.

[3] المرجع السابق، ص 106 و 107.

[4] عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال، ص 188 .

[5] أبي بكر محمد بن على السّكاكي، مفتاح العلوم، ص 504.

[6] التمهيـــــد، ص221 .

فالله ليس بجسم له أبعاض كما هو الحال بالنسبة للبشر أو ما هو مشاهد في عالم الكون ، فالاستقـــراء هنا يبدأ من منطق ما هو في الكون المشاهد .

تعريف المنهج العقلي و النقلي:

هو المنهج الذي يكون للعقل دخل في تكوينه أو هو:

الذي يكون للمجتهد عمل في تكوينه: و ينقسم إلى القياس و الاستحسان و الاستصلاح)[1].

أي هي أدلّة أصولية عند علماء الأصول على الخصوص و على العموم يعرّ فها الإمام الشاطبي:

(الأدلة الشرعية ضربان أحدهما ما يرجع إلى النقل و الثاني ما يرجع إلى الرأي: و هذه القسمة بالنسبة لأصول الأدلة و إلاّ فلكل واحد من الضربين مفتقر إلى الآخر، لأنّ الاستدلال بالمنقول لابدّ فيه من النظر، كما أنّ الرأي لا يعتبر شرعا إلاّ إذا استند إلى النقل)[2].

فالاستدلال تنطوي تحته جلّ البراهين التي تستلزم الاستدلال، و من أكبر الطرق الاستدلالية العقلانية الجدل .

فبظهور التسامح الديني في عصر الباقلاّني فتح باب الجدال و المحاورة في الدين بشكل لم يسبق له نظير. فبيئته كانت مشبّعة(بديانات و ثقافات مختلفة و قد رأيت فيما قصصنا أنّ الخلفاء و الأغنياء تركوا لمماليكهم حرية الديانة فقد تكون الجارية نصرانية تلبس الصليب والزنار، و تلبس لبسها من القومي و تتكلّم بلغتها)[3]

عندها استفحل الجدال في صفات الله تعالى أكثر من الجدال في وجوده كون ما يشجّع ذلك ظهور الفرق الإسلامية المعتزلةو الباطنية و ظهور المناطقة (فلما ظهرت الأديان الموحدة كان الجدل في صفات الله أكثر و أعنف من الجدل في وجوده فقضى اللاّهوتيون زمنا و هم يشعرون بالحاجة إلى إقناع أحد بوجود خالق لهذه المخلوقات و لم يشعروا بهذه الحاجة إلاّ بعد اختلاط العقائد الدينية بالآراء الفلسفية و مناظراتهم للمناطقة المتفلسفين في صناعة الجدل و البرهان) [4]

فما هو الجدل و أين استعمله الباقلاني في كتابه التمهيد ؟

[1] مصطفى شلبي، أصول الفقه،(لبنان بيروت دار النهضة العربية،1986م) ص 62 .

[2] المرجع نفسه، ص63. و للزيادة أنظر تعريف النقل عند حسن حبنكة الميداني ضوابط المعرفة، ص 382. الرسالة ص 59 .

[3] أحمد أمين، ضحى الإسلام، (لبنان ،بيروت ، دار الكتاب العربي، ط1) ج1، ص 89 .

[4] عباس محمود العقائد، المجموعة الكاملة،(لبنان بيروت،دار الكتاب اللبناني ،) ج1، ص 231 .

الجدل و المناظرة

- **تعريف الجدل :**

– **لغة : الجدل** : شدة الفتل. وجدلت الحبل أجدله جدلا، إذا شددت فتله، و فتلته فتلا محكما، ومنه قيل في زمام الناقة الجديل[1] .

– **اصطلاحا :** الجدل هو اللّدد في الخصومة والقدرة عليها.

وقد جادله مجادلتا وجدالا ورجل جدل ومجدلا ومجدال : أي شديد الجدل، يقال جادلت الرجل، فجدلته جدلا وإسم الجدل وهو شدة الخصومة وفي الحديث :<<ما أوتي الجدل قوم، إلا ظلوا>> الجدل مقابلة الحجة بالحجة، و المجادلة، المناظرة والمخاصمة، المراد به في الحديث الجدل على الباطل وطلب مغالبة به، لا إظهار الحق فإن ذلك محمود لقوله تعالى :(وجادلهم بالتي هي أحسن)[2]

هو حوار كلامي يتفهم فيه كل طرف من الفريقين من المتحاورين وجهة نظر الطرف الآخر ويعرض فيه كل طرف منهما أدلته التي رجّحت لديه استمساكه بوجهة نظره ، ثمّ يأخذ بتبصير الحقيقة من خلال الانتقادات التي يوجّهها الطرف الآخر على أدلّته ، و من خلال الأدلّة التي ينير له بها بعض النقاط التي كانت غامضة عليه) [3] .

و منه للجدل خواص ذكرها محمد التومي في كتابه نذكر أهمّها.

– استدلال بواسطة دلالة العبارة .

– " " دلالة الإشارة .

– " " الاقتضـــــــــاء .

و هذا نوع من الجدل الممدوح الذي سلكه الأنبياء الكرام مع أقوامهم من طرق بيانية في سبيل نشر ما كلّفوا من دعوات وخاصة ما كانوا يقومون به من مناظرات و محاورات ومناقشات يعرضون فيها تيسّر لهم من بيّنات و ما توفّر لديهم من مؤيّدات)[4] .

و يعتبر من أبرز الطرق الاستدلالية التي برزت في القرن الثاني و الثالث خاصّة مع من يخالف المسلمين في العقيدة و قد اشتهر الباقلاني بين أقرانه من العلماء بهذا الفن الجدلي بما ألّفه في التمهيد أساسا إلاّ ردا على مطاعن المشبّهة والنصارى و المجوس و اليهود وغيرهم خاصة للذين خاضوا في ذات الله و صفاته.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص 569.

[2] المرجع نفسه، ص 571.

[3] عبد الرحمن حسن حبنكة :الميداني ضوابط المعرفة و أصول الإستدلال، ص361.

[4] محمد التومي، الجدل في القرآن، ص26 .

يعتبر الباقلاني متمكنا من ناصية الجدل متمسكا بطرق الحجاج و هذا على وضوحه في جل ردوده في ثنايا الرسالة ، فالباقلاني وضع طريقة الجدل الكلامي لمن جاء بعده)[1]. وله أنجع الطرق الاستدلالية الحديثة المستوحاة من النقل المعتمدة على العقل .

فالنقل لم يعد صالحا للرد على الخصوم ، إلاّ من هم على نفس العقيدة لا من يخالفهم في المعتقد، كذلك الحال بالنسبة للمنهج الصوري القديم و المنطق اليوناني فاستعمالاته أثبتت عقمها في النتائج إلاّ ما نذر بينما المنهج العقلي المبني على أسس علمية أثبتت فعاليته (فالمشاعر الفطرية المتعلّقة بالغرائز أو الحسّ الاجتماعي أو بالتوق الأخلاقي، فتتخذ هذه المعطيات كمقدّمات تبنى عليها الأدلّة لإثبات القضايا الماورائية و تفنيد ما يعترض به المعترضون، فالاستدلال العقلي بطريق العلم من أنجع الطرق الاخضاعية للتجربة ذات نتائج إيجابية) [2] كما أنّ العلم لا تعارض بينه و بين النقل بل في كثير من حالات الاكتشاف العلمي قرّرتها حقائق القرآن و نصّت عليها منذ آلاف السنين فكلّما تطابق العلم مع النص كان أيقن و الدّين حقّ ونخرج بذلك الإعجاز العلمي الذي قرّره القرآن،. فما العلم إلا وسيلة لإثبات صحة النقل والإقتداء به وكلما وافق العلم الشرع أخذنا به و ما خالفه ليس بالضرورة صحيح. فالحقائق العلمية منذ سنين خلت نسبية و الدين قطعي وليس كل نسبي يمشي مع القطعي، فالعلم متجدد، متطور و الحقائق العلمية تخفي أخرى في العلم النقدي و النظري ويبقي العقل مناط التكليف ومحل النظر.

و يقصد بالجدل بمفهومه العام، ذلك الحوار و النقاش الذي يدور بين طرفين متخاصمين أو متنازعين حول مسألة أو موضوع معيّن أو دعوة بعينها، يرى كلّ منهما فيها رأيا خاصّا مخالفا لرأي الأخرى .

و الجدل في اصطلاح المناطقة ، قياس مؤلّف من مقدّمات مشهورة أو مسلمة و الغرض منه إلزام الخصم و إقحام من هو قاصر عن إدراك مقدّمات البرهان ، بمعنى واحد من الطرفين المتخاصمين يحاول الدفاع عن إفساد هذه الدعوى بحجّة أو شبهة أو إلزام ، و لا يمكن إن تلزم الخصم بنتيجة القياس إلاّ إذا استخرجها من مبدأ أو قول مسلم به عنده ، ولا يمكنك إن تخطو خطوة واحدة إلى الإمام من دون أن تتيقّن أنّ الخصم يتبعك [3].

---

[1] أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، (لبنان بيروت ،دار الفكر،ط2) ج 2، ص 94

[2] عبد المجيد النجار، مباحث منهجية في الفكر الإسلامي، ص131-130.

[3] حسنى أبو سعدة، المنهج النقدي عند البقلاني، ص 103-104، نقلا عن الجرجاني، التعريفات، ص 66 وجميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، ص 391.

و قد كان القاضي الباقلاني بارعا في الجدل ، عالما بأصوله، كما كان متقنا لفنّ المناظرات واسع العلم بآدابها و متحليا بهذه الآداب ملتزما بها في الوقت نفسه . و قد وظّف الجدل لتحقيق هدفين رئيسيين : أحدها إثبات صحّة ما يذهب إليه من آراء و أفكار بخصوص المسألة المطروحة و الثاني : نقد آراء الخصوم و تفنيد دعواهم للكشف عن فسادها و إثبات بطلانها إمّا بأدلّة مباشرة من جانبه، أو إبطال أدلّة الخصم التي يقدّمها لإثبات دعواه و هذا بشهادة المؤرّخين.

و كان الباقلاّني يعوّل في جدله تعويلا كبيرا على معتقدات الخصم و مسلّماته، و يتّخذ منها نقطة انطلاق للهجوم و النقد من حيث يصوغ منها مقدّمات لأقيسة تفضي في النهاية إلى تهافت معتقد الخصم و بطلان دعواه ، و يقتصر الباقلاّني استخدامه للجدل على نقده للمذاهب المخالفة للإسلام من الطبائعيين و الدهرية و الثنوية ، و إنّما استخدمه أيضا في مواجهة المذاهب الإسلامية و غيرها من الفرق [1] .

فأقسامه حسب استعمالات الباقلاّني على النحو التالي :

المطلب الثاني: الاستدلال باللغة [*] :

اللغة: هي وسيلة ضرورية للاتصال و الفهم .

يعرّف الباقلاني هذا النوع من الاستدلال بأنّه : وسيلة لمخاطبة الأجناس و خاصة منها التي لها لغة مغايرة و هذا ما فعله الباقلاني في الخوض في النقاشات بعد التمكن من معرفة الصفات عند النصارى و عند المسلمين و كذا الرجوع إلى اختلافاتهم للردود على فرقهم ، ففي اللّغة بمعنى (قد يوصف العلم و غيره من الأجناس بأنّه ضرورة على معنى أن العالم به محتاج إليه لأنّ الضرورة في اللّغة تكون بمعنى الحاجة)[2].

---

[1] حسني أبو سعدة،المنهج النقدي عند الباقلاني، ص 105.

[*] يعرفه التومي : هو أن يؤخذ من ماهية الموضوع القول دليل الدعوى. محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى ص316 .

[2] التمهيد، ص 28 .

فاللّغة لا يمكن الاستغناء عنها خاصة في أساليب الجدال و المناظرة عند الباقلاني إذ كان سريع البديهة، صاحب لغة ونظم و بلاغة لم تتأتّ لعلماء عصره خاصة لغة الإعجاز ، و يعرف هذا النوع من الاستدلال : (و قد يستدل بتوقيف أهل اللّغة لنا على أنّه لا نار إلاّ حارّة ملتهبة و لا إنسان إلاّ ما كانت له هذه النية على أن كل من خبّرنا من الصادقين بأنّه رأى نارا أو إنسانا وهو من أهل لغتنا ، يقصد إلى إفهامنا ، و أنه ما شاهد إلاّ مثل ما سمّي بحضرتنا نارا أو إنسانا، لا نحمل بعض ذلك على بعض ، لكن بموجب الاسم وموضوع اللّغة و وجوب استعمال الكلام على ما استعملوه و وضعه حيث وضعوه)[1] . أي الرد على ما يسمونه جوهرا و عرضا اتّحادا و صلبا في لغتهم لا على ما تسميه كلمة عنهم و وضع المسميات في أماكنها و على مفهومنا و منه تمام المحاورة و الجدل ، فيقول (فهل وجدتم جوهرا في الشاهد إلا متحيّزا قابلا للأعراض من جنس هذه الجواهر المعقولة فإن قالوا بلى قيل لهم ، فيجب عليكم إذا كان القديم جوهرا ، أن يكون كالجواهر المعقولة من جنسها و قابلا للأعراض كقبولها)[2]

أي إذا تعارفتم لغة على قبول الجواهر والأعراض،و كون الله تعالى جوهرا ، فهو كذلك قابل للأعراض وهو نقد قولهم .

أولا : الاستدلال بالتعريف (الحد):

تعريف الحد: هو قول دال على ماهية الشيء، وعند أهل الله الفصل بينك وبين مولاك كتعبدك، و انحصارك في الزمان والمكان المحدودين، والحد في اللغة المنع

وفي الاصطلاح: قول يشتمل على ما به الاشتراك وعلى ما به الامتياز، والحد المشترك جزء وضع بين المقدارين يكون منتهى لأحدهما، و مبتدأ للآخر ولا بد أن يكون مخالفا لهما.

و الحد التام ما يتركب من الجنس و الفصل القريبين، كتعريف الإنسان بالحيوان الناطق.[3]

الحد الأول: هو حين عرف صاحبه الصدق بأنه الخبر عن الشيء على ما هو به و الكذب بأنه الخبر عن الشيء لا على ما هو به، كيف دار فخرج عن كونه معرفا.

الحد الثاني: أوجب أن يكون قولنا في باب الوصف.

---

[1] المصدر نفسه، ص 32-33

[2] المصدر نفسه، ص 96 .

[3] الشريف علي بن محمد الجرجاني ، التعريفلت،ضبطه محمد عبد الحكيم القاضي ،(لبنان بيروت ،دار الكتب العلمية ط 3 ،1988م)ص: 94-95

الحد الثالث: حين أوجب ألا يكون قولنا ما لا يعلم بوجه من الوجوه لا يثبت و لا ينفي خبر الامتناع، أن يقال ما لا يعلم بوجه من الوجوه، معلوم مع أن الكلام خبر، كيف خرج عن أن يكون منعكسا مع انتقاضه بالنقضين.[1]

(و الاستدلال بالتعريف بأن يأخذ من ماهية موضوع القول دليل الدعوى بأن يأخذ مثلا من حقيقة الأصنام دليلا على أنها لا تصلح أن تكون معبودا و من بيان صفات الله تعالى دليلا على أن يكون وحده المستحق للعبادة)[2]

و هو من الأساليب التي استعملها الباقلاني خاصة في ردّه على صفات الله و يعبّر عنه قائلا: (وقد يستدل بتوقيف أهل اللغة لنا على أنه لا نار إلا حارة ، ملتهبة و لا إنسان إلا ما كانت له هذه البنية على أن كل من خبّرنا من الصادقين بأنه رأى نارا أو إنسانا و هو من أهل لغتنا يقصد إلى إفهامنا) [3]

و هذا بشروط أنه (لا نحمل بعض ذلك على بعض ، لكن بموجب الاسم و موضوع اللغة ووجوب استعمال الكلام على ما استعملوه و وضعه حيث وضعوه)[4] . أي الاستدلال على الصفات بحسب فهمهم لها و بحسب لغتهم و تعريفهم للأمر لا حسب ما تفهمه لغتنا ، وحتى الاختلافات اللغوية عند النصارى التي تختلف باختلاف فرقهم نسطورية ، يعاقبة وملكانية ردّا على مفهوم الصفة للأقانيم* كلّ حسب مفهومه و أفراد لكل فرقة ردا خاصا بها و في الصفة يقول الباقلاني فما الدليل على ما تذهبون إليه من أن يقول (الصفة معنى لا يقال هو الوصف الذي هو القول ؟ .

قيل له يدل على ذلك أمور من جهة و ضع اللغة و دلالات العقول أيضا . فأما ما يدل ذلك جهة اللغة : هو أنّ أهل اللغة قد قالوا : إنّ الصفة التي هي النعت على ضروب ، فمنها خلقة لازمة كقولك أسود و أبيض، طويل و قصير ، عاقل و ظريف و ما جرى مجرى ذلك)[5] .

وفي موضع آخر يعرف الصفة بقوله (وأهل اللغة قد وقفونا على أنّ النعوت والصفات هي الخلق و الحرف والأديان و الأنساب)[6] و سنعرض استعمالات الباقلاني لهذا المنهج.

---

[1] السكاكي، مفاتيح العلوم، ص 164-165.

[2] فاطمة إسماعيل، القرآن و النظر العقلي، ص113. أنظر محمد التومي، الجدل في القرآن، ص160 .

[3] التمهيد، ص32.

[4] لمصدر نفسه، ص 32 .

* الأقنوم : يؤمن المسيحيون بأنّ في الله تعالى : الإله الأحد، ثلاثة أقانيم جوهرية أزلية ، والأقنوم حالة في الوجود والعمل، واللفظ يوناني الأصل و أدّت العربية معناه بكلمة صفة ، أمّا اللاتينية فبكلمة (الشخص). أنظر الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية ص158 .

[5] المرجع نفسه، ص 249.

[6] التمهيد، ص 249.

نـفي الحـداثـة عن الله : (الصفات)

يقول الباقلاني (فما أنكرتم أن يكون الباري سبحانه جسما ؟ فإن قـــالوا بأننا لم نعقل جسما إلاّ متغيّرا مؤتلفا مصورا وهذه الأمور من صفات الحدث) [1].

أي لم نعقل بمعنى لا يوجد في اللغة جسم إلاّ متغايرا مصوّرا، فرد عليهم ، لماذا أنكرتم على الجوهر إلها للحوادث .

و مسألة نفي كون الله جوهرا* (لما قلتم إنّ الله سبحانه جوهر ، وما دليلكم على ذلك) [2].

---

[1] المصدر نفسه، ص 98.

* تعريف الجوهر عند النصارى : لغة يعبر عنها النصارى بأنه جمع أقنوم و هو أصل رومية أو كما قالوا بأنه شخص، التمهيد، ص 98.

اصطلاحا : أقنوم هيبوستاس يسمى بهذه الكلمة أو بكلمة Essentia فترجم كلمة يونانية الدالة على الجوهر أي ما يجعل الإنسان أن يكون ما هو نقطة فتقول إن الله واحد في لاهوته و ناسوته . للزيادة أنظر صبحي حموي البسوكي ، جان كردولي، معجم الإيمان المسيحي، (لبنان،بيروت، دار المشرق، ط1، 1994 م) ص 55-56. فالجوهر عندهم إذا هو الأقنوم ، ويعرفه ليبنتر بأن كلمة جوهر تدل على واقع فردي على مفهوم كامل .

و في القرن 5 يعرفه أغسطين بكلمة ESSENTIA كما يتحد في كلمة عروشية و نادرة الأمر الذي جعل الكنيسة الغربية إلى استعمال كلمة PERSONNA كلمة persona المعادل لهذا الاستعمال) موسوعة لالاند الفلسفية ص1364 بتصرف يسير ، كما تظهر الموسوعة الكاثوليكية هيبوستاس لغة عقائدية أصلها يوناني، وهو مصطلح فلسفي يعني أدبيا ما هو تحت الأهم من الجوهر حمل معنى شخص المسيح بكل ما عنده من طبيعيين الواحدة إنسانية والأخرى إلهية، فهما إذن هيبوستاس يعني ذلك أنهما يكونان شخص واحدا و الذي يسمي التجمع الهيبوستاسي الثالوث الإلهي من جهته مكون من ثلاث هيبوستاسات مختلفة (الأب- الابن - روح القدس) الذين يتقاسمون نفس الطبيعة الإلهية تجمع ووحدة، أنظر الموسوعة الكاثوليكية ص 682 -.

فالمصطلح في علم المسيحيين يدخل ليظهر الحقيقة الوحيدة إنه مع هذا المعنى سيغير الإسكندري يضع المصطلح مميز بوضوح من الطبيعة إذ يدخل في تركيبه الإيمان الثاليسدوني (302) ، إذ في بداية الصراع الذي جاء من بعد أين كانت نقاشات حول الفكرة التي من خلالها الطبيعيتين الإثنتين للمسيح نستطيع أن تكونه هيبوستاسية (يعني فردية كما أرادها نسطورس) كتاب البيزنطيين يضعون في الواجهة المعنى إما المعنى المعيشي لهيبوستاس وإما الخاص بالصفات، لغرض الإقرار في نفس الوقت في العقيدة الثالوثية النصرانية.

هذا عن الجوهر عند المسيحيين أما الجوهر عند المسلمين فهو لغة : جوهر كل شيء هو ما خلقت عليه جبلته، والجوهر النفيس هو الذي تتخذ منه الفصوص و نحوها، و جوهر السبق في نده ، و قيل الجوهر هو الأصل ، أي أصل المركبات و يطلق الجوهر عند الفلاسفة لعدة معاني، سعد الدين التفتزاني، شرح المقاصد،ت، عبد الرحمان عميرة(لبنان بيروت،عالم الكتب،ط1 ،1409هـ1989م)ج2، ص 141 .

و يعرفه الجرجاني بأنه " ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع و هو منحصر في خمسة هيولي و صورة و نفس ، و عقل" التعريفات للجرجاني ص49 ويعرفه عاطف العراقي في معجمه.

" ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في الموضوع ، و هو منحصر في خمسة هيولى و صورة و نفس و عقل " عاطف العراقي نحو معجم للفلسفة العربية(دار الوفاء للطباعة،2001م) ص37 . و ما يهمنا من التعاريف هو ما لدى الباقلاني هو الشيء القائم بنفسه ، و ما يصبح منه الأفعال هو الجوهر ، و القائم بغيره هو العرض و هو الذي تنحدر منه الأفعال التمهيد 94 .

[2] المصدر نفسه، ص 93 .

بدأ المحاجة الاستفهام الذي يرد عليه ، { فإن قالوا الدليل على ذلك أننا وجدنا الأشياء كلها في الشاهد و الوجود لا تخلوا من أن تكون جواهرا و أعراضا } ، و رد بأنه اتفقنا على أن القديم ليس بعرض فوجب أن يكون جوهرا ، أو قالوا : أن الأشياء كلها لا تخرج عن قسمين إما قائم بنفسه أو قائم بغيره ، و القائم بغيره هو العرض و القائم بنفسه هو الجوهر، فلما فسد من قولنا و قولكم أن يكون قائما بغيره و أن يكون عرضا ، ثبت أنه قائم بنفسه و أنه جوهر من الجواهر[1] . فالباقلاني هنا بدأ بتعريف الجوهر و العرض ومنه استدل على أنه لا يمكن للعرض بأن يحدث لذات الله أو أن تكون من صفاته و كذا صفة الجوهر يتنافاها تماما، فاللغة عامل مهم لمعرفة ماهية الموضوع ثم إطلاقه على ذات الله أو صفاته .

فلا شك للرد على قضية لابد الوقوف على مفهومها عند المسلمين و النصارى للوصول إلى الحل إما بالاتفاق و المحاجة على النسق أو الاختلاف فيصبح لا معنى للمحاجة في شيء لم نفهمه أصلا (و يبدو أن الباقلاني لم يتخلص من نزعته الأشعرية في الرد على موضع الجوهر، و هو مع ذلك لم يغفل التعريف النظري للجوهر ففي الرد الثالث والرابع يتضح لنا إدراكه للفرق بين المفهومين الإسلامي و النصري للجوهر)[2].

كذلك يستشهد باللغة أو بالأحرى بالتعريف على مسألة القدرة أي إذا كان مفهومها هو الحياة كان أقنوما *واحدا وأصبح التثليث اثنين ، و كذلك الحال بالنسبة للحياة إذا كان لهما نفس المفهوم أبطل التثليث)[3] .

---

[1] المصدر نفسه، ص 94.

[2] محمد حسني أبو سعدة، المنهج النقدي عند الباقلاني، ص15.

* الأقنوم : لغة يعبر عنها النصارى بأنه جمع أقنوم و هو الأصل رومية أو كما قالوا بأنه شخص التمهيد، ص 98 الهامش أما إصطلاحا : أقنوم hipostase هيبوستاس سمي بهذه الكلمة أو بكلمة شخص فترجم كلمة هيبوسطاسيس اليونانية الدالة على الجوهر أي ما يجعل الإنسان أن يكون ماهو نقطة فنقول إن الله واحد في ثلاثة أقانيم (أشخاص) ونقول إن يسوع المسيح أقنوم واحد أو شخص واحد في لاهوته و نسوته). صبحي حموي اليسوعي، جان كروني، معجم الإيمان المسيحي، ص 55-56 .

فاللفظ يوناني الأصل و أدت العربية معناه صفة أمّا ترجمته اللاتينية فكلمة تعني شخص : الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص158.

(هو الصفة عندهم و يزعمون الأب و الإبن و الروح القدس ثلاثة أقانيم لله تبارك و تعالى عما يصفون) إبراهيم الأبياري، مفاتيح العلوم للخوارزمي، محمد ابن أحمد ابن يوسف 187هـ (لبنان،بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1404هـ-1984) ص52 .

[3] التمهيد، ص 99 .

إبطال التثليث : فإبطال التثليث في النص نتيجة لإيضاح المصطلح كما استعمل صيغة التفضيل و هي من الصيغ البلاغية في استشهاده (دخول حرف المبالغة في صفة العالم في قولنا ، عالم و أعلم منه واستحالة المبالغة في صفة الحي والتفضيل بين الحيين دليل على أن العلم ليس من الحياة في شيء) [1].عن طريق استعمال اسم التفضيل للحياة والقدرة و المقارنة بينهما جعل منهما شيئان مختلفان لا يلتقيان أبدا و منه اختلاف التثليث.

رده على الملكية : والملكانية أو الملكية نسبة إلى ملكا، وجد بأرض الروم و هي من إحدى الطوائف المسيحية الهامة،التي ردّ عليها الإمام الباقلاني فيبدأ بالجوهرية قائلا (نعم جعلوا الجوهرية معنى الأقنومية) .

و لغة فيهما اختلاف كبير، ومنه الجوهر غير الأقانيم و لا يمكن أن تكون الأقانيم هي الجواهر.(إن الله مخالف لصفاته بمعنى أنه لا يجوز عليه ما يستحيل عليها الصفات و أنه لا يسد مسدها و لا ينوب منابها لم يدخل علينا مثل ما لزمكم من كون المتفق بنفسه مختلف بنفسه. لابد أن يسد مسدها فيوافقها أو لا يسد مسدها فيخالفها و هذا المعنى بنفسه هو الذي نعنيه بالاتفاق و الاختلاف لا معنى للمراوغة)[2] .

فمفهوم الشيء يزيل الإشكال عن الإفهام ، و كذا معناه مما يفتح باب المقارنة و الحكم على القضية التي هي محل الجدل هذا عن الأقانيم أمّا عن الآحاد* فقد خصه الباقلاني بالردود ذات الطابع اللغوي على النحو الآتي :

رده على الاتحاد : فيقول (و أما قولهم إنّ العقل جوهر حال في النفس مماس لها فإنه باطل لأن الجوهر لا يحل في العرض و إنما يحل في الجسم على معنى المماسة له ، والاعتماد عليه، و اتخاذه مكانا يعتمده و يحيط به من جهاته كحلول الماء في الدهن ، ولم يعقل الحلول إلا مماسة و ملاصقة و كانت المجاورة و الاجتماع من صفات الأجسام) ، أي القول بماهية الحلول ، و كانت كلمة الله غير جسم لم يجز عليها الاتحاد و الحلول في الأماكن [3].

---

[1] المصدر نفسه، ص 105.

[2] المصدر نفسه ، ص 105.

* الاتحاد : عند المسيحيين هو الاتحاد بالله يصبح حقيقة في المسيح ، لأن يسوع المسيح و قد شارك بضعفه نفسه) أنظر قاموس الأديان ص38 مادة الاتحاد .
وهي لفظة يونانية LEINONIA تنتشر في العهد الجديد إلى اتصال المسيحي بالله الحق الذي كشف عنه يسوع و إلى اتصال المسيحيين فيما بينهم. أنظر معجم اللاهوت الكتابي، (لبنان ،بيروت ،دار المشرق،ط1 ،1986) ص37 مادة اتحاد.

[3] التمهيد، ص 112.

فالاتحاد عند النصارى لفظة مشتقة من الناس كالرحموت من الرحمة و اللاهوت مشتق من اسم الله تعالى)[1] . أي بهذا المعنى اللغوي يتم الاتحاد عند النصارى، و منه ما كان التفكير و لا الجدال ليتوقف أبدا .

أي بهذا المعنى اللغوي يتم الاتحاد عند النصارى، و منه ما كان التفكير و لا الجدال ليتوقف أبدا بين الباقلاني و أصحاب الفرق المسيحية، فما إن قبلت المساواة بين الأب والابن و روح القدس حتى بدأ التساؤل كيف يمكن فهم الاتحاد بين لاهوت الكلمة وناسوت يسوع فكلمة الله أبدية في حين عيسى عليه السلام ولد و تألّم و مات .

(فلو فصلنا كثيرا عن الإنسان في يسوع ، كيف نتحدث عن التجسد *، عن هذا الجسد الذي اتخذه الكلمة [2]

فعيسى عليه السلام إنسان كباقي البشر ، و بحسب أنثروبولوجيا تلك الفترة عند الملكانية، مكوّن من الجسد أي من الجسم الحي و من الروح النفس الروحية . و لكن وظيفة الروح منوطة بالكلمة، التي حلت بجسده و منه نخرج قضية أخرى هل الاتحاد نفسه الحلول*؟ (فالحلول عند الباقلاني هو يتبع حدوثه بدلالة أن الشيء حال بقائه لا يجوز أن يصبح حالا و في حالة حدوثه يصبح ذلك عليه فلو كان تعالى حلا لكان محدثا و هذا يكون محال على أنه لا يصح كونه حالا أبدا ، و إلا لزم المحال فإذا حل بعد أن لم يكن حالا فذلك إنما يصح في الحادث)[3] .

---

[1] إبراهيم الأبياري، مفاتيح العلوم، للخوارزمي محمد ابن أحمد ابن يوسف ، ص52 .

* التجسد : تجسم Somnation –Sonna استعمله عدد من العلماء الحياوة البيولوجية الدال على تغيرات التي لا يطال سوى الجسد مقابل تغيرت بمعناها الحق و التحولات أو الطفرات كما تسمى متغيرات مظهرية نموذجية. موسوعة لالاند RZ، ص1314. وخلاصة القول : جان كامبي ــ التجسد هراء و غير قابل التغيير لا يمكنه أن يتنازل و يصير طفلا. ثم لماذا جاء التجسد متأخرا؟ ما المسيح سوى إنسان مسكين لم يحصل على ميتة رجل حكيم كميتة سقراط ، جان كامبي تاريخ الكنيسة، ص49 .

[2] المصدر نفسه، ص124 .

* الحلول : إنّ معنى الحلول و السكون سواء و إنه يصح أن يقال : حلّ المكان و سكنه إذا كان باقيا و يصح أن يوجد أو قائل ، و كان يمنع على هذا الأصل أن يقال لأعراض إنها حلت الجواهر من حيث أنه لا يصح أن يكون ساكنا فيها، فإذا أطلق ذلك فالمراد به أن يوجد به وكان يشهد في ما قاله مه معنى الحلول و إنه السكون في المكان باللغة في قولهم – أي النصارى – أي حل فلان ببطن فلان و بوادي فلان إذا نزل فيه و سكنه و كان يقول للمحلة التي يسكنها الناس محله. للزيادة أنظر جان كانبي و موسوعة لالاند الفلسفية، ص: 144 وسميح دغيم، مصطلحات علم الكلام الإسلامي، ص503 .

[3] المصدر نفسه، ص503 .

فالباقلاني أخذ مفهوم النصارى للصفة و الحال كما وصفته به النصارى و هو قول الأشعري من قبله إذ (لا فرق بين قول الأشعري والإسفاراييني و بين قول القاضي إلا أن ما سمياه وجها و اعتبارا سماه القاضي صفة* و حالا)[1] . و هذا ما ينم عن قدرة الباقلاني و معاصريه من العلماء من استيعاب مفهوم المسيحية بأدق تفاصيل عقيدتها و تأثره بالسلف الصالح في الإلهام والنقد.

فالملكانية إذا ترى في الاتحاد هو الحلول (إنّ الاتحاد هو اتحاد الكلمة بالجسد فصار الاثنين واحدا و صارت قلة كثرة وصارت الكلمة و ما اتحدت به واحدا ، و كان هذا الواحد في الاتحاد اثنين قبل ذلك) [2]. فالحلول كالملاصقة و كلمة الله ليست جسم له ملاصقة، فالوقوف على مفهوم الشيء يزيل الإشكال عن الأذهان.

ينتقل الباقلاني إلى مسألة أخرى في ردوده قصة مريم و ولدها عليهما السلام . فيتساءل كيف لمريم أن تلد الإنسان و الذي يعتبر ابن فالمخلوق من المرأة يعتبر ابنا فكيف لهذا الابن الجزئي أن يكون محتويا لجزئي مثله و هو مريم عليها السلام ؟ و كذلك في حالة الصلب .

فمن صفات البشر ــ أي يعود إلى التعريف بالصفة ــ الموت و كيف للاهوت والناسوت أن يجتمعا في شخص واحد ، و يموتا معا أم يموت جزء و يبقى آخر . نخرج بذلك مفهوم الموت و هي زوال الروح (فيجب انتقاض الاتحاد عند القتل و الصلب* ، و هذا انتقاض الاتحاد عند القتل و الصلب و هذا ترك قولهم ... ولا معنى لقولكم إنّ المسيح قتل و صلب)[3] .

---

* **الصفة عند الباقلاني** : فالنعوت هي الصفات عند أهل اللغة و عليه ليس بصفة لمن هو وصف له و إنما سمي صفة مجازا وعلى أنه وصف له و إخبار عن الصفة التي اشتق الاسم منها و يسمى بذلك أيضا حقيقة على معنى أنه صفة للمتكلم المنبر به ، فأما أن يكون صفة للظريف والأسود و الطويل و القصير يكون بها الظريف ظريفا و الطويل طويلا فمحال على ما بينا من قبل ــ كذلك تخرج الأمة العربية كون الوصف و التسمية للشيء غير الصفة التي يكون الموصوف المسمى بهما مسمى موصوفا، كما أن أهل اللغة يعتبرون المصادر هو أسماء الأفعال والصفات و المصادر التي صدرت منها الأفعال . إنّ ما يمكن القول عنه بأنه صفة لله هو كل ما وصف الله بها نفسه أو أخبر بنية أو كانت نعتا لفعل من أفعاله تعالى و كانت مذكورة في القرآن الكريم أو في حديث للنبي صلى الله عليه و سلم و نقلها الخلف عن السلف صحة سندا ومتنا ، و هو قول الباقلاني (فيجب أن تكون الصفة هي ما يكون الواصف بها واصفا دون ما يكون به كذلك) ، فالصفة إذا هي ما وجدت بذات الموصف ، و هي نفسها الوصف ، فالوصف و الواصف شيء واحد. التمهيد، ص 249-254 .

[1] محمد ناصر السحايباني، منهج الشهرستاني فينقد الأديان، (السعودية، دار الوطن، ط1، 1997) ص 388-389.

[2] حسني أبو سعدة، المنهج النقدي عند الباقلاني، ص170.

[4] **تعريف الصلب**، ص 8 من الرسالة.

[3] التمهيد، ص 118-119.

ضف إلى ذلك أنّ الجوهرية أطلقها المسيحيون بما فيهم الفرق على ذات الله تعالى و هو ليس على الإطلاق يقول الأب ميشال (ليس كل من هو مسيحي يؤمن بأن الله جوهر وعرض ، بل كما أسلفنا الذكر آنفا إنما تختلف إلى ملكانية و نسطورية و يعقوبية ، وغيرهم كما أنهم الفرق الثلاث التي تؤمن بأن المسيح هو الله و واحد من الأقانيم و إنما استنادا إلى إنجيل يوحنا خاصة بأن اليسوع إنسان تحي منه كلمة الله هذه الرسالة الأزلية التي خلق الله الحكيم كل شيء نصبت قيمتها بين البشر متجسدة في يسوع الإنسان)[1] .

والباقلاني إذ أنكر على اليعاقبة من المسيحيين حلول الكلمة في الناسوت على نحو حلول الباري في السماء أو العرش فذلك لأنه ينكر "الكيف" أو "الهيئة" لدى المسيحيين.[2]

ثانيا : الاستدلال بالتشبيه :

و هو طريقة من طرق الاستدلال العقلي بإعطاء القضية شبها لآخر وهكذا. فيعرف هذا النوع من الاستدلال الباقلاني بقوله (و من ذلك أن يستدل بصحة الشيء على صحة مثله، و ما هو في معناه، و باستحالته على استحالة مثله و ما كان بمعناه).[3]

ــ التشبيه في اللغة صفة الشيء بما يقاربه و يشاكله ، و يراد به تقريب الصفة و إفهام السامع.

و في الاصطلاح إلحاق أمر بأمر في صفة بأداة ، فالأمر الأول مشبه و الثاني مشبه به، والصفة وجه الشبه ، و الأداة الكاف و كأن و شبه و مثل و كل ما يفيد معنى التشبيه كحسب وظن و حكى وحوى نحو : (العلم كالنور في الهداية)[4].

فالتشبيه خمسة أنواع : مرسل و مؤكد ، و بليغ و تمثيل و مقلوب .

ثالثا : المجاز العقلي :

هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له كقولك (شيبتني الوقائع) فإسناد الأشباه إلى الوقائع مجاز عقلي ، و منه الإسناد إلى الزمان و المكان والمصدر[5]

---

[1] الأب ميتشال توماس اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص60.

[2] أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ج 2، ص 101.

[1] التمهيد، ص 32.

[4] محمد العلي السراج، اللباب في قواعد اللغة و آلات الأدب، راجعه خير الدين شمسي باشا ، ص171.

[5] المرجع نفسه، ص 121 إلى 176.

كاستدلالنا على إثبات قدرة القدير سبحانه على خلق جوهر و لون مثل الذي أحياه و خلق الحياة فيه ــ أي عيسى عليه السلام ــ بعد أن أماته ، و على استحالة خلق شيء من جنس السواد والحركات لا في مكان في الماضي كما استحال ذلك من جنسهما الموجود في وقتنا هذا)[1] استعمل هذا الأسلوب في غير ما وضع للرد على النصارى كما سيأتي . خاصة في ردوده على الملكانية في مسألة الأقانيم .

(يقال لهم : خبرونا عن الجوهر الذي هو عندكم غير الأقانيم أم موافق لها فإن ردوا بأنه مثلها فإن تساوت الأقانيم في المثلية الجوهرية يجب أن تكون مختلفة المعنى من حيث هذا الشبه، وأن يكون ابن نفسه و روح نفسه لأنه مثل ابنه و روحه ، و منه ترك التثليث المماثلة تعني المطابقة و هما شيء مختلف في آن واحد و منه إبطال التثليث ، كما أن هناك عدة أمثلة في المماثلة مثل بها الباقلاني[2].

الرد على اليعاقبة و النسطورية في الاتحاد (إن الاتحاد هو حلول الكلمة في الناسوت من غير مماسه و أنه كحلول الباري سبحانه في السماء و كحلوله على العرش من غير مماسه لها فإنه باطل) . هنا يبطل تشبيه الاتحاد عند النصارى بالحلول بلا مماسة واستبدالها بنقده لتشبيه آخر مثله . و هو الحلول كالماء في الجب و الدهن في القارورة وإذا لم يعقل الحلول إلا بالمماسة والمجاورة من صفات الأجسام و كانت الكلمة غير جسم لم يجز الاتحاد)[3].

فالباقلاني أبطل الاتحاد و الحلول بنفس النمط الذي عليه الأجسام فهو ليس كالأجسام .

<u>و يرد على الملكانية</u> : اتحاد القديم بمحدث و يشبه ذلك بالخبز و الماء فمزجهما يصبح الشيء نفسه ، و الرطلان رطلا ، و القدحان قدحا)[4]. فضرب الأمثال لكل نوع ليسلب المتمعن بالتدبر أليس الشيء الملموس أكثر وضوحا و بيانا ، و الله المثل الأعلى .

---

[1] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، (القاهرة، مصر، دار الفكر العربي) ط3، ص 357.

[2] الرجوع إلى ص 41 من الرسالة.

[3] التمهيد، ص 111-112 .

[4] المصدر نفسه، ص112.

(وكيف اتحدت الكلمة التي هي الابن بجسد المسيح دون الأب و الروح ، مع قولكم بأنه غير مباين لها و منفصل عنهما؟ و إن جاز ذلك ، فما أنكرتم من أن يكون الماء الممازج للخمر المختلط به مشروبا دون الخمر أو الخمر مشروبا دون الماء و إن كانا غير منفصلين و لا متباينين ، و إذا استحال هذا عندكم وجب أن يكون شارب الخمر الممتزج بالماء شاربا للخمر و الماء إذا كانا غير منفصلين و لا متباينين فما أنكرتم من أن يجب إذا كان الابن متحدا ، و هو غير منفصل من الروح و الأب و لا مباين لهما ، أن يكون الأب و الروح متحدين ، به كما أن الابن متحد به)[1].

بعد هذا التشبيه يستقل الباقلاني للحديث في موضع آخر ردا على اليهود و النصارى على الإجمال أنه لو كان لبس في القرآن و في المعجزات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم (لجاز كذلك تكذيب أعلام موسى و عيسى عليهما السلام بقلب العصا حية و إحياء الموتى وإبراء الأكمه و الأبرص ... لأن مكذب موسى و عيسى بمثابة مكذب محمدا صلى الله عليه وسلم)[2]

أي مثل محمد صلى الله عليه و سلم كمثل سائر الأنبياء فكل نقيصه تذكر على النبي محمد صلى الله عليه و سلم يقذف بها سائر أنبيائهم ،و الأنبياء منزهون عن الكذب و عصمتهم أكيدة منذ الأزل .

استعمل الباقلاني هذا الأسلوب كذلك في تنزيه الله تعالى عن النقص أو المماثلة للأعراض أو الجواهر في قوله (ما أنكرتم أن يكون القديم حاملا للأعراض بمثل كل دليل ذكرتموه؟ وذلك أنا وجدنا الأشياء كلها على ضربين . فضرب فعال شريف قائم بنفسه و فعالا و لا شريفا ، وهو العرض ، فلما ثبت أن القديم فعال قائم بنفسه شريف ليس بخسيس ثبت أنه حامل للأعراض ذو حيز و شغل فإن مروا على ذلك تركوا دينهم و إن أبوه أبطلوا استدلالهم إبطالا طاهرا)[3].

أي كل جوهر في لغتكم منافٍ للعرض قائم بنفسه والقديم لا كالجواهر و لا كالأعراض ومنه بطلان الدليل عقلا . (فالرد لا يهتم بالدراسة المنهجية النقدية للعقائد النصرانية كلها بل لا يهتم إلا بنقاط الاختلاف بين مذهب الرد و المذهب المردود عليه ، و بذلك يصير التحدث منحصرا في مجال هذه الاصطلاحات المعنونة)[4]. أي المصطلحات اللغوية لها من الدلالة والنقد ما لا يوجد بالأفكار و العقائد بذاتها . نجد أن هذا الأسلوب كثيرا ما استعمل في القرآن الكريم .

---

[1] الرجوع ص 41 من الرسالة
[2] المصدر نفسه، ص183 بتصرف
[3] المصدر نفسه، ص 96
[4] عبد الحكيم فرحات، منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى ، ص10.

المطلب الثالث: الاستدلال بالمماثلة:

أولا: الاستدلال بالتشبيه :

يقول الباقلاني " و مما يعدونه من البديع التشبيه الحسن[1] "

المماثلة : و يتحدث عنها الباقلاني ناقلا فيقول " و مما يعدونه من البديع المماثلة ، وهو ضرب من الاستعارة، سماه قدامه التمثيل ، و هو العكس من الأرداف، لأن الأرداف مبني على الإسهاب والبسط وهو مبني على الإيجار والجمـــــع "[2].

و يريد بالمماثلة التمثيل :

من أساليب القرآن الكريم " و ثيابك فطهر " ، و هي من نعوت ائتلاف اللفظ و المعنى {قدامة بن جعفر}* ، التمثيل " و هو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر و ذلك المعنى الآخر و الكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه . هذا على أن المماثلة غير التمثيل[3] فالحق أنه لا يكتمل التنزيه الخالص لله ــ عز و جل ــ إلا بالتمسك بهذه التفرقة الحاسمة بين عالم الغيب وعالم الشهادة مع الإيمان بكل ما تعرف الله به إلى خلقه على لسان رسله دون تمثيل و لا تعطيل . و لكن الطريق إلى ذلك صعب عسير ، فالناس تتفاوت في هذا الصدد ، و أكثرهم نزّاع إلى التمثيل و التشبيه و لا يكاد يؤمن بغير المحسوس ، و ربما كان هذا أكبر دواعي الانحراف عن العقيدة الصحيحة كما يقول ابن الجوزي (كل محنة لبس بها إبليس على الناس فسببها الميل إلى الحس ، و الإعراض عن مقتضى العقل ، ولما كان الحس يأنس بالمثل دعا إبليس ــ لعنه الله ــ خلقا كثيرا إلى عبادة الصور ، وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرة)[4] (و هكذا نجد أن التشبيه و التنزيه كلاهما طريق لابد منه ، غير أن التطرف و الغلو في أولهما قد يقضي إلى التجسيم و التشخيص ، كما أن التطرف في الجانب الآخر قد يقضي إلى النفي والتعطيل، و هي حقيقة نبه إليها الكثير من العلماء كالغزالي و ابن رشد و ابن تيمية والطحاوي)[5].

---

[1] محمد مخلوفي، الباقلاني و كتابه إعجاز القرآن، ص 118 .

[2] المصدر نفسه، ص 119.

* كاتب ومؤرخ عربي ،كان يدين بالنصرانية فأسلم على يد الخليفة العباسي المكتفي ،من أهم آثاره (زهر الربيع،)في الأخبار والتاريخ ،وكتاب الخراج ،وكتاب السسياسة،وكتاب نقد الشعر وقد نسب إليه كتاب نقد النثر .منير البعلبكي ،معجم أعلام المورد ،(بيروت لبنان ،دار العلم للملايين، ط1 ، 1992)،ص20 .

[3] المصدر نفسه، ص 295.

[4] ابن الجوزي ، تلبيس ابليس، ص 51.

[5] حسين الشافعي، الأمدي وآراؤه الكلامية (القاهرة مصر ، دار السلام ط1 .1998-1418ه) ص323-324.

المطلب الرابع : الاستدلال بالتجزئة :

التجزئة :هي أن تذكر أجزاء الموضوع المراد بيانه بتتبع تلك الأجزاء و تحليلها، وتشريحها وتقييمها يكون الحكم عليها بالإثبات أو النفي ، أي إثبات ما يراد إثباته ، و ذلك بالتدليل على إبراز مقومات الصحة فيه حتى يقع ترسيخه ، و تدعيمه و نفي ما يعارضه و ذلك بإقامة الحجة على بطلانه ، و التنبيه على فساده)[1].

لقد استعمل الباقلاني هذا النوع من الاستدلال في :

الرد على الأقانيم : حيث يقول (يقال لهم : لم زعمتم أن الباري سبحانه ثلاثة أقانيم دون أن تقولوا إنه أربعة و عشرة و أكثر من ذلك ؟ فإن قالوا : من قبل أنه قد ثبت أن الباري سبحانه موجود جوهر هذه القضية ثم (وثبت أنه علم) القضية الثانية فوجب أنه جوهر واحد ثلاثة أقانيم منها الجوهر الموجود، قضية أخرى و منهما العلم والحياة لأن الحي العالم لا يكون حيا عالما حتى يكون ذا حياة و علم فوجب (النتيجة ــ أن الأقانيم ثلاثة)[2] ، و هكذا نلاحظ أن الباقلاني فتت القضية الكبرى إلى قضايا جزئية أو مسلمات للخروج إلى نتيجة منافية للأطروحات الأولى أي جزءا بجزء .

كذلك في صفة ــ العلم يقول { قد ينقص العلم و يزيد أو يزيد و يعدم } جزئين لفكرة .

ــ الحيـــــــــاة { باقيـــــــة بحالـــــها } جزء لفكرة .

فالعلم و الحياة مختلفان فعند تفتيت القضايا و المقارنة بينهما نستخلص الفارق بينهما ونبطل فرضية النصارى في كون العلم و الحياة يتساويا مع القدرة التي طبق عليها الباقلاني نفس المنهج .

الاستدلال بالتجزئة في الاتحاد

رد على الملكانية : فيقول الباقلاني [وزعمت الروم و هي الملكية أن معنى اتحاد الكلمة بالجسد أن الاثنين صارا واحدا] (هذه قضية أولى) .

الكثرة قلة اتحاد الكلمة واحد (و منه إبطال الإتحاد بالشيء اللامعقول).

و لم يعلق عليها الباقلاني مجرد التعليق فهي منطقيا لا تقبل من غير شرح .

---

[1] محمد التومي، الجدل في القرآن ،ص 181.

[2] التمهيد، ص 98.

رد على اليعقوبية في الاتحاد : (إذا جاز أن ينقلب ما ليس بلحم و لا دم لنفسه بالاتحاد)[1]، القضية الأولى و هو مخالف للحم و الدم نفسه ، فلماذا لا تنقلب الكلمة كذلك بنفس الطريقة لحما و دما . هنا استدلال بالتجزئة و ضرب المثل بالمحدثات و هذا خروج عن الطبيعة فالقضية الأولى إذ أجزمنا وقوع الاتحاد عليها و هي جزء من الأقانيم عندهم فكان لزاما أن تكون باقي الأقانيم على نفس النمط و هو غير ممكن و ليس إلى ذلك سبيلا.

رد على اليعقوبية و الملكانية و النسطورية :

رد على الصلب يسلم بادئ ذي بدء بمعتقد الروم بأن الكلمة اتحدت بالإنسان اتحادا جزئيا

ـــــالإنسان الجزئي ـــ قضية 1

الإبن ـــــــــ اتحاد الإنسان الكلي ـــــــــــــــ (الجوهر الجامع للناس) [2].

ليخلص ـــــــالجوهر الجامع ـــــــــــــــــــــــ الخلاص المعصية .

الجوهر الجامع ـــــــــ الاتحاد بالإنسان الكلي يصبح الجوهر الكلي جزئيا بالاتحاد وأقنوما.

(لأن الابن أحد الأقانيم و ليس هو كل الأقانيم و الخواص ، فهو من حيث القنومية شخص واحد جزئي ، فإذا صار عند الاتحاد بالإنسان الكلي الذي هو الجوهر الجمع لكل الناس شيئا واحدا وجب أن يكون كليا جزئيا لأنه كلي من حيث كان جوهرا جامعا لسائر الناس و جزئي من حيث صار أقنوما للجوهر العام فيجب أن يكون كليا جزئيا)[3]، و هذا غاية المستحيل .

فالقضايا الأولى الجزئية كانت كافية لاستحالة كون الجوهر العام كليا و جزئيا وإحالة الاتحاد بالإنسان فكيف لكلي أن يتجزأ ولجزء أن يكون جوهرا بلا جزء .

إن ما يمكن قوله بدءا أن عيسى عليه السلام بشر بإثبات العقول ، لا يمكن اعتباره ربا . الابن فلا يعقل كون الرب الإله الصاحبة و هو منزه عن الصاحبة و الولد ، فكيف لجوهر أن يحتاج أو يتحد بعرض ، أو تطرأ عليه الأعراض كالبشر يتخبط في الدماء و يولد بلا حول و لا قوّة له ثمّ يتحوّل فجأة إلى ربّ يسيّر البشر فهذا محال عن الله تعالى ويتعارض مع سنن الكون فالمخلوق لا يمكن أن يكون خالقا .

---

[1] التمهيد، ص 109.

[2] المصدر نفسه، ص 111.

[3] المصدر نفسه، ص 113.

بناءا على قاعدة [اتحاد الجزئي في الكلي محال] كما أثبته الباقلاني فالجزئي لا يمكنه الاتحاد في الكلي لأن الكلي فيه من درجات الكمال ما تغنيه عن ذلك، و الجزئي لا يفتقر إليه الكلي، ومنه عيسى ما هو إلا بشر لأن نصوص الإنجيل جاءت بتسمية الرسول لا النبي و سمته الرجل لا الرب . كما أنه لم يصف نفسه بالربوبية بل الرسولية و منه فهناك عدة فرق موحدة سنذكرها آنفا الأريوسية والأيوبيون وغيرها من المسيحية الموحدة لا المثلثة .

فضلا عن الدراسات الأكاديمية التي وصلت إلى إثبات بأنه عليه السلام ما هو إلا بشر رسول و"كلمة الله " التي ألقاها إلى مريم عليها السلام ، كما ألقى أمره إلى آدم عليه السلام و أنشأه من العدم بقادر على خلق أمثاله كيفما يشاء الله تعالى .

كما استعمل القرآن الكريم هذا النوع من الاستدلال في غير موضع مثلا في قصة مريم عليها السلام قوله تعالى: [وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ۞][1]

فمريم عليها السلام كانت امرأة عفيفة شريفة برأها الله سبحانه و تعالى في الإنجيل والقرآن الكريم، لكن بحكم زيف الإنجيل جعلها صاحبة لشخص يوسف و هذا زيف اختلقه محرفو الإنجيل فيقول : [إن إنما اتحدت بالإنسان الكلي في الجزئي الذي و لدته مريم عليهما السلام قيل لهم : فيجب أيضا أن يكون الأب و الروح متحدين بالكلي في الجزئي الذي ولدته مريم . لأننا لسنا نقصد بهذا السؤال الكلام في الإنسان الذي اتحدت به الكلمة ، و هل هو جزئي أو كلي، أو اتحاد بالكلى في الجزئي الذي ولدته مريم ، و إنما الكلام في كيف يمكن أن يكون ألبن متحدا بما اتحد به كلي أو جزئي ، دون الأب و الروح ، وهو غير مباين لهما و لا منفصل عنهما، فأجيبوا عن هذا إن كنتم قادرين][2]

[أما وصف عيسى عليه السلام بالكلمة فلأن وجوده انطلق من كلمة الإيجاد المتمثلة في قوله تعالى: " كن " المعبر عن إرادته سبحانه من دون تخلل الأسباب الطبيعية خلافا للناس الآخرين، مع أن **الجميع خاضعون لإرادة الله و قدرته التكوينية**][3].

---

[1] سورة الأنبياء، الآية 91.

[2] التمهيد، ص 115.

[3] محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن،(الجزائر ،دار البعث) ص 160.

فهذه الطريقة استعملها القرآن الكريم و تنزيه الله عن الصاحبة [أو ما يحاول بعض المتفلسفة المسيحية أن يحملوه عليه و هو المتولد الذاتي الذي يجعل له الطبيعة الإلهية المستمدة من الأب فإن ذلك كله مستحيل في حقه] [1]. بإثبات العقول و النظائر لا على الإطلاق ، يقول الله تعالى في هذا الصدد : [وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ۞] [2].

فالله سبحانه و تعالى نزه نفسه عن الصاحبة و الولد و كذا كل بأمره "كن" فكذلك الذي ولدته مريم عليها السلام كان بأمره ، إذ كيف للأب و الله و روح القدس أن يتحد بعيسى عليه السلام و هو جزئي من امرأة هي مريم عليها السلام، ويطرح القاضي هذا السؤال في تمهيده : لا ندري أهي كلي أم جزئي ؟ دون الأب والروح، سؤال تعجيزي .

استدل عليه هنا بطريق التجزئة فكيف لكلي أن يحتاج إلى جزئي و يتحد معه و كيف لكلي أن ينشأ بمواصفات الجزئي و لا ندري هل حملته وهو الكلي و بها صفات الجزئي ؟و هذا من المحال الجواب عنه جوابا عقلانيا مقنعا .

فتعالى الله عن الحيز و الجسمية علوا كبيرا . فالباقلاني انتقل من مقدمات جزئية .

و في قوله : (لو كان القديم سبحانه ذا أبعاد مجتمعة لوجب أن تكون أبعاضه قائمة بأنفسها ومحتملة للصفات إذا في الأبعاض تحتمل للصفات و منه الأبعاض نصبه لها صفات الإله و هذا كفر) ، أي إبطال القضية بمقدمات جزئية للحصول على نسخة كلية وهذا هو عين الاستقراء الصوري للحكم على باقي الصفات .

فالقرآن الكريم يطالب باستقراء الواقع و جزئياته و أمثلته لا تحصى و لكنه لا يكتفي بالوقوف في هذا الاستقراء عند حد الملاحظة و تحليل الظواهر فقط بل لابد من مرحلة القياس و هي ما عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى [هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ۞] [3].

---

[1] المرجع نفسه، ص 116.
[2] سورة البقرة، الآية 116.
[3] سورة الحشر ، الآية 02.

و لقد استعمل القرآن الكريم الاستقراء، في عدة نصوص ،مثل قوله تعالى [أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝] [1].

و كذا قوله [هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝] [2].

فمن النظر في خلق الشمس و القمر و استقرائهما استقراءا عمليا صحيحا، يمكن التوصل إلى علم هو علم العدد و الحساب، لذلك نجد القرآن عندما حث على ذلك ذكر أن ذلك (لقوم يعلمون)[3].

إن ما هو ملاحظ على منهج الباقلاني أنه استعمل الطرق الاستدلالية التي استعملها القرآن الكريم وذلك من خلال استعمال المقابلة.

المطلب الخامس : الاستدلال بالمقابلة :

إنّ المقابلة بين شيئين أو أمرين أو شخصين، تكون ليعرف أيهما المؤثر في عمل معين ، وإذا ثبت أن التأثير لواحد منهما كان له فضل التقدم على غيره .

وحتما تقتضي المقابلة المقارنة لمعرفة أيهما مؤثر في الآخر واستعمل القاضي هذا النوع في الاستدلال على الجوهر و الأقانيم في قوله:[فإن قالوا: ليس الجوهر موافقا للأقانيم من كل جهة، و إنما يوافقها بالجوهرية لأن جوهرها من جوهره و إنما يخالفها في القنومية، –فالمقابلة هنا كانت من جهة الأقنومية والجوهرية في قوله –(قيل لهم: فالجهة التي وافقها بها و هي الجوهرية هي الجهة التي خالفها بها و هي القنوميّة، فإن قالوا: نعم، جعلوا معنى الجوهرية هو معنى القنوميّة، و قيل لهم فما أنكرتم أن يكون الجوهر أقنوما لجوهر آخر و لنفسه؟.

و ذلك ترك قولهم.)–فالمقارنة الأولى كانت من جهة اللإتفاق أما من جهة الإختلاف في قوله – (فإن قالوا: جهة الاختلاف بينهما و هي القنوميّة غير جهة الاتفاق التي هي الجوهرية، قيل لهم: فيجب أن يكون هناك خلاف ثابت بين الجوهر و الأقانيم في القنومية، و أن يكون ذلك الخلاف لا يعدو أن يكون جوهرا أو عرضا، و إلا وجب أن يوافقها بنفسه في الجوهرية ويخالفها بنفسه في القنومية.

---

[1] سورة الأنبياء الآية: 30.

[2] سورة يونس الاية: 05.

[3] فاطمة إسماعيل : القران و النظر العقلي ص: 129.

و إن جاز ذلك جاز أن يكون وفاق الشيئين هو خلافهما و أن يكون قدمه هو حدوثه وأن يكون قديما محدثا لنفسه و في فساد ذلك دليل على بطلان ما قالوا.)[1]

كذلك استعمل القاضي المماثلة في رده على معنى الأقنومية لإثبات صفة التوحيد لله تعالى ونفي الأقنومية بقوله: فلا بد أن يسد مسدها فيوافقها أولا يسد مسدها فيخالفها وهذا المعنى بنفسه هو الذي نعنيه بالاتفاق والاختلاف، فلا معنى للمراوغة.و إن قالوا : أليس لا يقال: إن يد الإنسان من الإنسان مخالفة له و لا موافقة له، و كذلك الواحد من العشرة، و البيت من القصيدة، و الآية من السورة، فما أنكرتم من مثل ذلك في الجوهر و الأقانيم؟ قيل لهم: إنما لم يجز إطلاق الخلاف و الوفاق فيما ذكرتم، لأن قولنا "إنسان" واقع على الجملة التي منها اليد و كذلك العشرة والواحد منها و البيت من القصيدة و الآية من السورة و من المحال أن يكون الشيء مثل نفسه أو غيره أو خلاف نفسه و قولنا جوهر ليس بواقع عندكم على الجوهر و الأقانيم التي هي خواصه و لا من أسماء الجمل، فسقط ما سألتم عنه.[2]

و قد كان ذلك من ينابيع الاستدلال كثيرا في القرآن الكريم فكانت المقابلة بين الذات العلية و بين ما ابتدعوا من عبادة الأوثان ينبوعا لاستدلال على بطلان ما زعموا [3] و في ذلك قوله تعالى : [أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝] [4].

و كذلك في قول الله تعالى : [قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝] [5].

---

[1] التمهيد، ص104-105

[2] المصدر نفسه، ص105-106

[3] فاطمة إسماعيل، القرآن و النظر العقلي، ص 115.

[4] سورة النحل، الآية 17-18.

[5] سورة الرعد، الآية 16.

المطلب السادس : الاستدلال بالقصص (القرآني و الإنجيل) :

لا يمكن الوصول إلى منهجية معرفية و فكرية سليمة بعيدا عن القرآن الكريم [1].

إن من أكبر الطرق التي استعملها القرآن الكريم الاستدلال بالقصص القرآني لأخذ العضات والعبر و كذا أخذ النماذج البشرية للترغيب و الترهيب.

و قد استعمل الباقلاني هذا المنهج في قوله : فإن قالوا (هم يعلمون ذلك ضرورة و لكنهم يجحدون ما يعلمون قيل لهم: و كذلك أنتم و سائر النصارى عالمون بصحة نقل المسلمين لأعلام نبيهم غير أنكم تجحدون ذلك على علم منكم لصحته. فإن قالوا : نجد أنفسنا بخلاف ما تدعون قيل لهم: وكذلك تزعم البراهمة و المجوس و الفلاسفة و أهل الإلحاد ... فلم يجب تصديقكم و لا جواب لهم عن ذلك

فإن قالوا إنما وجب صحة نقل أعلام موسى و الانقياد له إلى باقي أهل الأديان المختلفة عليه كاليهود والنصارى والمسلمين ، وهذه العلة مفقودة من خبركم فأساس الخبر هو السند والسند غير موجود [2] .وعليه فخبرهم باطل دون المسلمين اللذين صح نقلهم .

و أمثلة القصص التي استشهد بها الباقلاني في ردوده على النصارى كقصة معجزة عيسى عليه السلام نحو إحياء الموتي و إبراء الأكمه و الأبرص في قول القاضي:[فإن قالوا لأجل ما ظهر على يد عيسى من فعل الآيات و اختراع المعجزات التي لا يقدر البشر على مثلها، من نحو إحياء الموتى، و إبراء الأكمه و الأبرص، و جعل القليل كثيرا و قلب الماء خمرا و المشي على الماء و صعود السماء و إبراء الزمن و إقامة المقعد و غير ذلك من عجيب الآيات، فوجب أن يكون إلها و أن الكلمة متحدة به، يقال لهم: لم زعمتم أن عيسى فاعل لما وصفتم من الآيات و مخترع لها؟ و ما أنكرتم أن يكون غير قادر على قليل من ذلك و لا كثير و أن يكون الله تعالى هو الذي فعل جميع ما ظهر على يده من ذلك، و تكون حاله فيه حال سائر الأنبياء فيما ظهر عليهم من الآيات؟.[3]

---

[1] فاطمة إسماعيل، القرآن و النظر العقلي، ص 14.

[2] التمهيد، ص 192.

[3] المصدر نفسه، ص119.

رد عليهم بقصة أخرى للنبي موسى بقوله: لماذا لا يكون موسى إلها بكونه قام بمعجزات كعيسى عليه السلام [ما أنكرتم أن يكون موسى عليه السلام إلها و أن تكون الكلمة متحدة به لما فعله من الآيات البديعة نحو قلب العصا حيّة ذات فم و عينين و خروق و لم تكن من قبل حيّة ولا فيها رسم عينين و لا فم و نحو فلق البحر، و إخراج يده بيضاء، وغير ذلك و ما أتى به من الجراد و القمل و الضفادع و الدم، و غير ذلك مما لا يقدر عليه البشر؟ فإن قالوا: موسى لم يكن مخترعا لشيء من ذلك و إنما كان يدعو و يرغب إلى الله تعالى في أن يظهر على يديه ذلك يقال لهم: فما أنكرتم أن تكون هذه حال عيسى و أنه كان يرغب إلى خالقه و ربه و مالكه في أن يظهر الآيات على يده؟].[1]

في هذه الفقرات استشهد الباقلاني بما جاء في قصص الأنبياء بصحيح السند عن القرآن الكريم وما وافقها من نصوص التوراة و الإنجيل، أما في قصة عيسى عند مخاطبته لله قائلا في نص الإنجيل [رب إن كان في مشيئتك أن تصرف هذه الكأس عن أحد فاصرفها عني].[2]

فتفسيرها أنه أراد أن يحييّ كهلا[3]، منها نستشف أن الباقلاني كان مطلعا على تفاسير ومعاني الكتاب المقدس فأصول الحوار و المناظرة مع الغير تقتضي الإحاطة بمعاني وتفاسير موضوع الحوار. و في قول الإنجيل [يا أبي أدعوك كما كنت أدعوك فتستجيب لي، و إنما أدعوك من أجل هؤلاء ليعلموا كذلك في قوله [يا أبي أنا أحمدك]، و قوله و هو على الخشبة وقت الصلب [إلآهي إلآهي لم تركتني؟].[4] ومنه افتقار عيسى عليه السلام لمعنى الرّبوبية و الألوهية و أنه مخلوق لا حولة له و لا قوة [فوجب أنه عبد مربوب ومحدث مخلوق كموسى و غيره من الرسل عليهم السلام].[5] هذا هو ظاهر تفسير الإنجيل فإذا خرج النصارى عن هذا التفسير إلى قولهم إن المقصود بهذا الدعاء هو على سبيل التعليم للأتباع رد عليهم الباقلاني بنفس قولهم من أن موسى عليه السلام فعل ذلك على سبيل التعليم في قوله:[فما أنكرتم من أن يكون دعاء موسى و رغبته إنما وقع على سبيل التعليم؟ و إلا فقد كان يخترع فلق البحر، و إخراج اليد بيضاء، و قلب العصا ثعبانا، و تظليلهم بالغمام و اختراع المنّ و السلوى و يأمر بأن يكون ذلك فيكون فلا يجدون إلى ذلك مدفعا].[6]

---

[1] المصدر نفسه، ص 119-120.
[2] إنجيل الأمثال لم نعثر على النص في الكتاب المقدس بمختلف طبعاته، وهذا راجع إلى تحريف نصوص الإنجيل.
[3] التمهيد، ص 120.
[4] الإنجيل متى، الإصحاح 27، الفقرة 46.
[5] التمهيد، ص 120.
[6] المصدر نفسه، ص 121.

فجل استشهادات الباقلاني على قصص عيسى عليه السلام كانت مستوحاة من نصوص الإنجيل، فصحة القصة تدلل عليها بقصة أخرى من الإنجيل و زيفها يكتشف كذلك من اضطراب القصة و تناقض الأقوال فيها من مصدر واحد، و هي من أنجع الطرق التي رد بها القاضي على النصارى.

و كلما كانت القصة قريبة من القرآن الكريم كانت أقرب إلى الصحة، لأن القرآن متواتر وقد تكفل الله عز وجل بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞﴾.[1]

[1] سورة الحجر، الأية 09.

المبحث الثاني : القيـــاس و أنواعه :

المطلب الأول : أشكال القياس

هناك عدة أنواع من القياسات التي استعملها القاضي في ردوده على النصارى و هذه القياسات تنقسم إلى قياسات مركبة، قياسات استثنائية و ما أكثر استعمالاتها عند الباقلاني و قياس الخلف و قياس الدور و غير ذلك، نبدأ بأولها:

القياسات المركبة:

هي عبارة عن تركيب دليل فيه تركيب دليل، أما لسابقته و أما للاحقته و إما لكلتيهما مثال: كل كون حادث، كل جسم قرين كون = فكل جسم قرين حادث وكل قرين حادث حادث[1] و ينقسم إلى موصول و مفصول. ومن أمثلة استعمالات الباقلاني:

القياسات الاستثنائية:

وهي عبارة عن الاستدلال بثبوت الملزوم على ثبوت لازمه وبنفي اللازم على انتفاء ملزومه دون مقابليهما، إلا فيما إذا كان اللازم مساويا. لكن ذلك لا يكون عن قوة النظم، مثال الاستدلال بثبوت الملزوم على ثبوت اللازم إذا كان هذا إنسانا فهو حيوان لكنه إنسان فيحصل هو حيوان. ومثال الاستدلال بنفي اللازم على انتفاء ملزومه إذا كان إنسانا فهو حيوان لكنه ليس بحيوان فيحصل: ليس هو بإنسان.[2]

المطلب الثاني: أنواع القياس:

أولا : القياس الاضماري

القياس الإضماري: هو قياس بالحجة حسب التفسير المنطقي (هي التي يؤتى بها في إثبات ما تمس الحاجة إلى إثباته من العلوم التصديقية و هي ثلاثة أقسام : قياس واستقراء، وتمثيل) [3].

و ما القياس الإضماري إلاّ قياس تحذف فيه إحدى المقدمات الكبرى أو الصغرى لظهورها ودلالة المقام على حذفها [4] .

ثانيا : دليل التمانع (قياس الخلف) :

يقال خلف الخلف هو أن تركب قياسا من نقيض الحاصل من الخلف ومن إحدى جملتي الدليل السابق على خلف الخلف و تحصيل منهم المطلوب الأصلي.[1]

---

[1] السكاكي، مفاتيح العلوم، ص500.
[2] المرجع نفسه، ص501.
[3] أبي حامد الغزالي، معيار العلم في المنطق(لبنان بيروت) ص 77.
[4] محمد التومي، الجدل في القران،ص 246.

و يسمى لغة قياس الخلف إما لأنه قياس يسوق إلى حاصل رديء و هو خلاف الحق فالخلف هو الكلام الرديء و الخلف هو الوراء أيضا، بناء على أن الإنسان متى اتصف بالإنكار لشيء حول ظهره إليه وصف بأنه حول ظهره إليه.

هو دليل مركب من نقيض الحاصل من الدليل المذكور ومن إحدى جملتيه، لبيان بطلان النقيض، بوساطة أن الدليل متى صح تركيبه وصدقت جملتاه لزمه الحق واللازم هاهنا منتف، فيلزم انتفاء الملزم، وإذ لا شبهة في صحة التركيب وفي صدق إحدى الجملتين، فالمتعين للكذب،إذن هي الجملة الأخرى ،وهي النقيض،توصلا بذلك كله إلى إثبات أحقية الحاصل من الدليل المذكور سابقا و. الخلف إذا نظم في سلك القياسات المركبة نظم لذلك.[2]

و يسمى كذلك بقياس الخلف : و هو إثبات الأمر ببطلان نقيضه، كإثبات الصدق ببطلان الكذب، أو إثبات الوجود ببطلان العدم و قد سمي بهذا الاسم ، إما لكونه يستلزم الرجوع من النتيجة إلى الخلف ، لأخذ المطلوب من المقدمة المتروكة و المجعولة و هي مقدمة الخصم الكاذبة ، و ذلك بالبرهنة بكذبها على صدق نقيضها ، و إما لكونه مضافا إلى الخلف: و هو الكذب المناقض للصدق و يسمى هذا الاستدلال عند المتكلمين بدليل التمانع[3].

و هو من أكبر الطرق الاستدلالية الأكثر انتشارا في عصر الباقلاني، و هو عبارة [عن استدلال غير مباشر شاع في الدراسات الكلامية ، يعتمد على أسلوب القسمة بأن يردد الأمر بين احتمالين لا ثالث لهما في نظر المستدل ، فإذا بطل أحدهما ، و هو ما يدعيه الخصم ، ثبتت دعوى المستدل بدون دليل آخر ، و بناءا على أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان] [4].

و هذه الطريقة كان السباق لإعمالها في طرق الاستدلال هم المعتزلة ، و الحقائق التاريخية ترجعها إلى أفلاطون و جدله ، و هي من منابع الاستدلالات التي استعملها الباقلاني للرد على النصارى بنهج الخصوم نفسه.

(و يبدوا أن طريقة الخلف حين استقرت في الوسط الكلامي اتسع مفهومها ليشمل أكثر مما ذكرناه أي أنّها لم تعد تعنى بإثبات الشيء عن طريق إبطال نقيضه ، بل أصبحت لا تعنى بإثبات شيء أصلا ، و إنما هي تعنى بالهدم دون أن تتجه إلى البناء ، و ذلك بأن يحاول المتكلم أن يستخرج ما يلزم عن رأي الخصم من لوازم فاسدة) [5].

---

[1] السّكاكي، مفاتيح العلوم، ص202-203.

[2] السّكاكي، مفتاح العلوم، ص 502.

[3] المرجع نفسه، ص 502.

[4] حسان الشافعي، اللامدي و آراؤه الكلامية،ص 159- 160.

[5] التمهيد، المقدمة، ص 25.

أ/ عكس قياس الخلف :

وأما عكس القياس فنظير الخلف من وجه وذلك أنه يؤخذ فيه، مقابل حاصل الدليل، أما بالتناقض مثل: ما إذا كان كل كذا كذا، فيوضع موضعه: لا كل كذا كذا، و أما بالتضاد مثل: ما إذا كان كل كذا كذا، فيوضع موضعه: لا شيء من كذا كذا، و يضم إليه إحدى جملتي الدليل، ليحصل مقابل الجملة الأخرى احتيالا لمنع القياس.

و أمثلة استشهادات الباقلاني على هذا النوع من القياس دليله عسلى صحة الأنبياء عليهم السلام في قوله : (كل واحد من هؤلاء الأنبياء قد قرأ بلسانه بأنه مخلوق وعبد مربوب مرسل من عند الله عزوجل، و المسيح لم يقر بذلك قيل لهم : وكذلك المسيح قد اعترف بأنه نبي مرسل وعبد مخلوق؛ لأن الإنجيل ينطبق بأنه قال : "إني عبد وأرسلت معلما"[1]، و قال : فكما بعثني أبي فكذلك أبعثكم عمدوا، الناس و غسلوهم بإسم الأب و الإبن و الروح القدس. ودليله على ذلك ما قال في الإنجيل : "إن النبي لا يكرم في مدينته")[2]

ب /قياس الدور: فهو أن يؤخذ عكس إحدى جملتي الدليل، مع الحاصل من الدليل، فيركب منهما دليل مثبت للجملة الأخرى، و يصار إلى هذا في الجدال احتيالا، عندما تكون إحدى جملتي الدليل غير بينة، فيغير المطلوب عن صورته اللفظية، ليتوهم شيئا آخر، و يقرن به عكس الجملة الأخرى من غير تغير الكمية، مثل قولنا: كل انسان متفكر، و كل متفكر ضاحكا.[3]

أما استعمالات الباقلاني لقياس الدور فكانت على النحو الآتي :

إثبات نبوة عيسى عليه السلام و نفي الربوبية عنه وتخصيصها لله تعالى فقط في قول الباقلاني: (ما أنكرتم أن يكون موسى عليه السلام إلها قلب العصا حيّة ذات فم و عينين وخروق لم تكن من قبل)[4]

- فالإله يفعل الخوارق ⇔ قضية أولى
- لا إنسان يفعل الخوارق من نفسه ⇔ قضية ثانية.
- موسى لم يكن مخترعا لشيء ⇔ موسى ليس ربا لذلك ⇔ نتيجة.
- عيسى لم يكن مخترعا، وكان يدعوا الله لإظهار الآيات على يده كي يؤمن قومه به

فهذه نتيجة لقياس الدور.

---

[1] إنجيل متى، الإصحاح 19، فقرة 28.
[2] إنجيل يوحنا، الإصحاح 23، فقرة 5.
[3] السكاكي، مفاتيح العلوم، ص503.
[4] التمهيد، ص 119.

ج / تطبيقات دليل * التمانع

فالباقلاني يقسم المعلومات إلى معلومات موجودة كائنة بالإمكان الاستدلال عليها بنفي قاطع ليس موجود أو منتف ليس موجود [و المعدوم منتف ليس بشيء فمنه معلوم معدوم لم يوجد قط و لا يصحّ أن يوجد وهو المحال الممتنع الذي ليس بشيء وهو القول المتناقض نحو اجتماع الضد ين و كون الجسم في مكانين و ما جرى مجرى ذلك مما لم يوجد قط و لا يوجد أبدا ، و منه معدوم لم يوجد قط و لا يوجد أبدا و هو مما يصح ويمكن أن يوجد نحو ما علم الله أنه لا يكون من مقدوراته و أخبر أنه لا يكون من نحو رده أهل المعاد إلى الدنيا و خلق مثل العالم و أمثال ذلك مما علم وأخبر أنه لا يفعله و إن كان مما يصح فعله له ، و معلوم معدوم في وقتنا هذا وسيوجد فيما بعد نحو الحشر والنشر و الجزاء و الثواب و العقاب و قيام الساعة) [1]

إنكار الباقلاني كون الله جسما على أساس أن حقيقة الجسم بأنه مؤلف مجتمع بدلالة أو أهل اللغة رجل جسيم و زيد أجسم من عمرو و مقصدهم بذلك التأليف و الاجتماع من أجزاء وامتداد طولا وعرضا و لما استحال أن يكون قديم تعالى مجتمعا مؤلفا من أجزاء ممتدا في الجهات بل ذاته واحدة من كل الجهات من كل وجه فقد ثبت بطلان قولهم أن الله جسم [2] (لم أنكرتم أن يكون القديم سبحانه ..... ثبت أنه تعالى ليس بجسم)[3].

و نلاحظ أن الدليل مبني على مقدمتين إحداهما تتعلق بحقيقة الجسم عنده و قد أثبتها بالدليل وثانية استحالت كون الذات الإلهية ذات أبعاض مجتمعة و هو يثبتها بثلاثة وجوه:

أولاها : أنه إجاز كونه ذاته تعالى مؤلفة مجتمعة من أبعاض لوجب أن يكون ذا حيز في الوجود و أن يستحيل أن يماس كل بعض من أبعاضه و جزء من أجزائه غير ما مسه من الأبعاض وأجزاء الجواهر أيضا من جهة ما هما متماسان لأن الشيء المماس لغيره لا يجوز أن يماسه ويماس غيره من جهة واحدة

---

* تعريف الدليل بأنواعه في الفقه والأصول والفلسفة : الدليل هو الحجة و البرهان ، و هو ما دل به على صحة الدعوى ، و الدليل في الفقه المرشد و ما به الإرشاد و ما يستدل به ، و له عند الأصوليين معنيان : أحدهما ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم بمطلوب خَبَري ، و هو يشمل القطعي و الظني و الثاني كما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم بمطلوب خبري و هذا يخص بالقطعي . و الأول أعم من الثاني مطلقا الدليل عند الفلاسفة: هو الذي يلزم من العلم به علم بشيء اخر و غايته أن يتوصل العقل إلى التصديق اليقيني بما كان يشك في صحته ، وقد يكون الدليل قياسا أو برهانا . سعد الدين التفتزاني، شرح المقاصد، ص28.

[1] التمهيد، ص

[2] حسني أبو سعدة، المنهج النقدي عند الباقلاني، ص 194.

[3] التمهيد، ص 220.

و إذا ثبت ذلك وجب أن يكون ذلك سائر الأبعاض المجتمعة ذا حيز و ما هذا سبيله فلابد أن يكون حاملا لأعراض و من جنس الجواهر و الأقسام يقول الباقلاني [فإن قالوا و من أجل استحال..][1] و لما ثبت أن القديم تعالى ليس من جنس المخلوقات الحادثة فقد ثبت ليس بجوهر و لا جسم لأنهما حادثان و إذا بطل كونه كذلك فقد بطل كونه ذاته تعالى مؤلفة مجتمعة .

ثانيهما : أنه لو كان القديم سبحانه ذا أبعاض مجتمعة مؤلفة لوجب أن تكون أبعاضه قائمة بأنفسها و محتملة للصفات ، و لم يخل كل بعض منها أن يكون حيا عالما قادرا ، أو غير حي ولا عالم ولا قادر فإن كان واحد منها فقط هو الحي العالم القادر دون سائرها، وجب أن يكون ذلك البعض منه هو الإله المعبود المستوجب للشكر و العبادة وهذا يوجب أن تكون العبادة والشكر وجبين لبعض القديم دون جميعه و هذا كفر محض في نظر الأمة كافة و إن كانت سائر أبعاضه حية عالمة قادرة وجب جواز تفرد كل بعض منها بفعل غير فعل البعض الآخر و أن يكون كل منها إلها لما فعله دون غيره وهذا يؤدي إلى تعدد الآلهة و كثرتها على ما يذهب إليه النصارى و هو أمر ظاهر البطلان ، فبطل بهذا كونه تعالى ذا أبعاضه مجتمعة مؤلفة .

أما الوجه الثالث : فهو أنه لو كان القديم سبحانه مجتمعا مؤلفا من أبعاض لجاز أن تتمانع هذه الأبعاض فيريد بعضها مثلا تحريك جسم ما في حال ما يريد الآخر تسكينه ومن تم لم تخل الأبعاض عند الخلاف و التمانع من أن يتم مرادها جميعا مع تضاده، فهو محال عقلا ، أو لا يتم مرادها جميعا، فيلحقها العجز فلا تكون إلها، أو يتم مراد البعض دون مراد البعض الآخر، فيلحق العجز بهذا البعض فيكون بعض الإله عاجزا، و بعضه غير عاجز و هو باطل عقلا وفي كل أحوال فإن هذه الأبعاض يلحقها سمات الحدوث .

يقول الباقلاني (و إن كانت سائر أبعاضه سالمة حية قادرة ... فكانت لا تخلو عند الخلاف والتمانع من أن يتم مرادها أو لا يتم بأسره) [2].

و نلاحظ هنا أن الباقلاني في الوجه الثالث يوظف فكرة دليل التمانع الذي استند عليه ويستند إليه المتكلمون في إثبات وحدانية الله يوظفها هنا لإثبات استحالة كونه تعالى جسما مؤلفا [3] .

فالأقانيم عند الباقلاني هي الصفات و يحصرها في العلم ، و الحياة و القدرة التي تنعكس عند النصارى في الأب ــ الإبن و روح القدس .

---

[1] التمهيد، ص 220 – 221.

[2] المرجع نفسه، ص 221– 222.

[3] حسني أبو سعدة، المنهج النقدي عند الباقلاني، ص 196.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الباقلاني [يثبت الباقلاني الصفات عموما و لا يقتصر على إثبات الصفات السبع و يقسم الصفات إلى صفات ذات وصفات فعل] [1]، فيقول الباقلاني [أفليس قد قلتم أنتم في صفات الباري سبحانه إنها ليست بموافقة له و لا مخالفة له ؟ فما أنكرتم أيضا أن يكون الجوهر غير موافق للأقانيم و لا مخالفة لها ؟ . يرد عليهم الباقلاني بأنه سألهم لأجل ــ قولكم إن الجوهر غيّر الأقانيم ، و نحن فلا نقول إنّ الله سبحانه غير صفاته فلا يلزم ما قلتم و على أننا لو قلنا ــ إنّ الله تعالى مخالف لصفاته في معناها . بمعنى أنّه يجوز عليه ما يستحيل عليها و أنّه يسدّ مسدّها و لا ينوب منابها لم يدخل علينا مثل ما لزمكم من كون المتفق بنفسه وكون جهة الاتفاق من جهة الاختلاف لأننا لا نزعم أنّ الله سبحانه موافق لصفاته في جهة من الجهات و أنتم تزعمون أنّ الجوهر موافق للأقانيم بالجوهرية فإنه موافق لها بنفسه ومخالف لها أيضا في القنومية بنفسه فشتّان بين قولنا و قولكم] [2].

أي الجوهر هو صفة لبعض الأقانيم دون غيرها و الله مغاير لصفاته بمعانيها لا بأسمائها، ويستطرد الباقلاني كلامه في أنه يرفض المراوغة و التناقض ، فمرة موافقة لها و مرة غير ذلك فإما بالاتفاق و إمّا بالاختلاف . و يستشهد على ذلك [و إن قالوا : أليس لا يقال إن يد الإنسان من الإنسان مخالفة له و لا موافقة له ، و كذلك الواحد من العشرة والآية من السورة فما أنكرتم من مثل ذلك في الجوهر و الأقانيم][3] ، أي استدلال تمثيلي .

ــ فالإنسان كلي و اليد جزء منه ، و العشرة : الواحد جزء منها لا مخالف لها كما زعم النصارى ، [و من المحال أن يكون الشيء مثل نفسه أو غيره أو خلاف نفسه و قولنا جوهر ليس بواقع عندكم على الجوهر و الأقانيم التي هي خواصه و لا من أسماء الجمل فسقط ما سألتم عنه] [4].

ــ و يتبيّن من ذلك أنه يثبت الصفات لله تعالى و لا يفرق بين الصفات العقلية و الصفات الخبرية ويستدل للصفات السبع و هي الحياة و العلم و القدرة و السمع و البصر و الكلام و الإرادة بأدلة نقلية و عقلية ففي التمهيد يقتصر على الأدلة العقلية] [5].

---

[1] عبد الرحمان بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ج2 ص 536.
[2] التمهيد، ص 105.
[3] المصدر نفسه، ص 106.
[4] المصدر نفسه، ص 106.
[5] عبد الرحمان بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ج2، ص 534.

يقول ابن تيمية عن الباقلاني استعمل الأدلّة جلّها عقلية في التمهيد و لم يقتصر عليها هي فحسب حسب قول شيخ الإسلام : [و زعم قوم منهم أنّ معنى الأقانيم و الخواص أنها أشخاص فيقال لها ، أهي أشخاص لأنفسها أم لجوهر يجمعها؟ فإن قالوا لأنفسها تركوا قولهم ، و إن قالوا الجوهر جامع لها أبطلوا التثليث] [1]، أي بمعنى أن الأب ــ الله شخص تعالى الله عن ذلك ، والابن شخص، و روح القدس شخص، فلكلّ منهم إرادته الخاصة وثم الاختلاف بينهم ، و إن قالوا الجوهر جامع لها أي بمعنى كونهم فردا واحدا لا ثلاثة بطل التثليث الذي يزعمونه . فإذا انفرد كل منهم بجوهره ثم الخلاف ، أما إذا انفرد الأب بجوهره و روح القدس و الابن لها جوهر واحد ، [فلم كان الابن والروح بأن يكونا ابنا و روحا خاصين للأب أولى من أن يكون كل واحد منهما أبا][2] أي لم تفضّلون الابن والأب عن الابن و الروح القدس و تجعلوهما خاصين له ؟ . فكما هو قديم لنفسه هما كذلك كانا قديمين لنفسيهما و لم يكن بذلك الأب قبل الأقانيم و الخواص و لا أسبق في الوجود منه فلماذا يفصل عليهما و منه لا جواب للنصارى في هذا القول سبيلا . هكذا يرد عليهم الباقلاني و يدخل في مسألة الاتحاد بدءا في ما معناه أولا إذا لضرورة العلمية تقتضي قبل الخوض في مسألة.

يحلل فقرة الباقلاني أبو سعدة فيقول :

[إنه ليس هناك دليل على قصر هذه الأقانيم على ثلاثة هي كما قالوا : الوجود، العلم والحياة، وأنها جميعا جوهر واحد إذ ما المانع من أن تكون هذه الأقانيم أربعة و عشرة وأكثر من ذلك ، أليس الله قديما، مريدا، قادرا أزليا سميعا بصيرا، فاعلا، باقيا فلم لا تعدد الأقانيم لكل هذه الأمور ؟ فإن قالوا إن الأقنومية إنما تثبت للباري بصفة ترجع إلى نفسه لا تعلق لها بغيره و هي كونه موجودا جوهرا عالما حيا، ترجع كلها إلى نفسه، قلنا وكذلك كونه قديما مريدا أزليا باقيا. ترجع كلها إلى نفسه و ذاته . فوجب ذلك تعدد الأقانيم أكثر من ثلاثة] [3].

مسألة ما و قبل الخوض فيها لابد من بيان معناها عند المحاور و المحاور، فالجواب عنها لابد للإنسان من أن يخوض في معناها و الجواب عنها حسب مفهوم الخصم لا حسب مفهومه هو وهذا من كمال و رجاحة عقل الباقلاني فكذلك فعل و هذا ما سنتطرق إليه في المطلب القادم.

---

[1] التمهيد، ص 106 – 107.

[2] المصدر نفسه، ص 107.

[3] حسني أبو سعدة، المنهج النقدي عند الباقلاني، (رسالة ماجيستير) ص 34.

ثالثا: السبر و التقسيم:

و هو القسم الثالث من أقسام القياس الذي يسمى بالشرطي المنفصل .

وهو أن تجعل المبتدأ ملزوم أحد خبرين، أو أخبار تحصرها، ليتعين واحد من ذلك المجموع عند النفي لما عاداه كما نقول زيد إما في الدار أو في السوق أو في المسجد لكنه ليس في السوق و لا في المسجد، فإذا هو في الدار و هذا النوع متى صح حصره وصدق نفيه أفاد اليقين.[1]

[وهو أن يبحث الناظر عن معان مجتمعة في الأصل و يتبعها واحدا ، و يبيّن خروج أحادها عن صلاح التعليل به إلا واحدا يراه، و يرضاه] [2]. ذلك أن تجعل المبتدأ ملزوم أحد خبرين أو أخبار تحصرها ليتعين واحد من ذلك المجموع عند النفي لما عداه. مثاله زيد إما في الدار أو السوق أو في المسجد.[3]

و من اسمه نستشف أن هناك خطوتين لهذا النوع من القياس ألا و هي السبر و الحصر، ثم التقسيم، و إبطال ما لم يصلح للاستدلال أو التماثل .

فالحصر و التقسيم من الطرق الجدلية و الاستدلالية للعلماء المسلمين في القرون الأولى للإسلام إلى القرن الرابع لكن مع ظهور القرن الخامس و السادس لاقت من النقد ما لاقته خاصة من قبل الإمام الغزالي في كتابه القسطاس المستقيم][4] ، و نبه على عيوبها ، وأبرز أمرين : أولهما قيامها على أساس من السبر لتحديد الأقسام المحتملة ، و اعتبرها أن فساد سائر الأقسام إلا واحدا يكفي لبيان أنه الحقيقة الثابتة، ثم يوجه الأخطار التي تكتنف ذلك المبدأ، و ترجع إلى صعوبة حصر الأقسام على جهة الاستقصاء، فضلا عن أن ذلك، مما لا يهتم به المتكلمون الفقهاء و الأمر الآخر لا يلزم من إبطال ثلاثة، ثبوت رابع بل التركيب الذي يحصل من أربعة تزيد على عشرة وعشرين ، كما أن الأحكام تتوقف عادة على وجود أسباب و شروط كثيرة .

و يبدو أن الغزالي قد حرص بسبب إدراكه لعيوب القسمة المنتشرة على أن يقتصر في كتابه الاقتصاد على القسمة المنحصرة بين النفي و الإثبات فقط .

و قد سبقه شيخه الجويني في نقد القسمة المنتشرة و قبول المنحصرة و من قبلها عبد الجبار الذي إنتقد طريقة القسمة المنتشرة ، لأن القسمة إذا لم تتردد بين النفي و الإثبات احتملت الزيادة و كان للخصم أن يطعن فيها .

---

[1] السكاكي مفتاح العلوم، ص 504.

[2] علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام،(لبنان بيروت، دار النهضة العربية،1984م) ص114.

[3] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 504.

[4] حسين الشافعي، الإمدي و آراؤه الكلامية، ص 158 .

إن القسمة العقلية ليست هي المظهر الوحيد للتعقيد والتشقيق الاحتمالي ، الذي يقسم به الجدل ، بل هناك أيضا أسلوب (التسليم الجدلي) ترقيا في المجادلة ، أو تنزلا من موقف ، و إلحاقا لحجة غير حاسمة بأخرى تبدو في نظر المجادل أكثر حسما و هو أسلوب يزخر بالمداورات والقفزات العقلية التي تبدو استعراضية في أكثر الأحوال و يبدو ذلك في كتب الكلام المتأخرة .

المطلب الثالث : الإلـزام

استعمل الإمام الباقلاني هذا المنهج في الرد على الخصوم حيث ألزمه بالاعتراف بخطأ نهجه في الاعتقاد، و استخدمه في غير موضع للتدليل على صفة الوحدانية لله تعالى .

[بل له الزامات في المسائل الاجتهادية الفرعية يعزى فيها على ما تعود من العنف في المسائل سالاعتقادية] [1] . أي ألزم القاضي المتكلمين بالتسليم بوحدانية الله تعالى عن طريق إبطال استدلالهم بنظرية قياس الغائب على الشاهد، علي سامي النشار [فقياس العكس، بتحقيق الملزوم، أو قياس العكس، فانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم، و قد عده البعض من الطرق المثبتة للعلة][2] و هي من أوائل الطرق الاستدلالية عند مفكري الإسلام و استعمله الباقلاني بصيغة " فيجب أن يكون " وكذلك (و لا جواب لهم) أي ملزوم عليهم التسليم بما يقتضيه منطق العقل و الضمير.

استعمله الباقلاني في نفي كون الله جوهرا أو عرضا : [ثمّ يقال لهم : أفليس قد اتفقنا على أنه لا موجود معلوم في الشاهد و المعقول إلا محدث موجود عن عدم ؟ ، فإذا قالوا أجل، قيل لهم : فيجب أن يكون صانع العالم ، جل ذكره، موجودا محدثا قياسا على الشاهد فإن مروا على ذلك تركوا مذهبهم، و إن أبوه نقضوا دليلهم] [3].

يترتب على النصارى إلزامات نتيجة القول بقياس الغائب على الشاهد، يريد أن الأوصاف التي وصفوا بها الله تعالى كونه محدثا، و تعتريه الأعراض فهو موجود فعلا وليس بجوهر ولا كالموجودات في الشاهد] [4]، ثم يقال على سائر أدلتهم أنها خاطئة عند تطبيق هذا المنهج في تمحيص أخبارهم عن الله تعالى .

---

[1] أبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب إعتقاده و لا يجوز الجهل به، (مقدمة الكوثري) ص 7.

[2] علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص 137 .

[3] التمهيد، ص 96 .

[4] الدليل عند الفلاسفة : هو الذي يلزم من العلم به علم بشيء آخر و غايته أن يتواصل بعقل إلى التصديق اليقيني بما كان يشك في صحته و قد يكون الدليل قياسا أو برهانا. سعد الدين التفتزاني، شرح المقاصد، ت ــ محمد عميرة ــ ص 280 .

فالله جل جلاله ليس بجسم كذلك يريد استخدام منهج الإلزام في إثبات أن الله قائم بنفسه لا بغيره وواحد لا متعدد، و منها كون الجوهر غير مركب [فما أنكرتم أن يكون كل الجواهر المشاهدة متغيّرة ومركبة مفتقرة إلى من يركبها و الله لا يجوز عليه ذلك فبطل أن يكون الله جسم . فعندما أنكروا الجسمية و يقولون بأنه جوهر يريد الباقلاني أن يلزمهم بأن علة إنكارهم للجسمية هي نفس العلة الموجودة في الجواهر فبطل قولهم بالجوهر أيضا و هذا يناقض عقيدتهم.)

وللتدليل على نفي صفة الجوهرية لله تعالى يقول: [الجواهر ضربان : شريف و خسيس، فالخسيس هو القابل منها للأعراض، الذي يتميز و يشغل المكان ، و الشريف هو ما لا يجوز ذلك عليه منها فوجب أن يكون غير متميز و لا قابل للأعراض، قيل لهم] ما أنكرتم أن الأجسام على ضربين].[1]جسم خسيس وهو المتميّز القابل لصورة والتأليف والحوادث، و ضرب شريف لا يقبل شيئا من ذلك و لا يجوز عليه و القديم سبحانه شريف فوجب أنه جسم ليس بذي صورة ولا مكان و لا قابلا للأعراض و لا جواب لهم عن شيء من ذلك] [2].

فمنهج الإلزام كان عن جملة ردوده عن الجوهر و العرض يأتي للحديث عن الأقانيم بنفس المنطق أي قياس الإلزام في ، ردوده على الأقانيم بدءا بما يلي : [أقنومين ، على حدّ قولهم (أي النصارى)، إنما تثبت للباري بصفة ترجع إلى نفسه لا تعلق لها بغيره و هي كونه موجودا و جوهرا يرجع إلى نفسه و كونه حيا يرجع إليه و لا تعلق له بغيره و كونه عالما بنفسه صفة يرجع بها إلى نفسه، و إنما له أقنوم ، بكونه عالما بنفسه لا بغيره ، قيل لهم : و كذلك هو قديم بنفسه و ليس كل موجود جوهرا قديما بنفسه ؟ فوجب أن يكون كونه قديما أقنوما* رابعا ، وكذلك كونه باقيا صفة هو شيء موجود بنفسه وجوهر بنفسه فيجب كونه شيئا موجودا أقنوما ، و كونه جوهرا أقنوما لأنه ليس كل موجود جوهر، يرجع إلى نفسه لا تعلق له بغيره، و ليس كل موجود باقيا، فيجب أن يكون كونه باقيا أقنوما خامسا، و لا جواب لهم عن ذلك، و فيه ترك التثليث] [1].فانتفاء التعدد والوحدانية بانتفاء التثليث إلزاما.

---

[1] التمهيد، ص 96 – 97.

[2] المصدر نفسه، ص 97.

* الأقانيم ج أقنوم و هو شخص أمّا إصطلاحا Hipostase أي الجوهر أي ما يجعل الإنسان أن يكون ما هو ــ هذا في عقيدة النصارى ، إنّ الله واحد في ثلاثة أقانيم أو أشخاص و نقول إنّ يسوع المسيح أقنوم واحد . أو شخص واحد في لاهوته أو ناسوته) صبحي حموي اليسوعي و خان كوريون، في معجم الإيمان المسيحي، (ط1 دار المشرق بيروت لبنان 1994) ص55–56. و للزيادة أنظر الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية، 158 . فالأقانيم عند النصارى تنقسم إلى ثلاثة : الأقنوم هو الصفة عندهم و يزعمون الأب و الإبن والروح القدس ثلاثة أقانيم الله تبارك و تعالى عما يصفون. الخوارزمي، مفاتيح العلوم (387ه) ص 52.

يواصل الباقلاني تطبيق منهجه بوضع الفرضيات للنصارى لأقانيمهم في قوله :

و في حالة جواز إنّ الرابع مع الثلاثة قلنا لهم لم أنكرتم أن يكون الروح و العلم مع الإله الموجود واحد فقط ، و أن يكون أقنوما واحدا و لا يكون الثاني و الثالث شيئا يزيد على الواحد كعالم يكن الرابع شيئا يزيد على الثالث فتكون الثلاثة الأقانيم هي جوهر واحد كما كانت الأربعة الجواهر ثلاثة ، و منه إلزام النصارى بترك التثليث إذا جاريناهم في معتقدهم في القدرة و العلم و الحياة ، والجوهر، و يكون التعدد أكثر من ثلاثة و منه ترك التثليث .

فالنصارى تجعل من معنى القنومية شاملة للجوهرية، و لا تختلف كونها متعددة في ثلاثة أقانيم، أي معدودة و لم تكن له خواص متباينة من حيث هي معدودة و من حيث هي أقانيم.

و كذا من حيث أن الابن منها تدرع و اتحد بجسد المسيح عليه السلام ــ دون الروح ــ إذا فالجواهر متحدة في نفس الجوهر معدودة متباينة متحدة بناسوت المسيح عليه السلام يجب أن يكون نفس الجوهر الذي ليس بمعدود و لا مختلف المتعدون المتحد، و ليس ذلك من قولهم في الجوهر، و لا خلاص لهم منه، فإذا كان الجوهر إلها و الجوهر غير الأقانيم، قيل لهم لذا كان إلها والأقانيم ثلاثة آلهة ، و الجوهر غيره فتصبح إذا أربعة جوهر + 3 أقانيم = 4 و منه إلزام ترك التثليث إلى العدد أربعة .

و إذا سلمت النصارى أن الجوهر يزيد و يعدم فوجوده كعدمه و باقي الأقانيم ثابتة لا تتغير فيكون ذلك جهل على حد تعبير الباقلاني [2] ، و يعتبرها الباقلاني من أوجه البديع وهو ضرب من الاستعارة، سماه "ابن قدامه" وهو العكس من الأرداف مبني على الإسهاب و البسط وهو مبني على الاستعارة و الجمع على أن المماثلة غير التمثيل .

الأب : إنّ الأب في الحقيقة هو الله : أحبوا أعدائكم ، باركوا أغنيائكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ، و يطردونكم ، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، إنجيل متى 44 . فأبوك الذي يرى من الخلفاء هو يجازيك علانية) متى 46 .

الابن : المسيح هو الكلمة الله ، الذي اتخذ جسدا و يستدل النصارى على ذلك بإنجيل متى : يقول إبليس للمسيح و هو في دور التجربة معه . إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا ، ثم قال له مرة أخرى و إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل. عبد الكريم الخطيب، المسيح في القرآن و التوراة والإنجيل و العلم، ص323 .

كذلك يستشهد النصارى على الأب بإنجيل متى الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الأب الحال في هو يعمل الأعمال ..... صدقوني أني في الأب و الأب فيّ) متى 15/11/10 .

روح القدس : و قد جعلت المسيحية من هذا المسمى أقنوما ثالثا من الأقانيم التي تصورت فيها لذات الإلهية ففي إنجيل متى يقول " لما كانت أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا و جدت جبلي من الروح القدس ثم نجد ملاك الرب يجيء إلى يوسف في حلم و يقول له : يا يوسف بن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل فيها هو من الروح القدس) إنجيل متى 20/1 . للزيادة أنظر عبد الكريم الخطيب، المسيح في القرآن و التوراة و العلم، ص 223 .

[1] المصدر نفسه، ص 100.

[2] التمهيد، ص 101 بتصرف.

المطلب الرابع : التمثيل أو (قياس الغائب على الشاهد)

التمثيل يعرفه المتكلمون برد الغائب على الشاهد و معناه أن يوجد حكم جزئي معين واحد، فينتقل كمه إلى جزئي آخر يشابهه بوجه ما، الاستدلال بالجزئي على الجزئي، أي بحالة على حالة)[1].

كما يعرفه الإمام أبو زهرة : (أن يقبل المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو على أمر بديهي لا تنكره العقول، و تقربه الإفهام و يبيّن الجهة الجامعة بينهما)[2] وهو عند علماء اللغة نوع من أنواع التشبيه *.

أما علماء البلاغة فيعرفوه بأنه (هو تعدية الحكم عن جزئي إلى آخر لمشابهة بينهما و أنه أيضا مما لا يفيد اليقين إلا إذا علم بالقطع أن وجه الشبه هو علة الحكم، و لكن تسكب فيه العبرات.[3]

و هذا النوع من الاستدلال كان شائعا عند علماء الكلام عصر الباقلاني و ما قبله، و حتى ممن جاء بعده فاستعمله الجويني و ابن فورك، و الإمام الآمدي الذي جاء بعد الإمام الباقلاني بحوالي قرن فتوارثه الأجيال للرد عن الخصوم في الفكر و المنهج و العقيدة .

فالباقلاني يرفض استعمال النصارى لهذا النوع من الاستدلال للتدليل على وجود الله أو على صفاته من خلال الحكم على الغائب بمجرد الشاهد، فالله تعالى لا نحكمه على المشاهدات أي رفض التمثيل مثل هذه المواقف و يعرفه قائلا [و منها أن يجب الحكم و الوصف للشيء في الشاهد لعلة ما فيجب القضاء على أن من وصف بتلك الصفة في الغائب فحكمه في أنّه مستحق لها لتلك العلة حكم مستحقها في الشاهد لأنه يستحيل قيام دليل على مستحق الوصف بتلك الصفة مع عدم ما يوجبها ، و ذلك كعلمنا أن الجسم إنما كان جسما لتأليفه وأن العالم إنما كان عالما لوجود علمه، فوجب القضاء بإثبات علم كل من وصف بأنه عالم و تأليف كل من وصف بأنه جسم أو مجتمع لأن الحكم العقلي المستحق العلة لا يجوز أن يستحق مع عدمها و لا لوجود شيء يخالفها لأن ذلك يخرجها عن أن تكون علة للحكم] [4] عند التصور البشري .

---

[1] محمد التومي، الجدل في القرآن، ص 255.

[2] محمد أبو زهرة، المعجزة كبرى، ص 344.

* فالتشبيه خمسة أنواع : مرسل، مؤكد، بليغ، تمثيل ومقلوب. محمد علي سراج ، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، راجعه خير الدين شمسي باشا، ص 172.

[3] أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم،ص504.

[4] التمهيد، ص 226.

و يعبر عنه الزركشي بأن المثل يستعمل لإخراج ما لا يعلم ببديهة العقل، إلى ما يعلم بالبديهة وما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة، و ما لا قوة له من صفة إلى ما له قوة ، كما أن فخر الرازي يجعله من الأدلة المؤثرة كثيرا في النفس كتأثير الدليل [1] .

أما الإمام التفتزاني فيرى بأن هناك فرقا بين قياس التمثيل و الاستقراء ذلك أن قياس التمثيل ينقل الحكم من علاقة معلومة إلى علاقة متشابهة لها من جهة و مختلفة عنها من جهة أخرى، على حين أن الاستقراء ينقل الحكم من المثل إلى المثل[2].

و الباقلاني في استخدامه لهذا المنهج حذا حذو شيخه أبي الحسن إذ يعتمد عليه في " اللمع" على هذه الدلالة في إثبات صفة العلم متمسكا بأن كل عالم فهو علم ، و في هذا قياس الغائب على الشاهد بجامع العلة و لكنه يرفضها في أفعال الله تعالى ، إذ يرد على المعتزلة قولهم " إن فاعل السفه سفيه " فالباقلاني يشبه شيخه تماما، إذ يعتمد على هذه الدلالة و خاصة إذا كان الجامع بين الشاهد والغائب العلة أو الدليل ، و لكنه يقول في ردّه على المجسمة الذين يقولون " لا نجد في الشاهد فاعلا إلاّ جسما) [3].

فيجب على موضوع استدلالكم هذا أن يكون القديم سبحانه مؤلفا محدثا مصوّرا ذا حيّز وقبول للأعراض، لأنكم لم تجدوا في الشاهد و تعقلوا فاعلا إلا كذلك، فإن مروا على ذلك تركوا قولهم و فارقوا التوحيد، و إن أبوه نقضوا استدلالهم) [4] ولكن هذا الإلزام القوي يمكن أن ينقلب على الأشاعرة و كل من يأخذ هذا القياس.

و هناك فرق بين قياس التمثيل و الاستقراء ذلك أن قياس التمثيل ينقل الحكم من علاقة معلومة إلى علاقة متشابهة لها من جهة و مختلفة عنها من جهة أخرى ، على حين أن الاستقراء ينقل الحكم من المثل إلى المثل[5] .

الله يضرب المثل للناس فيقول [إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون]سورة الآية وليست الكلمة*، أو الروح، في الآية، تعبيرا عن الجزء الإلهي، و الحقيقة الإلهية، لأنّ طبيعة الله لا تتجزأ فهي بسيطة كلّ البساطة، و لا يمكن أن تنتقل من مكان إلى آخر. بل المراد بهما، مظهر قدرة الله و سرّ إبداعه.

---

[1] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص 344.

[2] سعد الدين التفتزاني، ت- عبد الرحمان عميرة، ج1،ص 276 .

[3] التمهيد، ص 152 .

[4] حسن الشافعي، الأمدي و اراؤه الكلامية، ص 146 .

[5] سعد الدين التفتزاني –ت –عبد الرحمن عميره، ج1، ص 276 .

* الكلمة: لا تكاد تكون في نصوص الثوراة أي العهد القديم أما العهد الجديد فعلى كثرتها في سفر التكوين [و نطق بالبركة يعقوب بدلا من عيسوا البكر لم توجد هناك قوة نستطيع أن تستطرد البلركة ولم يبقي للبكر سوى اللعنة. لقد

و في مسألة أخرى يتساءل الباقلاني عن كون الله تعالى ليس بجسم لأنه لم يثبت للشاهد ولا للعقول إلاّ ما هو مشاهد. فليس بضرورة كونه تعالى كذلك فيقول : (و يقال لهم : ما الدليل على أن الصانع صانع العالم جسم ؟) فإن قالوا : (لأننا لم نجد في الشاهد والمعقول فاعلا إلا جسما فوجب القضاء بذلك على الغائب) .

قيل لهم : (فيجب على موضوع استدلالكم هذا أن يكون القديم سبحانه مؤلفا محدثا مصورا ذا حيز و قبول للأعراض لأنكم لم تجدوا في شاهد و تعقلوا فاعلا إلا كذلك، فإن مروا على ذلك تركوا قولهم و فارقوا التوحيد و أن أبوه، نقضوا استدلالهم) [1].

كما يرجع الباقلاني إلى استعمال القياس بنبوة موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه وسلم وإبطال كلام الخصوم على هذا النحو في الذات العليا و لتشبيه الغائب غير المحسوس بما يقرّبه من القريب المحسوس. و لتوضيح المعاني الكلية بالمشاهد الجزئية و للاستدلال بحال الحاضر على الغائب) [2].

فهذا المنهج استمد جذوره من المنطق* الأرسطي الذي كان له الأثر في فكر الباقلاني وقدرته على المحاجة بمنهج الخصم نفسه فيقول لويس غرديه في كتابه (لم يتخل العلماء على القياس التمثيلي و لكن المنطق الأرسطي أتخذ) [3].

رغم كون بعض المؤلفين ينفون ذلك كعبد الرحمان بدوي الذي يقول :والغريب أننا لا نراه يستعمل إصطلاحات أهل المنطق ،بل نجد كلامه هاهنا شبيها بما يرد في كتب أصول الفقه، ولا نعثر أبدا على أي تأثر بمنطق أرسطو: سواء في نصه و في عروض الفارابي و غيره من المشتغلين بالفلسفة، مما يدل دلالة قاطعة على قلة بضاعته إن لم يكن جهله التام بالفلسفة الأرسطية بخاصة و الفلسفة اليونانية بعامة.[4]

خرجت الكلمة من فيه لتعمل عملها حسف زعمهم، و لا تستطيع قوة على الأرض أن توقفها سفلر التكوين اللإصحاح 27 الفقرة3- و في سفر المزامير بكلمة الرب صنعت السموات] [أرسل كلمته فسقاهم و نجاهم من تهلكتهم] [يرسل كلمته إلى الأرض مزمور 23-07 و جاء في إنجيل يوحنا في البدء كان الكلمة و الكلمة كان عند الله كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فالكلمة عند النصارى ليست واحدة من كلمات الله التي خاطب بها أنبياؤه وليست كلمة "كن" كما جاءت في نصوص القرآن الكريم و التي خلق بها المخلوقات إنما هي كلمة خاصة تعني فكر الله أو إبن الله أنظر عبد الفتاح أحمد الفاوي، المسيحية بين النقل و العقل، (مضر،القاهرة ،دار العلوم،ط2، 1991م) ص 66.

[1] التمهيد، ص 226.

[2] الجويني ، أصول الفقه،بتصرف ص121

* المنطق : هو العلم الباحث في المبادئ العامة للتفكير الصحيح و موضوعه البحث في خواص الأحكام ، لا بوصفها ظواهر نفسية ، بل من حيث دلالتها على معارفنا و معتقداتنا . مادة منطق عبد الرحمن بدوي،الموسوعة الفلسفية، ص 474 .

[3] لويس غارديه، ص 96.

[4] عبد الرحمان بدوي، مذاهب الإسلاميين، ،ج2، ص 598.

فالمنطق الأرسطي جاء أعقاب الفلسفة الأفلاطونية ومنه المسيحيين نهلوا منها وجعلوها مسيحية جديدة [1] هذا عن المسيحيين أمّا عند المسلمين فتدخل في مناهج علماء الأصول فيعرفون التمثيل بأنه التصوير و التشبيه، والفرق بينهما أن كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل.

و قياس التمثيل هو:

[الحكم على شيء معين لوجود ذلك الحكم في شيء آخر معين أو أشياء أخرى معينة، على أن ذلك الحكم على معنى المتشابه فيه] [2]. و له أصول لتنطبق على الحكم هي : العلة ــ الدليل ــ الشرط .

فابتدأ النصارى إلقاء صفة الجوهرية لله و نفي العرض عنه كونه لا تقع عليه الحوادث بل تصدر منه في قولهم [الدليل على ذلك أنا وجدنا الأشياء كلها على ضربين فضرب يصيح منها الأفعال وهو الجوهر و ضرب تتعدل و تمتنع منه الأفعال و هو العرض فلما ثبت أن القديم فاعل و ممن تأتي منه الأفعال ثبت أنه جوهر، أو قالوا الدليل على ذلك أنا وجدنا الأشياء على ضربين : شريف و هو الجوهر القائم بنفسه المستغني في الوجود غيره وخسيس قائم بغيره و محتاج إليه و هو العرض، فلما لم يجز أن يكون القديم من قبيل الخسيس ثبت أنه شريف و أنه قائم بنفسه .

فيقال لهم : لم زعمتم أولا أنكم، إذا لم تجدوا الأشياء في الشاهد إلا على ما وصفتهم وجب القضاء على الغائب بمجرد الشاهد و أن الموجود في الغائب لا ينفك من أصناف الموجودات في الشاهد، وما حجتكم على ذلك ؟ فإن الخلاف في جهة استدلالكم أعظم، والغلط و الخطأ فيه أفحش [3] .

فالأمر الخارج عن نطاق البشر و الذي لا يمكن مشاهدته أي القدرة البشرية لا تحتويه ولا يمكن الحكم عليه بما يمكن لنا أن تراه . و استعمل الباقلاني هذا.

المطلب الخامس :الاستدلال بالمماثلة :

الأمثال جمع مثل : بالفتح و الكسر .

ومثيل: و هو من المثول بمعنى الانتصاب و التصور و منه قوله تعالى: [فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝] [4]

---

[1] المرجع نفسه، ص 83 بتصرف.
[2] سعد الدين تفتزاني، شرح المقاصد، ج1، ص 276.
[3] التمهيد، ص 95 – 96.
[4] سورة مريم، الآية 17.

وقعت استعارته لكل حال، أو صفة ، أو قصة يكتنفها شيء من الغرابة) [1].

و بطلان الدليل حتما يؤدي إلى بطلان المدلول هو من الطرق الاستدلالية ، أما عن تاريخ ظهور هذا الدليل في الوسط الكلامي و موقف المتكلمين منه ، ذكر ابن خلدون أنه من وضع القاضي أبي بكر [الباقلاني، و أنه يقصد أنه أول من نقلها إلى علم الكلام أو إلى الكلام الأشعري خاصة] .

و قد نسب الآمدي إلى القاضي الباقلاني و إمام الحرمين الجويني للاعتماد على هذا الدليل في محاولتهما إثبات جواز الرؤية بأنه لا دليل على استحالتها] [2].

و قد لقي الإمام الباقلاني الصدى و النقد الشديدين عند استعماله لهذا الدليل للاستدلال على الجوهر و الفرد أو الدلالة على العقيدة خاصة من قبل إبن حزم، ابن رشد، و ابن تيمية للتدليل على العقيدة لكن استعمله الكثير منهم فيما بعد الجويني و الغزالي والقاضي عبد الجبار الذي استحلاه في غير موضع و كذلك الرازي .

فالمفاهيم العديدة التي صنفها في الفصل الأول من كتاب التمهيد بعدما عرّف العلم و أقسامه [فيبطل الدليل أحد القسمين فيقضي العقل على صحة ضد و كذلك إن أفسد باستحالة خروج الشيء عن القدم و الحدث فمتى قام الدليل على حدثه بطل قدمه و لو قام على قدمه لأفسد حدثه][3]. أي بمعنى بطلان الدليل يؤدي إلى بطلان مدلوله و العقل البشري هو الفاصل في هذا .

و استعمل الباقلاني هذا النوع من المنهج في غير موضع في الاستدلال على بطلان آراء النصارى و منها :

أ – رده على الأقانيم: يقول [زعم قوم منهم أنّ معنى الأقانيم التي هي الخواص أنها صفات للجوهر فيقال لهم إذا استحال أن تكون الأقانيم، و خواص لأنفسها، و إنما تكون صفات و أقانيم لشيء آخر هو غيرها و لا يقال إنه هي ، فهذا يوجب إثبات أربعة معان منها جوهر و ثلاثة خواص له و هذا ترك التثليث و إن قالوا هي خواص لأنفسها و أقانيم لأنفسها، قيل لهم : فيجب أن يكون الابن ابن نفسه، و الروح روح نفسه و الصفة صفة نفسها و هذا جهل عظيم و يجب بطلان ما هي خواص له و نفيه إلا أن يكون هناك مخصوصا بهذه الخواص و هذا إبطال الجوهر] [4].

أي العلة التي هي شرط القياس لم تتبع معلولها و منها إبطال دليل النصارى .

---

[1] محمد مخلوفي، الباقلاني و كتابه إعجاز القرآن (رسالة دكتورا ه) ص 151.
[2] حسن الشافعي، الآمدي و أراؤه الكلامية، ص152.
[3] التمهيد، ص32.
[4] المصدر، ص106.

الرد على الملكية :

في كل مرة يرد الباقلاني على الفرق المسيحية* المثلثة لإثبات الوحدانية ونفي العرض والجوهرية و الأقنومية عن الله تعالى رغم ما لها من اختلافات فهنا يرد على الملكية فإن كانت الأقانيم غير موافقة لبعضها في الجوهر و القنومية مخالفة لها . فمعنى الجوهرية إذا بمعنى القنومية و يشكل بذلك في قوله [فإن قالوا جهة الإختلاف بينهما و هي القنومية من جهة الاتفاق و هي الجوهرية ، قيل لهم ، فيجب أن يكون هناك خلاف ثابت بين الجوهر و الأقانيم في القنومية و أن يكون ذلك الخلاف لا يعدوا أن يكون جوهرا أو عرضا وإلا وجب أن يوافقها بنفسه في الجوهرية و يخالفها بنفسه في القنومية، و إن جاز ذلك جاز أن يكون وفاق لشيئين وهو خلافهما و أن يكون قدمه هو حدوثه و أن يكون قديما محدثا لنفسه، و في فساد ذلك دليل على بطلان ما قالوا] [1]. أي ببطلان دليلهم على الجوهرية و القنومية يؤدي إلى بطلان جوهرية الأقانيم جميعها وبطلان القنومية التي تمثلهم جميعا و هذا ليس في رأي الملكانيين .

---

* المسيح : عند المسيحيين سمي ربنا له المجد ، المسيح لأنه مفرز و مكرس للخدمة و الفداء وعد بمجيئه حالا بعد السقوط سفر التكوين 3/15/ص860 . قاموس الكتاب المقدس في ص865 – إن حياة يسوع من طفولته إلى شبابه كانت شبيهة بحياة الإنسان العادي ما خلا أنها كانت كاملة ففيه تحقق منال الإنسان الكامل الذي أراده الله أن يكون مثالا للبشر في كل مراحل حياتهم. عبد الكريم الخطيب، المسيح بين التوراة و الإنجيل و القرآن، ص 865 .

[1] التمهيد، ص104-105.

المبحث الثالث: الاستدلال بالمنطق

تعريف المنطق : هو العلم الباحث في المبادئ العامة للتفكير الصحيح و موضوعه البحث في خواص الأحكام ، لا بوصفها ظواهر نفسية ، بل من حيث دلالتها على معارفنا ومعتقداتنا [1]

فينقسم المنطق إلى: استدلال و استنباط، كما أن هناك تقسيم آخر للمنطق إلى صوري ومادي [والأول هو منطق التفكير بوجه عام، و الثاني هو قواعد التفكير في العلوم الجزئية ، لكن لما كان المقصود ليس هو المادة العيشية بل الشروط العامة للتفكير فإن هذا المنطق المادي يسمى علم المناهج لأنه يتناول المناهج العلمية الرئيسية المستخدمة في العلوم المختلفة هي :

استدلال رياضي ــ استقراء ــ منهج تاريخي جدلي .

و هناك تقسيم آخر للمعاصرين : منطق استقرائي ــ استدلال رياضي ــ و علم المعاني[2].

ومن خلال كتاب الباقلاني الذي استعمل فيه كثير من المنطق سواء بتقسيمه القديم أو الجديد وارتأت الخطة إلى تقسيمه إلى : **أ** ــ منطق الصورة و الشكل ، **ب** ــ الأسلوب ، **ج** ــ الحقيقة و اليقين .

المطلب الأول : منطق الصورة و الشكل :

لقد استعمل الباقلاني هذا الشكل من المنطق في قصة خلق عيسى عليه السلام من مريم واتحادها بروح القدس و الأب دونها ، فيقول : [خبرونا كيف ولدت مريم الابن دون الأب وروح القدس . و هو غير مباين لهما و لا منفصل عنهما فيكون المتحد بالجسد حملا في بطن مريم و الأب و الروح و الجوهر الجامع للأقانيم لا في بطن مريم] [3].

فهذا لا يعقل منطقيا لا في الصورة و لا الشكل و قد استعمل الله سبحانه و تعالى هذا المنهج وهذا ما نراه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝﴾ [4]

فهذه من أنجح الأساليب التي استعملها القرآن في غير موضع للتدليل على إنسانية عيسى عليه السلام .

---

[1] عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ص 474 .

[2] المرجع نفسه، ص 475

[3] التمهيد، ص112.

[4] سورة ال عمران، الآية 59.

و من الواضح أنّ هناك حذفا في إحدى المقدمات في القياس بين خلق آدم و خلق عيسى عليهما السلام و أنّه إذا كان الخلق من غير أب مبررا لاتخاذ عيسى إلها فأولى أن يكون الخلق من غير أب و لا أم مبررا لاتخاذ آدم إلها ، و لا أحد يقول ذلك ، و إننا نجد أنه قد حذفت مقدمة وبقيت واحدة و أن سياق الدليل [و من هنا نرى أن القرآن الكريم عندما يحذف إحدى المقدمات فإن ذلك تنبيها للعقل كي يشارك في بناء القياس معتمدا على الواقع و النظر العقلي كي تأتي النتيجة أكثر إقناعا للمخاطب فهو لم يثر القصة إلا لعمله أن للعقل لو خلا ليفكر فيها سيصل إلى الحكم الصحيح[1].

المطلب الثاني: المنطق اليوناني : يفتتح الباقلاني في رده على الاتحاد عن معناه إلى أن النصارى يختلفون في معنى الاتحاد إلى : [الاتحاد أن الكلمة التي هي الابن حلت جسد المسيح عليه السلام] و قالت طائفة أخرى و هم اليعاقبة إن الاتحاد هو اختلاط و امتزاج ، وزعمت اليعقوبية و النسطورية أن اتحاد الكلمة بالناسوت اختلاط و امتزاج كاختلاط الماء وامتزاجه بالخمر واللبن إذا صب فيهما ومزج بهما ، و زعم قوم منهم أنّ معنى آحاد الكلمة بالناسوت الذي هو الجسد هو اتحادها له هيكلا و محلا و تدبيرها الشياء عليه وظهورها فيه دون غيره][2].

فالباقلاني هنا بدأ بتعريف الإتحاد عنهم و عند فرقهم و لم يرد على النصارى من زاوية المنطق بمن قالوا الحلول أو بما جعلوه شيئا معنويا فقط ، و هناك فرقة أخرى جعلت الحلول بلا مماسة و لا ممازجة ، كما أن العقل جوهر حال في النفس لأنها ليست مماس لها .

كما أن الملكانية بأرض الروم تعرف بأن الاتحاد هو حقيقة كان فصار الواحد اثنين والاثنان كانا شيئا واحدا.

فيبدأ في الرد على القائلين بأن الاتحاد الذي صار في الجسد كحلول الصورة في المرآة بأن هناك لا مجال للتشبيه .

فوجه الاستدلال هنا هو تتبع التشبيه والتعريف المنطقي للاتحاد للوصول إلى نفيه عقلا ومنطقا كما ينفى الشيء.

كل هذه الاستدلالات على الحلول و الممازجة و المخالطة و تشبيهه بالصورة في المرآة .

و بانعكاس الشعاع و انتقال النقش في الخاتم ظهور الصورة في المرآة .

---

[1] فاطمة محمد إسماعيل، القرآن و النظر العقلي، ص 138-139 .

[2] التمهيد، ص107-108.

المطلب الثالث : حقيقة الصدق و اليقين :

إن من أكبر الحقائق العلمية تلك القضايا الصادقة اليقينية و هي بطبيعة الحال منطقية صرفه .

فالمنطق اليوناني ليس كله صالحا للقياس فهو مجرّد لا يقيني لذا لم يكن لعالم مثل الباقلاني استعمال منهج للتدليل دون الانقياد إلى الحقيقة الصادقة العلمية .

لكن إذا أدخلنا عليه أسلوب اليقينية أي الصدق في المقدمات كان لزاما أن يعطينا نتيجة صحيحة.

وهذا الأسلوب و الحقائق استعملها القرآن الكريم في غير موضع [والقرآن لا ينكر العلم بالقضايا الكلية شرط أن تكون مبنية على العلم بالقضية الجزئية لذلك نبه القرآن الكريم في كثير من آياته العقل البشري إلى التأمل في جزئيات هذا العالم و ظواهره الكونية][1].

هذا الاستدلال استعمله الباقلاني في غير موضع من مواضيع الرد على الفرق المسيحية خاصة في الرد على الملكية .

(خبرونا عن مريم ، أهي إنسان كلي أم إنسان جزئي ؟ فإن قالوا كلي تجاهلوا ، و قيل لهم ، فما أنكرتم أن يكون كل ذكر و أنثى من الناس إنسانا كليا ؟ فإن قالوا : هو كذلك، تركوا قولهم، وقيل لهم : فأي هو الإنسان الجزئي ، و كل جزئي تشيرون إليه على قولكم هذا هو كلي ؟ . فلا يجدون إلى إثبات الجزئي سبيلا و في هذا هدم مذهبهم)[2]. أي إذا كانت مريم عليها السلام إنسانا كليا فكيف لها أن تحمل في بطنها كليا آخر ؟ و إذا كانت جزئيا، فكيف لجزئي أن يحمل في أحشائه الكلي؟ و هذا ليس حقيقة و لا صوابا ، وكذا في إثبات بنبوّة عيسى و موسى عليهما السلام استعمل الباقلاني هذه الحقائق للتدليل عليها، إذ بدأ بمسلمات معتقدهم الفاسد و يرد على الفرق الثلاث في ألوهية عيسى عليه السلام قائلا : (إنّ الأب إلها ، الابن إلها و الروح الإلهية مع ذلك واحد)[3].

فلا يمكن جعل الثلاثة واحدا منطقيا ، و حقيقة يقينية علمية فالثلاثة لا تساوي واحدا والواحد لا يساوي ثلاثة .

فالألوهية لا تخصهم الثلاثة و منه قياس بالحقيقة اليقينية فاسد . و منه إبطال قولهم على حد تعبير القاضي .

---

[1] المصدر نفسه، ص146.
[2] التمهيد، ص117
[3] المصدر نفسه، ص103

الخاتمة

و في نهاية البحث نخلص إلى أهم النتائج و أهداف البحث المتمثلة في

-استخراج منهج الباقلاني في ردوده على النصارى، نجملها في النقاط الآتية:

أ – شخصية القاضي تظهر منها النزعة العقلية فهو ينتمي إلى مدرسة الفكر العقلي.

ب – أخذ الباقلاني منهج شيخه أبي الحسن الأشعري و أسس لمذهب الأشاعرة من بعده.

جـ – لقد ملك القاضي ناصية الجدل في وقته إذ أفحم كل خصم وكان لسان عضد الدولة إلى الأمم أنذاك.

د – الباقلاني كان عارفا بمعاني الكتاب المقدس عند النصارى عارفا بالإنجيل و فحواه وتفسيره، فالمدرسة الكلامية التي تعنى بالألفاظ و معانيها للباقلاني، جعلت منه دارسا ومجيبا عن الأسئلة بعلم و دراية، فاستشهاداته العقلانية و الأفكار المسيحية تكاد تخلو من العقلانية "كفى بالمذهب بطلانا أن يصعب ضبطه" خاصة في مسألة الأقانيم ونبوة عيسى عليه السلام.

– الباقلاني في ردوده عموما ينطلق من مسلمات النصارى ثم ينفيها لإثبات زيفها أو تناقضها في كثير من الأحيان وهذا بطرق عقلانية دون الرجوع إلى النقل، و أحيانا أخرى يستشهد بتناقض النقل نفسه أي تناقض الأناجيل.

- القاضي باحث مدقق و مؤرخ مؤهل للنقد و التمحيص، لتمكنه من منهج المحدثين المدقق الممحص سندا و متنا، و منه إثبات زيف الإنجيل نقدا و متنا من المحققين "كلوقا" و"مرقس" و "يوحنا" المزعوم نقلهم عن عيسى عليه السلام.
- الباقلاني أحاط بتاريخ المسيحية القديم، و كذا فرقها الكبرى وهي من أكبر الأدلة على زيفها و دخول الفلسفة الوسيطة في المسيحية و إظهار أصل المسيحية في التوحيد وبقاياه عند الأريسيين إلى حد الآن.
- استعمال المنهج المقارن للتدليل على صحة أعلام محمد صلى الله عليه وسلم وبيان زيف المسيحية بدءا من النقل.
- الاستشهاد بالقصص الإنجيلي و القرآني، و تبيان تناقض القصص من إنجيل لآخر وتشابههما في أخرى، و الوقوف على تناقض اللغة بالوقوف على الحد.
- الاستعانة بتراث المعتزلة في الرد خاصة منهج الجاحظ في الرد على النصارى وهذا في عدة أمثلة تدليل التمانع و دليل القياس الغائب على الشاهد و الأدلة العقلّية النقلّية التي حذا حذو شيخه فيها.

- كل الاستشهادات الأصولية و الكلامية و التاريخية مصدرها اللغة و العقل و هي من أكبر الأساليب التي خاطب الله سبحانه و تعالى البشر بها، و تذليل الخطاب للبشر وكذا الاستشهاد بعالم الكونيات و هي أبسط و أبلغ لغة يفهمها البشر ويدرك بها معاني الربوبية و الألوهية وما تعبد البشر بالطوطمية في سالف العصور لأكبر دليل على تأثر البشر بالكون و الطبيعة
- إن جل ردود الباقلاني لا تخرج عن منهج الاستدلال والقياس بأدلة متنوعة.
- اللغة العربية أو لغة القرآن صالحة لتكون منطلقا للرد ولمناهج الردود سواء على النصارى أم على الأديان الأخرى.
- من خلال ردود الباقلاني في كتابه التمهيد يتضح لنا كل الوضوح أن دراسة منهج الباقلاني في علوم أخرى ميدان خصب للباحثين.

في الأخير نأمل أن نكون قد ألممنا ولو بجزء من منهج القاضي الباقلاني ونتمنى أن تكون دراستنا المستقبلية في نقد الأديان مكملة للأولى. كما نتبرأ من كل رأي مخالف للشرع فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان .والحمد لله رب العالمين.

فهـــرس الســـور و الآيـــــات

السورة	الآيـــة	رقمـــها	الصفحة
البقرة	" و إن كنتم في ريب .....إن كنتم صادقين "	23	71
البقرة	" و قالوا لن يدخل الجنة .....إن كنتم صادقين "	111	70
البقرة	" و قالوا إتخذ الله ولدا.....كل له قانتون "	116	99
البقرة	"إن في خلق السموات و الأرض.....لقوم يعقلون"	164	54
آل عمران	" إن مثل عيسى .....كن فيكون "	59	42-43 و122
	" فمن حاجك فيه .....على الكاذبين "	61	72
	"فبما رحمت من الله لنت لهم.....إن الله يحب المتوكلين"	159	52
	" إن في خلق السموات .....أولي الألباب"	190	54
النساء	"يا أهل الكتاب لا تغلوا.....وكفى بالله وكيلا"	171	42
	"فما قتلوه وما صلبوه .....ولكن شبه لهم"	157	80
المائدة	" لقد كفر الذين قالوا .....كل شيء قدير "	17	42
	" ما المسيح ابن مريم .....أنى يوفكون "	75	42
	" و إذ قال الله يعيسى .....أنت علام الغيوب "	116	41
الأعراف	"و إذ أخذ ربك .....عن هذا غافلين"	172	36
	"ويشركون.....ولأنفسهم ينصرون"	192-191	40
الأنعام	" و يوم نحشرهم .....كنتم تزعمون "	22	70
	" و كذلك نري إبراهيم .....من المقنين "	75	41
	" و تلك حجتنا .....حكيم عليم "	83	41
التوبة	" إتخذوا أحبارهم.....سبحانه عما يشركون"	31-30	40
	" هو الذي أرسل رسوله .....كره المشركون "	33	71
يونس	" هو الذي جعل الشمس .....لقوم يعلمون "	05	100
	" هو الذي يسيركم.....بما كنتم تعلمون"	23 - 22	36
الرعد	" قل من رب السموات .....و هو الواحد القهار "	16	101
الحجر	"إنا نحن نزلنا.....لحافظون"	09	104
النحل	" خلق الإنسان .....خصيم مبين "	04	37
	"هو الذي أنزل .....فيه تسيمون "	10	37
	" ينبت لكم به .....لقوم يتفكرون "	11	37
	" أفمن يخلق.....فلا تذكرون "	18 -17	101 – 40
	"ولقد نعلم أنهم.....وهذا لسان عبي مبين"	103	68
	" و إن تعدوا .....لغفور رحيم "	18	101
الإسراء	" قل لو كان معه .....ذي العرش سبيلا "	42	39
	" لن نؤمن لك حتى .....جنة من نخيل و عنب"	59	69
	" قل لئن اجتمعت ..... لبعض ظهيرا "	88	91 – 71 – 44
مريم	" فاتخذت من دونهم ..... بشرا سويا "	17	119
	" قال إني .....و جعلنني نبيا "	30	42
	" و قـــالوا إتخـــذ الرحمـــــان ولـــــدا "	88	43
	" أن دعـــــوا للـــــرحمـــــــن ولـــــدا "	91	43
	" و كلهم .....فردا "	95	43
	"إن أرسلنا الشياطين.....تؤزهم أزا"	83	30

السورة	الآيـــة	رقمـــهـــا	الصفحة
الأنبياء	" لو كان فيهما .....عما يصفون "	22	40
	" أولم يرى الذين .....أفلا يؤمنون"	30	100
	" و التي أحصنت.....العالمين"	91	91
الحج	"أفلم يسيروا في الأرض.....التي في الصدور "	46	36
	" يأيها الناس .....الطالب و المطلوب "	73	39
	" و ما قدروا الله .....لقوي عزيز "	74	39
المؤمنون	" و ما اتخذ الله .....عما يصفون "	91	39
النمل	" أمن يجيب المضطر .....قليلا ما تذكرون "	62	38
	" أمن يهديكم .....عما يشركون "	63	38
	" أمن يبدأ الخلق .....إن كنتم صادقين "	64	38
الروم	" ألـــــــــــــــــــــــــــــــم "	01	72
	" في أدنى الأرض .....سيغلبون"	05	72
لقمان	" هذا خلق الله .....ظلال مبين "	11	38
فاطر	" ألم ترى أن الله .....و غرابيب سود "	27	37
	" و من الناس .....عزيز غفور "	28	37
الزخرف	" إن هو إلا عبد .....لبني إسرائيل "	59	42
الفتح	" لقد صدق الله .....فتحا قريبا "	27	71
الداريات	" وفـــي أنفـــســـكـــم أفـــلا تبـــصـــــرون "	21	37
الطور	" أفـــرأيـــت الـــــذي تـــولـــــــى "	33	44
	" و أعـــطى قـــليـــــلا و أكـــــدى "	34	44
	"أم خلقوا.....أم هم الخالقون"	35	54
القمر	" إقتـــــربت الساعـــــة و انشـــق القمـــر "	01	28 – 44
	"سيهزم الجمع.....و يولون الدبر"	45	71
الحشر	" هو الذي أخرج .....يأولي الأبصر"	02	99
المرسلات	" فإن كان لكم .....فكيدون"	39	70
الإخلاص	" قـــل هـــو الله أحـــد الله "	01	39
	" الله الـــصـــمـــد "	02	39
	" لـــم يـــلـــد و لـــم يـــولـــد "	03	39
	" و لـــم يـــكـــن لـــه كفـــوا أحـــد "	04	39

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس فقرات الكتاب المقدس:

السفر	النـــــــــــص	الإصحـاح	الفقـرة	الصفحـة
لوقا	إني قد جعلتك إلها لهارون و جعلتك إله فرعون....	13	04/02	72-66
الأمثال	أنا و أبي واحد	04	07	67
	إني عبد الله وأرسلت معلما	04	07	72-66
	رب إن كان في مشيئتك أن تصرف هذه الكأس فاصرفها عني...	03	17	103-66
متى	العذراء البتول، تحمل وتلد ابنا يدعى أو يسمى إلها	01	25/23	72/52
	إني عبد الله و أرسلت معلما	19	28	107-74
	فكما بعثني أبي فكذلك أبعثكم عمدوا الناس باسم			
	إلهي إلهي لما تركتني	27	46-45	103-100-72
مرقس	إلهي إلهي لما تركتني	07/34	23-15	85-52
يوحنا	أن ليس لنبي كرامة في وطننا	04	43	58-48
	أنا قبل إبراهيم الحق الحق أقول لكمقبل أن يمون إبراهيم	08	58	48
	إن النبي لايكرم في مدينته أي ليس لنبي كرامة في وطننا	23	05	107
	يدعى اسمه إلها	30	10	66
	أنا و أبي واحد	30	10	66
مرقص	إني قد جعلتك إلها لفرعون	07	23	52

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــــرس المـــــراجـــــع و المصـــــــادر

الكتب المقدسة : ــ القرآن الكريم (برواية ورش عن نافع)
ــ القرآن الكريم قرص مضغوط CD برواية حفص.
ــ كتاب الإنجيل.
ــ الإنجيل قرص مضغوط CD.

1. ***الأبياري ابراهيم :*** ــ مفاتيح العلوم للخوارزمي محمد ابن أحمد ابن يوسف، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1 1404ه ــ 1984م).
2. ***ابن الأثير علي :*** ــ الكامل في التاريخ (بيروت، دار الكتاب العربي) ج6، ج7 حوادث سنة [232ه ــ 334ه].
3. ***أحمد أمين :*** ــ ظهر الإسلام (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط5).
ــ ضحى الإسلام (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1) ج1 .
4. ***أحمد عبد الغفور :*** عطار الديانات و العقائد (مكة المكرمة، ط1401،1ه -1981م) ج1
5. ***أحمد محمود صبحي :*** ــ في علم الكلام (لبنان ، بيروت دار النهضة، ط5 ، 1405ه ــ 1985م) ج2.
6. ***الأفغاني، جمال الدين ، و محمد عبده:*** العروة الوثقى الثورة التحريرية الكبرى، (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1403ه ــ 1983م).
7. ***الباقلاني أبي بكر :*** ــ التمهيد -ت- عماد الدين أحمد حيدر (لبنان، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1401هـ -1967م).
ــ الإنصاف فيما يجب إعتقاده و لا يجوز الجهل به -ت- محمد زاهد ابن الحسن الكوثـري (القاهرة مكتبة الخانجي، ط3، 1413ه ــ 1993م).
ــ نكت الإنتصار لنقد القرآن الكريم [دط] ــ ت ــ محمد زغلول ، (الإسكندرية، نشأة المعارف، 1971) .
ــ التقريب و الإرشاد الصغير، تقديم عبد الحميد بن علي أبوريدة (بيروت مؤسسة الرسالة، ط2، 1998) ج1 .
8. ***البخاري ، محمد ابن اسماعيل :*** ــ الصحيح (دار الفكر 1991)، كتاب الأنبياء .
9. ***بدوي ، عبد الرحمان :*** مذاهب الإسلاميين (بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ط3، 1983م) ج1.
10. ***البوطي محمد سعيد رمضان :*** كبرى اليقينيات الكونية (سوريا، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط8، 1413هـ-1993م).
11. ***التفتزاني سعد الدين :*** شرح المقاصد : ــ ت ــ عبد الرحمان عميرة (بيروت، عالم الكتب ، ط1، 1409هـ-1989م) ج1
12. ***التومي محمد :*** ــ الجدل في القرآن ، (الجزائر، شركة الشهاب، 1400-1979م) ج2 .
13. ***ابن تيمية تقي الدين ابن صالح المحمود :*** موقف ابن تيمية من الأشاعرة _ت ــ عبد الرحمان عميرة.

14. ***الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر :*** المختار في الرد على النصارى ــ ت ــ محمد عبد الله الشرقاوي (لبنان، بيروت، دار الجيل ، ط1، 1991 م).
ــ رسائل الجاحظ ، عبد السلام هارون ــ (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1420هـ-2000) ج 3-4.
15. ***محمد السيد جليند :*** قضية الألوهية بين الدين والفلسفة (مصر، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع 2001م)
16. ***الجندي عبد الحليم :*** القرآن و المنهج العلمي المعاصر (مصر، القاهرة، دار المعارف 1404ه ــ 1984م).
17. ***جنيبر شارل :*** المسيحية و نشأتها و تطورها ــ ت ــ عبد الحليم محمود (القاهرة، دار المعارف ط3) .
18. ***ابن الجوزي :*** تلبيس إبليس (لبنان، بيروت، دار الجيل).
19. ***الجويني أبو المعالي :*** ــ البرهان في أصول الفقه-ت-عبد العظيم محمود الديب، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية ط1، 1408ه ــ 1988م) .
20. ***ابن الحاجب :*** منتهى الوصول و الأمل في علمي الأصول والجدل (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1405ه ــ 1985م) ، (571ه ــ 646هـ) .
21. ***حسن ابراهيم حسن :*** تاريخ الإسلام (لبنان، بيروت، دار الجيل، ط3، 1411ه ــ 1991م) ج3 .
22. ***حسن ظاظا،*** الفكر الديني اليهودي (سوريا دمشق، دار القلم، وبيروت دار الشامية، ط4، 1420هـ 1999م)
23. ***حسين فضل الله :*** الحوار في القرآن، (الجزائر، دار البعث)
24. ***ابن حزم الأندلسي :*** الأصول و الفروع ــ ت ــ محمد عاطف العراقي سمير فضل الله (دار النهضة العربية، ط1، 1407ه ــ 1987م) .
25. ***الخطيب البغدادي :*** الفرق بين الفرق (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 1417هـ ــ 1997م).
26. ***الخطيب عبد الكريم :*** ــ المسيح في القرآن و التوراة و الإنجيل و العلم (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط1، 1375ه ــ 1965 م)
27. ***عبد الرحمان ابن خلدون،*** ديوان العبر والمبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر(لبنان بيروت، دار الجيل ج 1)
28. ***ابن خلكان :*** وفيات الأعيان حققه إحسان عباس (لبنان، بيروت، دار صادر) م4.
29. ***الخوارزمي :*** مفاتيح العلوم 187هـ .
30. ***دغيم سميح :*** مصطلحات علم الكلام الإسلامي (لبنان، مكتبة لبنان، ط1، 1998 م) ج1
31. ***الرازي أبي بكر :*** ــ المحصول في علم الأصول (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ ــ 1988 م)
32. ***الزركلي خير الدين :*** الإعلام (لبنان، بيروت، دار الملايين م6 ط5، ماي 1980م)
33. ***زهدي جار الله :*** المعتزلة (دار الينابيع، ط5، 1407ه ــ 1987 م).

34.*أبو زهرة محمد :* ــ المعجزة الكبرى (مصر، القاهرة، دار الفكر العربي)
ــ محاضرات في النصرانية ــ ت ــ عمار طالبي تصدير الشيخ محمد الغزالي (الجزائر، شركة الشهاب ، 1989م)
35.*السحابياني محمد ناصر :*منهج الشهرستاني في نقد الأديان (السعودية، دار الوطن،ط1).
36.*السراج محمد علي :* اللباب في اللغة و آلات الأدب ، راجعه خير الدين شمسي باشا (سوريا، دمشق، دار الفكر، ط1، 1403 ه ــ 1983م)
37.*السرياقوتي علي عبد المعطي محمد :* أساليب البحث العلمي (الكويت، مكتبة الفلاح، ط1، 1408هـ-1988م).
38.*أبو سعدة محمد حسين :* المنهج النقدي عند الباقلاني (القاهرة، رسالة ماجستير، ط1 1991).
39.*السعدي محمد :* دراسة في الأناجيل الأربعة (الدوحة، قطر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 1405ه ــ 1985م)
40.*السكاكي ابن بكر محمد ابن علي :* مفاتيح العلوم طبقه نعيم زرزور (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1407ه ــ 1987م)
41.*سميح دغيم :* مصطلحات علم الكلام الإسلامي (مكتبة لبنان، ط1، 1998) ج1
42.*سيد قطب :* في ظلال القرآن (القاهرة ،دار الملايين ط3)م1 ج10.
43.*الشافعي حسن :* الأمدي و آراءه الكلامية (مصر، القاهرة، دار السلام، ط1، 1418ه ــ 1998م).
44.*الشرفي عبد المجيد :* الفكر الإسلامي في الرد على النصارى (تونس، الدار التونسية، 1986).
45.*شلبي أحمد :* مقارنة الأديان المسيحية (القاهرة، مكتبة دار العلوم ط8، 1984)ج2،.
46.*شلبي مصطفى :* أصول الفقه بيروت دار النهضة العربية 1986م.
47.*عبد الرحمان بدوي:* مذاهب الإسلاميين الاشاعرة (لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، 1983) ج 2
48.*عبد الحكيم فرحات :* منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى، رسالة ماجستير قسنطينة، 96/95.
49.*عبد العزيز سالم :* العصر العباسي الأول،(مصر، الجامعة الإسكندرية، مؤسسة شهاب).
50.*عرفان عبد الحميد :* الفرق و العقائد الإسلامية (سوريا، مؤسسة الرسالة، ط2، 1417ه ــ 1997م).
51.*ابن عساكر :* تبيين كذب المفتري (لبنان، بيروت، دار الكتب العربي، ط3 ، 1404ه ــ 1984م).
52.*العسقلاني ابن حجر :* لسان الميزان ــ ت ــ أحمد عبد الودود و علي محمد عوض(لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية ط1، 1416ه ــ 1996م) ج1
53.*علي زيعور :* أغستينوس مقدمات في العقيدة المسيحية و الفلسفات الوسيطية، (لبنان، بيروت، دار إقرأ، ط1، 1403هـ ــ 1983م).
54.*أبو الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي :* شذرات الذهب (لبنان، بيروت، دار الأفاق الجديدة،) م2، ج2

55.**غارديه لويس:** فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمنهجية –ت– جورج قنواتي/ صبحي صالح /فريد جبر (لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط2، 1983م) ج2
56.**غازي عناية :** منهجية البحث عند العلماء المسلمين (الجزائر، قسنطينة، دار البحث للطباعة و النشر، ط1، 1415ه ــ 1995م).
57.**الغزالي أبي حامد :** معيار العلم في المنطق (بيروت دار الأندلس، 1983)
58.**عبد الفتاح أحمد الفاوي :** المسيحية بين النقل و العقل (مصر، القاهرة دار العلوم، ط2، 1991).
59.**فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل :** القرآن و النظر العقلي (أمريكا، سلسلة الرسائل الجامعية، 1993).
60.**ابن قيم الجوزية :** هداية الحيارى في الرد على اليهود و النصارى، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2 ، 1415هـ–1994م).
61.**كامبي جان :** تاريخ الكنيسة (لبنان، بيروت، دار المشرق، ط1، 1994).
62.**أبي المحاسن جمال الدين :** إبراهيم طرفان ،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (مصر، القاهرة، دار الكتاب المؤسسة المصرية) ج3
63.**مخلوفي محمد عبد الرؤوف :** الباقلاني و كتابه إعجاز القرآن (رسالة دكتوراه) (لبنان، بيروت، دارمكتبة الحياة ، 1978).
64.**الجندي عبد الحليم :** القرآن والمنهج العلمي المعاصر(دار المعارف، 1404ه 1984م)
65.**الميداني عبد الرحمان حسن حبنكة :** ضوابط المعرفة و أصول الإستدلال (سوريا، دمشق، دار القلم ، 1419ه ــ 1998م).
66.**النجار عبد المجيد :** _مباحث في منهجية الفكر الإسلامي (لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992م).
_ المهدي ابن تومرت: دار الغرب الإسلامي (لبنان، بيروت، ط1 ، 1403هـ ــ 1983م)
67.**النشار علي سامي :** مناهج البحث عند مفكري الإسلام إكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي (بيروت، دار النهضة العربية، 1984م).
68.**بن نية عبد الله ابن الشيخ محفوظ :** أمالي الدلالات و مجالي الإختلافات (لبنان، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1412ه ــ1992م).
69.**علي عبد الواحد وافي الأسفار:** المقدسة في الأديان السابقة للإسلام،(مصر، القاهرة، دار النهضة للطبع و النشر)
70.**الواعظ ابن الحسن ابن سمعون البغدادي :** شذرات الذهب (387هـ) ج7.
71.**اليسوعي الأب توماس ميشال :** مدخل إلى العقيدة المسيحية (لبنان، بيروت، دار المشرق ط2، 1995م).

المعـــــاجم والمـــوســـوعـــــــات

1. ***أحمد شلبي :*** موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية (مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1955م) ج3
2. ***بدوي عبد الرحمان :*** الموسوعة الفلسفية (لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، 1984م)
3. ***الحماوي ياقوت عبد الله :*** معجم البلدان تحقيق فريد عبد العزيز الجندي (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1410ه ــ 1920م
4. ***الجرجاني :*** التعريفات الشريف على بن محمد الجرجاني ضبطه محمد عبد الحكيم القـــاضي (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3 ، 1988م).
5. ***الساموك سعدون محمود :*** موسوعة الأديان و المعتقدات القديمة (الأردن، عمان، دار المناهج، ط1 ، 1422ه ــ 2002م).
6. ***عباس محمود العقاد :*** المجموعة الكاملة (بيروت، دار الكتاب اللبناني) ج 26.
7. ***العراقي عاطف :*** نحو معجم للفلسفة العربية ومصطلحات و شخصيات (الإسكندرية، دار الوفاء للطباعة، 2001م).
8. ***أندريه لالاند :*** الموسوعة الفلسفية (بيروت، منشورات عويدات، 2001م) ج3.
9. ***ابن منظور :*** لسان العرب (من ذ إلى س) (القاهرة، مصر، دار المعارف) ج3
10. ***اليسوعي صبحي حموي :*** جان كاردولي معجم الإيمان المسيحي (لبنان، بيروت، دار المشرق، ط1، 1994م).
11. ***قاموس الكتاب المقدس :*** مكتبة العائلة-ت-جون الكسندر طمسن،إبراهيم مطروبطرس عبد المالك(مصر، القاهرة، ط13،)
12. ***الموسوعة العربية الإسلامية*** ج24 مادة م .
13. ***الموسوعة الكاثوليكية***
14. ***معجم اللاهوت الكتابي*** : (لبنان، بيروت، دار المشرق، 1986م) (مادة إتحاد)

منهج الباقلاني في الرد على النصارى

مقدمة 01

الفصل الأول : حياة الباقلاني

المبحث الأول : عصره و بيئته.....06

المطلب الأول: الحياة السياسية.....06

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية.....11

المطلب الثالث: الحياة الفكرية.....14

المبحث الثاني : نشأته.....17

المطلب الأول: نسبه.....17

المطلب الثاني: ولادته.....17

المطلب الثالث: وفاته.....18

المطلب الرابع : أخلاقه 19

المبحث الثالث : سيرته العلمية 20

المطلب الأول: شيوخه و تلاميذه 20

- شيوخه :.....20
- تلاميذه.....21

المطلب الثاني: الحياة العلمية 23

- كتبه :.....23
- من مناظراته.....26

المطلب الثالث: مذهبه و أفكاره 29

الفصل الثاني : مصادر منهج الباقلاني في ردوده على النصارى

تمهيد ماهية المنهج:.....33

المبحث الأول : المصادر النقلية في ردود الباقلاني على النصارى 35

المطلب الأول : القرآن الكريم.....35

- مخاطبة العقل.....36
- التحدي 38
- إثبات الوحدانية 39
- نفي التثليث.....40
- إثبات نبوة و بنوة عيس عليه السلام.....42
- الاستدلال المعجزة.....43

المطلب الثاني : مصدر المحدثين أو المصدر التاريخي.....44
- شروط السند.....45
- الإستدلال بالأناجيل 47

المبحث الثاني : المصادر العقلية 51

المطلب الأول: منهج اللغة (أو الحد) 51

المطلب الثاني : منهج الأصولي :.....56
أ- دلالة الألفاظ.....57
ب- الإيماء.....58
ج- السبر والتقسيم.....58
د- المناسبة.....59
هـ- دلالة الأسماء.....59
و-الإستثناء 60
ز-التخصيص.....60

المطلب الثالث: منهج المتكلمين 61

المطلب الرابع: الإستدلال بالمعجزة 65
- السنة النبوية.....66
- المصدر التاريخي.....67
- حجج النبوة 68
- الإعجاز في الإنجيل.....70
- الإستدلال بالمعجزة على ثبوت النبوة 72

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث : تطبيقات المناهج في ردود الباقلاني على النصارى.

تمهيد المنهج العقلي.....75

المبحث الأول: منهج الاستدلال.....78

المطلب الأول:الاستدلال بالجدل والمناظرة.....78

أولا : الإستدلال 78

ثانيا : الاستنباط.....79

ثالثا : الاستقراء 80

- تعريف المنهج العقلي و النقلي 81
- الجدل و المناظرة 82

المطلب الثاني :الاستدلال باللغة.....84

أولا: الإستدلال بالتعريف (الحد) 85

ثانيا :الإستدلال بالتشبيه.....92

ثالثا :المجاز العقلي 92

المطلب الثالث : الإستدلال بالمماثلة.....95

المطلب الرابع: الاستدلال بالتجزئة 96

المطلب الخامس: الإستدلال بالمقابلة.....100

المطلب السادس :الاستدلال بالقصص القرآني والإنجيل 102

المبحث الثاني :القياس و أنواعه 105

المطلب الأول: أشكال القياس.....105

- القياسات المركبة.....105
- القياسات الاستثنائية.....105

المطلب الثاني : أنواع القياس.....105

- أولا : القياس الإضماري.....105
- ثانيا : دليل التمانع (قياس الخلف).....105

أ-عكس قياس الخلف.....107

ب- قياس الدور.....107

ج- تطبيقات دليل التمانع.....108